

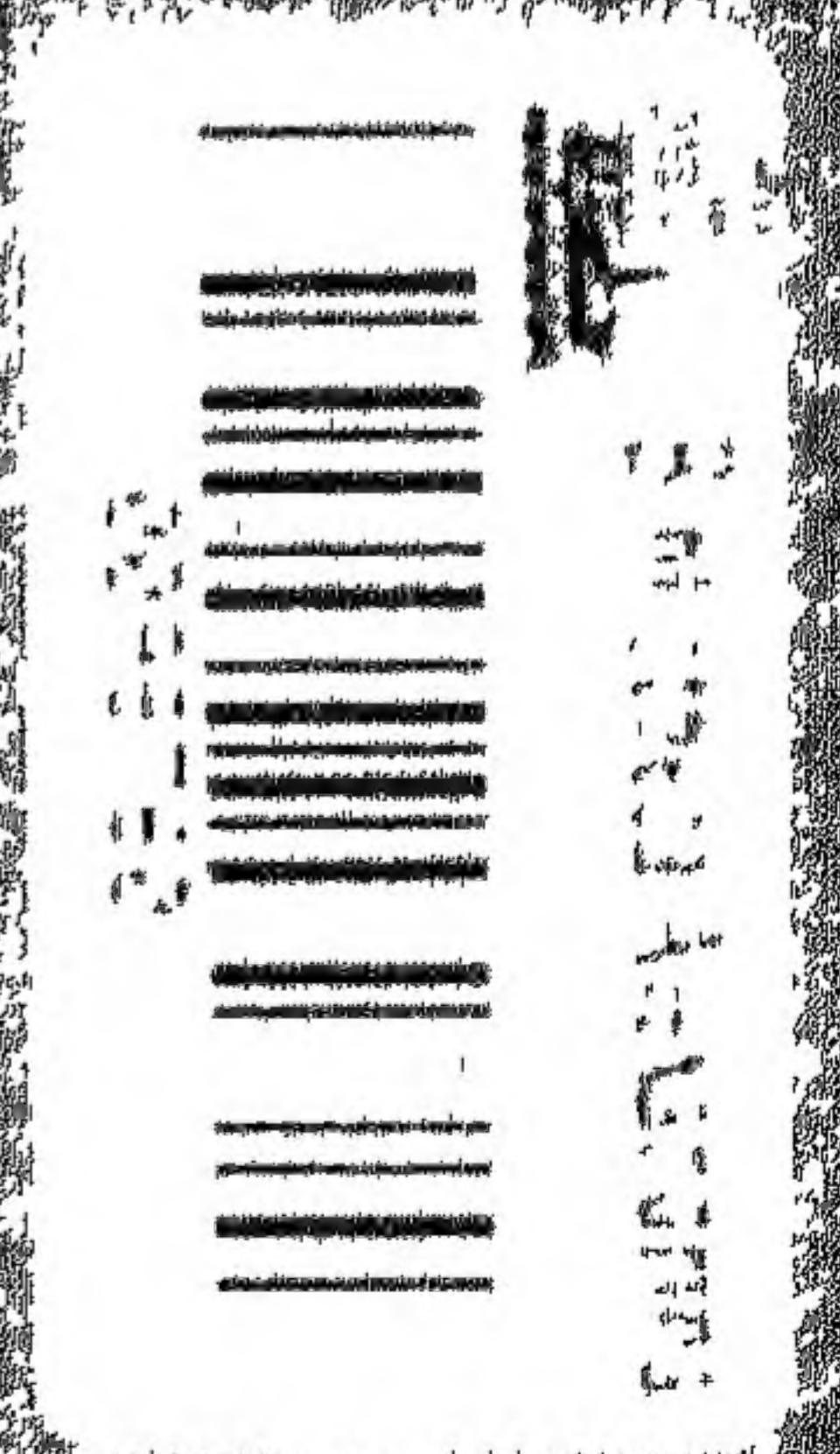
عبد المولى

في

أخلاق الملوك

للخطيب

مكتبة
الأمير محمد السادس



RENAISSANCE DES LETTRES . ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.



LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tadj.)

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للحفظ

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي بشا

كاتب أسرار مجلس النواب

— ❦ —

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	نقارة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستفتاء ابن النديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستفتاء أبي حيان التوحيدي
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	إستفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	أمثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارته إلى كتبه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيد هذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسى ...
٦٩	جدول ببيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة ...
٧٣ - ٨٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للمحافظ

صفحة

١

المقدمة

٤ إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي

٥

الفاتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧ فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧ الأشراف وسلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٧ الأوساط: سلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٨ استقبال الملك للساوئين له وتشيعه أيامهم

٩ مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١ تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢ ما فعله حاجب المنصور العباسي مع الفتي الهاشمي، لتأديبه

١٣ تخفيف الندماء والخوارج على مائدة الأكابر

١٣ عقوبة الشر عند الفرس

١٤ مباسطة الملك لمواكليه

١٤ بين معاوية والحسن بن علي، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة									
١٥	ضيافات معارية في عاصمته وسائر قواعد مملكته
١٥	إختبار سابور لرجل، رتجحه لقضاء القضاة
١٦	عدم النظر لللك عند مؤاكلته
١٦	التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧	غسل اليد بحضرة الملك
١٧	إيناس الملك لمدعويه
١٧	مباينة الملوك لمن سواهم
١٧	قيام الملك عن الطعام
١٧	منديل الغمر [أى منشفة الذفر]
١٨	حديث الملك ومحدثه على المائدة
١٨	زمزمة القُرس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	ما كان يفعله عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	مراتب الندماء، وأحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢	كمية الشرب وكيفيته موكولتان لللك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمغنيين عند القُرس، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرس أربعة
٢٥	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	إحتفاظ القُرس بهذا الترتيب
٢٧	مماقة أردشير لنفسه، لمخالفة هذا القانون
٢٨	إختلال هذا النظام أيام بهرام جور، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التساج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء بمقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة شتم في وجهه، هنزلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليان، وهشام، ومروان الجعدي
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السفاح
٣٤	المنصور
٣٤	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهدي
٣٧	الرث سيد
٤٢	الامين
٤٣	المأمون
٤٥	مباشرة الملك لندمائه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الاقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالتطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٤٩	عذل الملك في مجلس الشراب
٤٩	مكالمة الندماء للملوك
٥٠	من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط
٥١	عدم المعاقبة في حال الغضب
٥٢	آداب البطانة عند قيام الملك
٥٢	عدم الدتو من الملك، إلا بشروط
٥٣	الاستماع لحديث الملك
٥٣	(كلمة لعدي بن العاص عن جليسه وثوبه رداً بته)
٥٤	(كلمة للشعي عن قوم يتناقدون ويتغامون)
٥٤	كلمة المأمون لسعيد بن سلم الباهل عن حسن إقناعه وحسن فهمه
٥٤	ماحصل لرجل كان أنوشروان يسايره
٥٥	ماوقع لأبن شجرة الرهاوى حينما سادته معارية
٥٨	ماوقع لأبن بكر الهدل حينما سادته السقاح
٥٩	(كلمة ابن عيَّاش المتوفى في آداب المحادثة)
٦٠	(كلمة رُوح بن زُبَّاع في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة أسماء بن خارجة الفزارى في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة معارية في هذا الموضوع)
٦١	آداب أهل الزُّلفى بعد المضاحكة مع الملك
٦١	تنكر أخلاق الملوك
٦١	صبر الملوك على مفض الحقد حتى تحين الفرصة للانتقام
٦٢	معاقة أنوشروان لمن خانته في حريمه
٦٥	نكبة عبد الملك بن مروان بمن فازعه الملك
٦٦	نكبة الرشيد بالبرامكة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٦٦	مراعاة حرم الملك
٦٨	إغضاء البصر بحضرة الملك
٦٩	غضُّ الصوت بحضرة الملك
٦٩	تأديب الله للصحابة في هذا المعنى
٦٩	حرمة مجلس الملك في غيبته
٧٠	الرقباء على مجالس ملوك العجم عند غيايهم
٧٠	مواطن المكافآت
٧٠	بيان المكافآت، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خلق النديم
٧١	آداب النديم في المزاملة ، وعلومه
٧٢	عُدّة الملك في نروجه لسفر أو نزّهة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك للملاعبه
٧٢	حقّ الملاعب على الملك
٧٣	ملاعبه سابور لنديمه على أمر مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكرة وغيرها
٧٤	لُعبة الشطرنج بحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	آداب الندماء ، إذا أخذت الملك مسنةً من النوم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مسامرة الملك
٧٧	سنة أكابر العجم عند تبييهم للسامرة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٧٨	ماحصل للوبد أثناء مسيرته أقباذ
٧٩	ماحصله لشرحيل أثناء مسيرته لمعاوية
٨٠	تحذير لمن يسير الملوك
٨٠	تطير العجم من مسيرة الملك المتصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ما ناله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الأسم لإحدى صفات الملك أو لاسمه
٨٩	الأموال التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الحمامة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب السفاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	إمتحان أبرويز رجاله في حفظ السر
٩٥	إمتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٨	إمتحانه من يطمعن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	سائل بهرام جور عن سرقة اللجام المحلى بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فهرس كتاب "التاج"

صفحة									
١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدنانير	
١٠٢	الرد على قولهم: "المغبون لا محمود ولا مأجور"	
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى	
١٠٣	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا	
١٠٣	سليمان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداءه	
١٠٤	جعفر بن سليمان وسارق الدرّة الرائعة	
١٠٤	إكرام أهل الوفاء وشكرهم...	
١٠٥	تُبّاذ ومادح الجاني على الملكة	
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو المخزومي في مجلس السفّاح لمروان بن محمد الجعدي بعد قتله	
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية	
١٠٩	الإسكندر والأسورة المتقربون إليه بقتل ملّكهم	
١٠٩	شيرة ومادحه على قتل أبيه أبرويز	
١١٠	المنصور العباسي والضارب رأس ابن عمه الخارج عليه بعد قتله	
١١١	المنصور العباسي ومادح هشام الأموي	
١١٢	الادب عند ما يتكلم الملك...	
١١٢	الادب في تحديث الملك	
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك...	
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتّتين على الملك	
١١٣	كلمة رّوح بن زّيباع في المعنى	
١١٤	كلمة الشعبي في المعنى	
١١٤	كلمة السّفّاح في المعنى	
١١٤	ظبة ابن مياش المتوف في المعنى	
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك	

فهرس كتاب "التاج"

صفحة									
١١٧	(عود إلى) الأدب في تحديث الملك	...
١١٨	أمنارات الملوك للجلساء بالأنصراف	...
١٢٠	عدم ذكر أحدٍ بالعيب في حضرة الملك	...
١٢٠	تحريض الملك بين رجاله	...
١٢١	آداب السفير	...
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختبار السفير	...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير	...
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى	...
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه	...
١٢٤	احتياط الملك في منامه ومقيله	...
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم	...
١٢٤	السنة النبوية في النوم	...
١٢٥	إطلاع الوالدين فقط على منام الملك	...
١٢٥	معاملة الابن للملك	...
١٢٥	ما فعله يزجرد مع ابنه بهرام، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا	...
١٢٦	ما فعله معاوية مع ابنه يزيد	...
١٢٦	ما فعله المهدي مع ابنه الهادي	...
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون	...
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم	...
١٢٧	واجبات ابن الملك	...
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك	...
١٢٩	الحيلة في معالمتها	...

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٢٩	ماصنعه ما زيار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ماصنعه روح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان واستعادة رضاه عليه ...
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهامل الحمداني لاسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحفوة
١٣٧	صفات المقترين
١٣٨	كلمة أنوشروان، وأمثولة "كليلة ودمنة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك، ونظام التشریفات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاحهم
١٤٥	سنة ملوك سامان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم اقتدى بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	هو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاذ
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تعطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجالهم، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس كتاب "التساج"

صفحة									
٦٣	العقوبة الريانية للكل الضالم	
٦٤	ما صنعاه بهرام جور لأخذ ملك أبيه	
٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته	
٦٧	الملوك والخلفاء الذين أشتهروا بذلك	
٧١	التمييز بين الأولياء والأعداء	
٧٢	بماذا تطول مدة الملك ..	
٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة	
٧٣	سنة الأعيام إذا دهمتهم الكوارث والمفازم	
٧٥	ما فعله معارفة أيام صيفين	
٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه	
٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين	
٧٧	مكايدة الملوك فى الحروب	
٧٧	خدعة بهرام للعدو الذى قصد دار ملكه	
٨٠	مكايد أبرويز (ملك الفرس) فى حرب الروم، قبيل الإسلام	

خاتمة الكتاب

٨٦	التنويه بالأمر الفتح بن خاقان، الوزير العباسى	
----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	---	--



(يليه "الملحقات")

٣ — ملحقات الكتاب

صفحة	
١٨٩	تكميل للروايات والملاحظات الانتقادية
٢١٢	تصحيحات لأغلاط مطبعية
	استدراك اللهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلبية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي انفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطا للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "الناج"

	الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للمراجعة وتحرير الحواشي
٢٣٥	والتكميل
	الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكميله
٢٤٣	الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٥٩	الرابع بأسماء الأئم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها
	الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

كتاب "التاج"

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

"واجبٌ على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بُدئ
بالنعمة قبل استحقاقها"^(١).

نظرة عامة
في الكتاب، ولفه.

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب "التاج"، وهو المشهور أيضاً بكتاب "أخلاق الملوك".
هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام،
ومركز الخلافة، وجنة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الظرائف، ومنشأ أرباب
الغايات، أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالي، وكانت أمصاره وقراه
مناهل عذبة يزدهم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده،
مما تقراه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صُدِّرَ سهل بن هارون أحد كتبه ، وكان معاصراً للجاحظ . أنظر "البيان والتبيين"
(ج ١ ص ١٨٨) .

كتاب التاج

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مِرْآةً تَجَلَّى فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آقتبس^(١) العرب بعضها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسوودة من آل عباس^(٢)، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام، وجلس على سرير الخلافة سابعهم، الميمون النقية، المبارك الناصية، وأعني به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : تتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين، حتى لقد ينسئ الجاحظ خُطته ومنهاجه فيسرد بعض عادات الفُرس ورسومهم القديمة، كأنها مألوفة في تلك الأيام، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام^(٣).

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من محول البناء . قال الجاحظ : " ولو شئنا أن نقول إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقائنا . ولو كان خلاف ذلك ألد ، لكات الملوك بذلك أولى " . أنظر كتاب الحيوان ، (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهندي في " صفة جزيرة العرب " : وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام أن جنى ألف كتابا سماه " التصريف الملوكي " .

(٢) كان السواد شعارا لبني العباس ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ " المسوودة " [تكسر الواو المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وذروهم والمتصرون لهم يسمون " الميضة " [بكسر اليا المشددة] . وقد أستخدم الجاحظ والمؤرخون على أن يقولوا : " سود أهل المدينة الفلانية " أو " بيضوا " دليلا على أنصوائهم تحت لواء العباسيين أو أنصنائهم إلى بني أمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٥٤٤ من ص ١٤٦) ، ثم (س ١١ من ص ١٦٠) من كتاب " التاج " . وفيه مواضع أخرى كثيرة من هذا القليل .

للجاحظ

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين في أخوتيتهم^(١) الخصوصية، وفي أنديتهم العمومية، ووقفنا فيه على سمرهم في سهرهم، وقصصهم في ليالي أنسهم، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حظهم، ومسارح لهوهم، ومراتع طربهم. وناهيك بجالسهم في الأغاني والمنادمة، ومجامعهم في الملاعبة والمداعبة، ومشاهدهم في المسيرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأماثل في أيام العرب، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن الجاحظ استعخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى^(٢) . بل زاه قد آنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى ما يراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغلب على ظني أن المؤلف استعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "حِوَاء" وزان كتاب . وهي بجادة البيوت المتدانية . وقد استعمل الجاحظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأذبة وولى الدعوة إذا جاء رسوله - والقوم في أسرهم وأنديتهم - فقال : أجيروا إلى طعام فلان . لحملهم جفلة واحدة - وهي الجفالة - بذلك هو الحمود . وإذا آنقر ، فقال : قم أنت ، يا فلان ، وقم أنت ، يا فلان . فدعا بعضا وترك بعضا ، فقد آنقر" . [والقري هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلوتن "أخوتهم" بالخاء المعجمة . ولا رجة للاعجام في هذا المقام ، والإممال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وقوانينهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توصل بهذين الاستطرادين الطويلين العربيين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف باسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سرا مكتوما في ضمير
الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير مالا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجبح فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طوب قيو^(١) بمدينة القسطنطينية في مجلدة
- هي لعمري ! - من أنفس النخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنها تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

١ - كتاب الآداب^(٢) ، لابن المقفع ؛

٢ - الأدب الصغير^(٣) ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه "الأدب الكبير" بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : "يتلوه كتاب "التاج" للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الملاحظ .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فَسَرَّعَانَ مَا تَجَرَّدَتْ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلَدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ ! وَقَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النِّيلِ - فِي جَمَلَةٍ مَا تَصِيدُهُ مِنْ مِفَاحِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلَدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوَّلِهَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ . فَهِيَ خَلُوهٌ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا ، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكٍ هَذِهِ النُّسخة ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ آتَتْ إِلَيْهِمْ ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا ، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا ، أَوْ عَلَى مِقَابِلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْخِزْيَانِيَّةِ أَوِ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ وَرَائِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكُتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةُ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةٌ مَكْتُوبَةٌ فِي أَسْفَلِ طَرَةِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحَلْبِي" قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ لِلنُّسخَةِ مَكْتُوبَةٌ فِي حَلَبِ نَفْسِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مُشْكُولَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالْحَرَكَاتِ . عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّبْطَ مِمَّا لَا يَصِحُّ الْأَعْتَادُ بِهِ أَوِ الْأَعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، إِنْ لَمْ تَقُلْ فِي أَغْلِبِ الْأَحْوَالِ . وَلَكِنَّا - مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ - مِنْ ذَخَائِرِ مِصْرَ . إِذْ أَنْ حَلَبَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عُمَّالَةً تَابِعَةً لِسُلْطَانِ مِصْرَ (وَهُوَ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ الْمُحْمَدِيُّ الْمَشْهُورُ) . وَبَقِيَتْ فِي حَوْزَةِ خَلْفَائِهِ إِلَى أَنْ أُنْتَرَعَهَا السُّلْطَانُ سَلِيمُ الْعُثْمَانِي مِنَ السُّلْطَانِ قَانَصُوهُ الْغُورِي فِي سَنَةِ ٩٢٢ لِلْهِجْرَةِ . فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

كتاب التاج

في ضمن الغنائم التي أستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في ^(١) جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبَان" لابن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكاتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير ^(٢) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها انتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصري الذي كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمه بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذي سبق لنا الكلام عليه .

اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما انتهى إليه وسعى وبلغه مدى جهدي . ويعلم الله - ويشهد الكثير من إخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استعمالهما في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والأئمة ما هو

خليق بفضل مؤلفهما القدير .

للجاحظ

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة - أننى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل^(١)، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أَرْضَى "من الغنيمة بعد الكد بالقفل!".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الجاحظ هو صاحب تلك البدائع الروائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمننا هذا النابغة بمزية لم يَشْرِكْ فيها إلى اليوم أحدٌ غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نَفَثَاتِ صدره ونَفَحَاتِ قلبه ماعَتَمَتِ أَنْ أصبحتَ متاعاً مُشاعاً ونَهَباً مُقَسَّماً بين قُرسان الكتابة وقُرسان الأدب . فقديمًا سطا عليها المتقدمون من أرباب الأفلام، ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لا تزال ملكاً مُباحاً لكل مَنْ يتعاطون الإنشاء، يرونها طُرْفَةً لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف .

قاعدة قَرَرها القاضى الفاضل، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده ! ألفنا تراه قد سجّل اعترافه على نفسه، وشرّع هذا المورد لمن أقْدَى به أو حاول الجرى على سَنَنِهِ، منذ قال كلمته الماثورة : "وأما الجاحظ، فما منا معاشر الكُتَّاب إلا مَنْ دخل داره، أو شُنَّ على كلامه الغار، وخرج وعلى كتفه منه الكار"؟^(٢)

(١) لذلك أقتصرْتُ فى الفهرس الأبجديّ الأول من الفهارس الملاحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنشَعَتْ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العبرى صاحب "مسالك الأبصار" والصنعدى صاحب "الروافى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . [والكاراءة ما يحملهُ الرجل على ظهوره من الثياب . وهى تقارب التى نُسبها الآن فى مصر "بُقْجَة" . كلمة تركية، وعرييتها الفصحى "بُكَّة" .]

كتاب التاج

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأبُ في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برُمتها فينسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بترًا أو يمسخونها مسخا. وكأني بهم قد تمألؤوا كلهم على عدم الإشارة إليه، اللهم إلا في النادر.

أمرُ يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه، وفيما علَّقته عليه من الحواشي والشروح، وفيما أضفته إليه في "تكميل الروايات" (١).



لكن العجب العجيب، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب، لم يُشر إليه واحدٌ منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على اسمه في كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين، مع شدة التنقيب والبحث، وهداومة التقلب والحِرث.

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل، لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج" (٢).

من أسم هذا
الكتاب ؟

(١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب المأثلة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .

(٢) في "أساس البلاغة" : "حرث القرآن : أطلت دراسته وتدبره". وفي "تاج العروس" : "الحرث تفتيش الكتاب وتدبره . . . وفي حديث عبدالله : أحرثوا هذا القرآن ، أى قدشوه وتؤروه". ومثل هذا في لغة الفرنسيين لحرث الأرض ولحرث العلم ، فيقولون : Cultiver une science و Cultiver une terre .

(٣) مع أنه هو المكتوب على طرة النسخة المحفوظة بمخزاة طوب قيو، كما تراه في أحد الروايات الفتحرافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الرموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قيو] .

للملاحظ

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضاح مشكلها .

+ +

فَرِعتُ حينئذ إلى الملاحظ نفسه . فقد توه ببعض مصنفاته في مقدمة مصحفها الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" ^(١) وفي تضاعيفه أيضا ؛ وكذلك فعل في "البيان والتبيين" . ثم رجعت إلى ثبوت مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي ^(٢) ، وراجعت ما كتب عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات" ^(٣) ، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" . ونظرت فيما أورده كاتب جلبي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أر في كل ذلك أثرا لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الملاحظ . ولكنني وجدت ياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب جلبي يذكر كلهم لصاحبنا كتاباً عنوانه "أخلاق الملوك" . فتحيلت أن الكتاب واحد ، وله آسمان .

أؤكد ذلك الظن عندي وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانية الباقية من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آياصوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها "كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . ومنه نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشنقيطي بدار الكتب الخديوية . كتاب الصفة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فشأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذي تم طبعه أخيراً بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مرجوليوث ، المستشرق الإنكليزي

(٣) وقد استحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الملاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطبر

الذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة

جمعية التاريخ الملوكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لي بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسكو قدار

D. Francisco Codera المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

(٤) في حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (L'abbé Chabot) المستشرق

الفرنسي ، فأتخفى بصورة فتوغرافية منقولة عن النسخة المخطوطة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بمضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرئاسة" .

وقد حصلتُ، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (سـ) وتمكنتُ من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوي على ١٣ سطرا . وهي مجردة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيتها . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة هذا نصها : "وكان في المنقول عنها سقامة" .

فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجع عندي أن أسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان ، أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وابن شاكر الكتبي . على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

عريد إلى التحقيق
في أسم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آسمة ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ للميلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الرموز الفتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

للملاحظ

وفوق ذلك ، فهذا فهرسها خلّو من العنواين : ”التاج“ و”أخلاق الملوك“ . بل يسوغ لي أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنواين شيئا على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود في الورقة الأولى من كل مجلد ، دون أن يتصفح المجلد بأكمله ، ليرى ما إذا كان في ضاعيفه وثناياه كتب أخرى : كما هي العادة في كثير من كتب المشاركة ، وكما هو حاصل بالفعل في تلك الخزانة نفسها . لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قيو ، قد اقتصر على ما رآه في صدر الورقة الأولى ، وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى في الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمه الله عليه“ دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى ”الأدب الصغير“ أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معا . وذلك لأنه لم يرد في طرّة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوانٌ خاصٌ له ، وذلك بخلاف ما حصل في طرّة الكتاب الثاني حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصغير“ وكما حصل في الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمه الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطّلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر ، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقني الله إليه من تقرّى الكتب التاريخية والأدبية كلها في طوب قيو ، واحداً واحداً ، كما أتيح لي منذ بضع سنين . وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .

كتاب التاج



عود الكلام على
اسم التاج
والكتب المسماة
بهذا الاسم

(١) وهناك باب للتظني. ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة .
وها هي كتب الجاحظ نفسه ، نرى لبعضها عناوين مختلفة . بل هو نفسه يسميها
باسماء ، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل .^(٢)

وبعد ، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مؤلفا بأبن المقفع ، ومُعجَّبًا به وبآثاره .
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعةً لذلك الكاتب
العظيم ، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان" ؟^(٣)

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين .
فاختاره نفر من صدور الصدر الأول ، وعنونوا به بعض كتبهم ، مجازاةً لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاعلت به ملوكهم" .
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "أَتَمَّها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي لملوكهم" .^(٤)

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لياقوت . فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب" ، وباسم "طبقات
الأدباء" . ومثل ذلك كتاب المقرئ ، فإن اسمه "المواعظ والأعتبار" ، وهو مشهور باسم "الخطوط" .
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون ؟ وأشباه ذلك كثيرة جدًا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث ، أو كما يقول الجاحظ : "كل من كان كلما يتعرفها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب" . أنظر كتاب الحيوان (ح ٣ ص ٧٣) .

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان : "من هو الجاحظ ، وما هي مصنفاته" ؟ وسأشرها فيما بعد .
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية . وذكره صاحب كتاب الفهرست . وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancew في كتاب "المباحث الساسانية"

المطبوع في بطرسبورج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢) .

(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥) .

للجأظ

فما ظهر من المصنفات فى اللغة العربفة بهذا العنوان، مرتبا على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج فى سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أول كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج لأبى عبيدة، المتوفى فيما بين سنتى ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب المهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذى نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأننى لم أجد فى كتاب الجأظ الذى أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب " التاج " - فى الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٠ ، ١١) وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن قتبية فى كتاب " عيون الأخبار "] .

(٢) ذكر القفطى فى كتاب " إسماء الرواء على أنباء النحاء " كتابين لأبى عبيدة أحدهما باسم " التاج " والثانى باسم " الدياج " (أطرسحة المقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان، فى ترجمة أبى عبيدة (أنظر طبع بولاق وطابع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأبارى فى " زهرة الألباء " ولا السيوطى فى " بية الوعاة " . وقد نقل ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن " كتاب التاج " الذى لأبى عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خبىر الأندلسى (ص ٣٦١) وصاحب " تاج العروس " فى مادة (ح م ر) لم يذكرأ له غير كتاب الدياج . وما ينبى النبى إليه أن العبارة التى نقأها صاحب " تاج العروس " عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبى عبيدة فى كتاب الدياج) راها واردة بنصها تقريبا عن " كتاب الدياج " أيضا فى كتاب " الكامل " للرد (ص ٣٧٢ من طبعة لفسك ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهى واردة أيضا مع زيادة وقص طفيفين فى الألفاظ فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقأها عن كتاب " التاج " لأبى عبيدة . نعم إن التحريف كثير فى العقد الفريد المعطوع فى بولاق ، ولكنه ذكر هذا " التاج " ثلاث مرات وقد شهد القفطى وابن خلكان بأن لأبى عبيدة هذا كتابين أحدهما " التاج " والثايفما " الدياج " . فهل هما كتاب واحد ؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سى كتابه بالدياج ثم لقمه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن القول الذى أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع فى بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحل على العان بأن صاحبه أراد أن يضاهى به كتاب التاج الذى ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعوبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيرا فى مثالبهم .

كتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لأبن الراوندي^(١)، المتوفى سنة ٣٠١ هـ. [وقضه أبو سهل إسماعيل النوبختي^(٢) في كتاب سماه "السبك"] .
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤ هـ. ويسمى "التاجي" ويسمى "المتقج^(٣) في العدل والسياسة"^(٤) .
- ٥ - كتاب التاج، لأبن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ.^(٥)
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع .
- هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم ، فيما قبل الجاحظ وبعده ، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره^(٦) .

- (١) ذكره في كشف الظنون ، ولم يعرفنا بموضوعه .
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧) .
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست" . ونقل عنه البيهقي في الآثار الباقية (ص ٣٨) .
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤) ، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي .
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفيها ، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragossa من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤) .
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦٠ ، ٦٦٦٦ ، ١٣٢٤٢٠ من طبعة العلامة فلوجل) .
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره . فالفوا : تاج الأسماء ، تاج الأنساب ، تاج التراجم في طبقات الحنفية ، تاج الحرة للعري ، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين ، تاج العارفين ، تاج العروس في الزهد ، تاج المداخل ، تاج المذكرين ، تاج المصادر ، تاج المعاني ، تاج المعل ، تاج المفرق ، تاج النسرين . [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون . وقد أهملت مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية] . ثم تاج الحلبة ذكره ابن خير الأندلسي ، التاج في كيمية العلاج ، تاج المجاميع ، التاج المرصع في شرح رجز أبي مقرع ، تاج المعارف وتاريخ الخلائف ، تاج المفرق في تحليسة علماء المشرق ، وهذه الكتب موجودة بخزانة باريس الأهلية . ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي ، آلم الخ .

إلى هنا آتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذي بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا في أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...

+

بقي علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

فن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... آالجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحوًا من ٣٦٠ مؤلفًا، رآها سبط ابن الجوزي كلها تقريبًا في مشهد
أبي حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئًا من أسمائها في "مرآة الزمان" .

ولما كان الجاحظ لم يُشر في مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جدًا من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر في شك مُريب .

نغارة في أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

ويزداد هذا الشك متى قلنا بأن أسلوب الكتاب في مجوعه قد لا يوافق ما هو معروف
من كتابة الجاحظ وظرافته وبجائته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألغاز .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عاداته في الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يؤبه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آداب وأخلاق لا دفتر تبين وبيان، وأنه
خاص بموضع معين محصور في أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذي
ربما يعلق ببعض الأذهان .

كتاب التاج

نعم ، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل مآراقه من الآداب التي دقنها الفرس في آيينهم وقوانينهم^(١) ، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات ، فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض ، ولم يكن له مجال يتبسط فيه ويسرح ، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح . كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد ، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كلما تراءت له سائحة أو هزئة نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي البأية الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج ، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) البأية معناها : الحد ، الوجه ، الخصلة ، الشرط ، القيل ، النوع . وأستعملنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : " فليس الديك من بأية الكلب ، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا " . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : " وقد أيقنا أنهما ليسا من بآيته " . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أبياتا لتميم بن مقبل ، هذا محل الشاهد منها :

بنى عامر ، ما تأمر وتبشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلبيين الأولين من الشعار الثاني من البيت الأول (كما صحف وحرف ومسح وشوه في كثير من المواضع التي لا تعد ولا تحصى) فأوردها هكذا "يجبر بآيات" ولكن الصحيح ما أورده هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأزل في مادة (ب وب) مثل روايتي وقد فسر به قوله : معناه تخير هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البغلاء : " أنت من ذى البأية ... " وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البأية " (ص ٤٥ ، ١٤٣) =

للمحاضر

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنته "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يجانسها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سمجايه.

== ومثل ذلك (في نفع الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة لندن، ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إنما أزرى بقدرى أننى «تست من» بابة "أهل البلية..."

وفي "تاج المروس" ما خلاصته : "هذا بابته أى شرملة ؛ وإذا ذال الناس : من باقى ، فعناه من الوجه الذى أريده ويصلح"

والبابة فى الحساب والحدود ونحوه الغاية .

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق ما للهند" : وبسببه أقول فيما هو باقى منهم ... (ص ١٢) .

وفي "شفاء الغليل" انهم يقولون للرب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتورية بديمة فى أشعار رائقة . فأنظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "فكانوا مثل بابات خيال الظل : فشىء يجىء وشىء يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧) .

(١) أنظر ص ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٨٠، ١٥١، ١٧٤، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٧٤، ٣٠٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٤، ٥٢٤، ٥٣٤، ٦١٤، ٦٢٤، ٦٥٤، ٦٦٤، ٦٧٤، ٦٨٤، ٦٩٤، ٧٠٤، ٧١٤، ٧٢٤، ٧٣٤، ٧٤٤، ٧٥٤، ٧٦٤، ٧٧٤، ٧٨٤، ٨٣٤، ٨٥٤، ٩٠٤، ٩١٤، ٩٤٤، ٩٩٤، ١٠٢٤، ١٠٣٤، ١٠٤٤، ١٠٥٤، ١١٢٤، ١١٣٤، ١١٦٤، ١١٧٤، ١١٨٤، ١٢٠٤، ١٢١٤، ١٢٤٤، ١٢٥٤، ١٢٧٤، ١٢٨٤، ١٣٥٤، ١٣٦٤، ١٣٧٤، ١٣٨٤، ١٣٩٤، ١٤٠٤، ١٤١٤، ١٤٣٤، ١٥٠٤، ١٦٧٤، ١٧٠٤، ١٧١٤، ١٧٢٤، ١٧٣٤، ١٧٧٤ .

كتاب التاج

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزرابة على طبعه وتجزئته.

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين". فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار، كما كانت له شهرة أو تجددت لديه الفرصة، بل كما تراى له شق ضئيل يفضي به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدم له في بعضها الآخر. فإذا علمنا ذلك كله، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا. نحن نجد ذلك، بله نجد ما هو أبلغ.

أما تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين"^(٢)؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج" في موضع واحد^(٣). ومثلها كتاب "البخلاء" في موضع واحد أيضا^(٤).

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢؛ ج ٣ ص ٥١؛ ج ١ ص ٦٩؛ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظر ما أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و (ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ من ص ٥٣، ٥٤) و (ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١).

(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩).

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبي سبرة وتبدا الأدلي، نراها بنصها وحرفها تقريبا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

للملاحظ

فلو كان المؤلف رجلا غير الملاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرّة واحدة - إلى المتقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان آستعمل عبارة مبهمّة تفيد النقل على أي وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب ، كما أغار غيرهم على كثير من بقة الآثار التي ديجها بنان الملاحظ . وقد أشرت إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشي التي حليت بها صفحات هذه الطبعة ، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثرا محسوسا ملموسا نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الملاحظ . فهذا المسعودي ، قد آستحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطرت لنقل حكم الملاحظ ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل آكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢) .

وهذا البيهقي ، هذا حدو المسعودي . ولكنه تحبّط عند ما نقل حكم الملاحظ والحديث الذي يرويّه عن ألقاه إليه^(٣) .

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٣ و ٤) فيها ، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و (حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

كتاب التاج

وهذا صاحب "محاسن الملوك". سطا تلى "التاج" فنقله كله تقريبا : تارة بالحرف وغالبا باختصار . وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يترك الجاحظ قط ، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه باسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها ^(١) .

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها ، كما يقول الجاحظ ، قائما في العقل مُطَرِّدا في الرأي غير مستحيل في النظر ^(٢) - فإنها ، والحق يقال ، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذى يحسن التسليم به والسكوت عنده ، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذى تثلج به الصدور . ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة ، والجمع الظاهرة الساطعة ، والشهادات القائمة اللامعة ، التى ينتهى إليها العلم ، ويقف عندها البيان .



وحينئذ فلا سبيل لإزالة الإبهام واستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا استفتينا رجلين هما عمدة التحقيق فى هذا الباب ، لأن قولهما هو الفصل الذى لا نقض فيه ولا إبرام . أعنى بهما : محمد بن إسحاق النديم ، وأبا حيان التوحيدي الكاتب الشهير . فكان حقا علينا أن نسألهم ، فعند جهينة الخبر اليقين .

مراجعة العيون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذى ألفه العلامة ابن النديم ، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ فى ليبسك ، مدينة العلم بألمانيا . ولكننا لا نرى فيه شيئا عن الجاحظ ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد .

استفتاء ابن النديم ،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها .

(٢) نخب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧) .

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالجاحظ ؟

آلهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة^٢. وقد ثبت ذلك مثل وصح النهار، بأمر ثلاثة :

أزما - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٣) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإخصائي . لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "المختص" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل ، وهو كما يرون . فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصى الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصائغاني . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسبه إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "إختص فلان بالأمر وتخصص له إذا أقرد" . فإن كان أخصاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جاري بناهم ؛ ولكننا دفعنا اللبس المائق بأختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ٣١٥) ثم (ج ٢) حواشي (ص ٨ و ١٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٧٠ و ٣٧٦ و ٤٣٢ و ٤٣٥) ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

كتاب التاج

ثانيًا - أن الأستاذ هوتسما Houtsma ذكر على جملة تراجم^(١) مما كتبه ابن النديم (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا نُتْفَة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مُشَاحَة في أنها كانت مبثوثة في فصل كبير طويل.

ثالثًا - (وهو أبطنها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء"، ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورّاقه^(٢). ونحن نبحث على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبقَ بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفاً وافياً، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلّقت همتي بمواصلة البحث واستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : راصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أحمرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراوندي، الناشي، أبو علي الجبائي، الرماني، ابن زبير، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (WZKM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، وراق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت^(١) بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكي جامع^(٢) ، والثانيتان في مكتبة الكوپرلى^(٣) .

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُبْطِ همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصبغة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فاحرة إلى خزانة كتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على «الواسطة» المعتلى ، وينتهي إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة^(٧) . ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالٍ لكلام آخر تقدم طيه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسماء الكتب المسماة بالتذكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبّه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطة" .

كتاب التاج

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتلة. وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هو تسيا هو متقدم أيضا على الواسطى المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بله في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . ولكن أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيب : ” قَطَعَتْ جَهِيْزَةُ قَوْلِ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن استسبب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أتربص إلى أن تُتيح لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست “ فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج “ أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تزيظ الجاحظ “ . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء “ وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . خير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد استوعب فيه الكلام من الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد استوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كف المتناول “ ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول “ ؟

استفقتا. أبو حيان
التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٦٩٠٥٨) في ترجمة الجاحظ .

للجاحظ

بحث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيهة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

ترك جانباً ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول :

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة بـ "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم : الفتح بن خاقان ، ومحمد بن الحارث الثعلبي . (أو الثعلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

التعريف بالفتح
أبن خاقان

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراماً شديداً . وكانت له خزانة حكمة لم ير الناس أعظم منها : كثرةً وحسناً . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما استكتبه الفتح نفسه ^(١) .

وقد كان يشمل برعايته كثيراً من أكابر العلماء ^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوكة ^(٣) . ومن كان في جملة المفضل بن سامة اللغوي المعروف ^(٤) .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب اناديبوية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

كتاب التاج

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله ^(١) . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هى من غرر ديوانه ^(٢) . وصنف جماعة منهم كتباً باسمه - أى قدموها إليه - ومن جملتهم
الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف باسمه "كتاب
القبائل الكبير" ^(٣) . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسئى
"أخلاق الملوك" الذى سيأتى الكلام عليه غمما قريب .

فلا غرابة أن رجلا مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضا من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والقاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثتان واسعتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .

(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أقلاد مطبعية كثيرة .

رايست المخطوطات من الطراز الأزل من حيث الصعة والغبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحسبنا .
ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يالها الملوك
والأمراء والورداء والسادات . ونحن نعلم أنه كان فارسا مقداما وأنه تثل أسدا ،
على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحتري .

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث .

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من
الأدب^(١) . ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه
"منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢) .
وهكذا الصنفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب
البستان هذا، وقد قال عنه : "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس
البغل، ونسبه إليه"^(٣) .

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد
أشتهر بعده بأسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه .

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محذوا عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد
بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مرجع الذهب (ج ٧ ص ١٩٢) .

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست .

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (من القطعة السابق ذكرها قبل) .

”الوافى بالوفيات“ لم يذكر أن للوزير كتاباً باسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“ . لأنه ربما يكون قد فاتهم ، هذا إن كان . ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح ، أو لمحمد بن الحارث ، أو لمجاهد .

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذي بأيدينا . لأن كتاب ”التاج“ يتضمن في قوله وفي آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتنويهاً بذكره ، وينادي صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١) . ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذي ألفه محمد بن الحارث أو الجاحظ باسم الفتح ، ثم نتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلي كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“ . ولسنا نجث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم ، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود في النسخة المطبوعة^(٢) .

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصددده .

بقى علينا أن نجث عما يتعلق بابن الحارث الثعلبي (أو الثعلبي) الذي يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“^(٣) .

كلام عن محمد
ابن الحارث

أنا لا أمانع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير . وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الجاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج .

(٢) ففي نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر . مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التي ثبت أنها من تأليف الكوفي . أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣) .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨) .

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما ترى المتعاصرين يؤلفون كتباً
بعنوان واحد ويقدمونها إلى سرى^(١) واحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف
محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ،
والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب
الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حينئذ شأن
كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ،
ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "سروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبى
صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن
النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة
فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

كتاب التاج

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما اعتمدوه في طبع "الاروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهروست" في لپسك^(١) ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتبره برهنا حاسما في أن هذا الكتاب الذي بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فعمالوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل أرتياب وتجبلى به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استفتاء الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير : أسلوب فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، وله رشاقة ، أسلوب تتجلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطابع المتمكن ، والمعانى التى إذا طرقت الصدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحت من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وشأياه وأعطافه ، وجدناه حاليا بعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والتف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصائغه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد ، ورب الكلام الذى له ما

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تحريفا كثيرا . كما أشرنا إليه في إحدى الحواشى المتقدمة (٤٠) .

ورونق ، وفيه قزة العين وجلاء الصدور . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو
معهود عند نُقاد الألفاظ وصيارفة التثاثر والنظام وجهابذة المعاني .

والشاهد الصادق والمجبة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجمل حُلّة عند ما ينظر
القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، التي تدخل على
الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة ويتهيج قواده حيال
تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ" ، إلى ما هو معروف عنه
من السهولة والعذوبة التي تحبسه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ ،
ونشهد اللفظ يجارى المعنى : بطريقة تَهشُّ لها الأسماع ، وتلتحم بالعقول ، وترتاح
إليها القلوب ، هنالك نجد اللفظ كريما في نفسه ، متحيزا إلى جنسه ، متخيلا في نوعه .
هنالك نرى الكلام سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا ، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا ، وترك للقارئ
مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإننا ندري الملك يحتاج إلى الوضع للهوى ، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته ،
كما يحتاج إلى الناسك لعظته ؛ ويحتاج إلى أهل المزل ، كما يحتاج إلى أهل الجدة والعقل ، ويحتاج إلى الزامر
المطرب ، كما يحتاج إلى العالم المتقن .

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

وفي صفحة ٢٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وصيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا ابن صناعة دنيئة كآبن حائك أو نجّام ، ولو كان يعلم الغيب مثلاً .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرحة إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأحراها بأحلافه أن لا يؤاخذ به بزلة إن سبته ، ولا بلفظة إن علبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والحدى ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حُلّ ونفسه رمى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذه ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذه مامعه ، قاتله دونه ، وكان إذا شتم ، غضب وأنصر ، وإذا تكلم ، أنصح بقل سقطة : فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أنها وبقصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . وإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وسفاهته .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملقونة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أغم على رأسه رصافية بهامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تصم يده منه . فنظر إلى هيئة ملأت قلبه ، وكان جسياً ، فقال : "يا إبراهيم ! لقد جئتني في لسة وهيئة ما تصلح إلا لواحد من الخلق" . فأنصرف فلم يأت حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من سماته ، والرجل من حامته وبطانته : إما لجناية في صلب مال ، أو لجناية حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلاً ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نكنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنايات وعد أول بوادر الغضب .

بعض مصادره

ثانيا - إن بعض المصادر التي عول عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "الجاحظ".

فقد آتت الجاحظ على ابن نجيح^(١) وعلى إبراهيم بن السدي بن شاهك^(٢) وعلى محمد ابن الجهم^(٣) وعلى صباح بن خاقان^(٤).

وكذلك شأنه في النقل عن^(٥) "كثيلة ودمته".

أما المدائني والهيثم والشرقي بن القطامي، فالتقل عنهم كثير جدا في كل كتبه. فلا نطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصدد.

تكرار الجاحظ
وترداده

ثالثا - إن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد. وهو أمر نشاهده أيضا في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما نراه :

(١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩).

(٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠، ج ٤ ص ١٣٥، ج ٥ ص ١٠٣، ١١٩، ج ٧ ص ١٢) وفي "البغلاء" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١، ٤٤، ٥٤، ٦٠، ٧٩، ١٢٩، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "العتق والنساء" (ص ١٦٧).

(٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البغلاء" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٢٤ و ٣٥).

(٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦).

(٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨، ج ٧ ص ٣٠٤، ٢٩).

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ١٧، ٤٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكيفية الشرب وكيفيته (ص ٢٢، ٤٩، ٨٩)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حليث الملوك (ص ٥٣، ١١٢)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ٤٩، ١١٢، ١١٧)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢-٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦١، ٦٨)؛
 - ٧ - في دلالة على وجوب الاحتياط على الملك عند الدثومنه (ص ٥٣، ٧٠).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

شارته إلى كنه
المتفردة

رابعاً - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

واعل قاتلا يقول ، إذا رأنا قد حكمنا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأدلتك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النقط الأعلى . أنت تجده ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . وبالله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"البستان" لا تحتمل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتى ضنّ بها علينا الزمان ؟

بعد التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظاره المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه ونصحيح مسوداته وتجاريبه ، ثم أُنقطعت لكتابة "التصدير" وتكيل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة الأميرية الإذن بأعتاد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار سافت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير أنتظار . فتمد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من المدين يتعاطون تجارة التعائف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما أشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة مامعه من الأسفار ، فتصفحتها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتبراجي وسروري حينما عثرت في حملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرع فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسميها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعتي كلمة كلمة وحرنا حرفا . نألفيت في "الحلبيّة" أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التي أعتمدتها في طبعتي، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أنكأ عما في "الحلبيّة" من التحريف الذي قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد ، ولا عما تضمنته من الحروف والكلمات الرائدة أو الناقصة ، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذي يعينني منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التي فيها فائدة جوهرية ، أو قد يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هي التي أكتفيتُ بتحريرها في باب عنوانه باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيجات" حتى يكون "التاج" متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لي وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة آيا صوفيا (سـ٢) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير ، فلا بد لي من أن أقول في هذا المقام إنني أكلتُ كلاً من هاتين النسختين بالأثرى ، وأتعبتُ نفسي كثيرا في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات ، ومن تشويهاات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأنني شئتُ عن ساعد الجسد ، وراجعتُ كتب الثقات ، وبذلتُ بل ما في الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور ، حتى جاءت طبعتي لكتاب "التاج" جامعة لكل ما جاء في النسختين المذكورتين على قسطاس مستقيم ، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق ، ويستغني بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة بثبوت حاسم في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناه قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

رامروز

لكتاب أرسله لي أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثسوسكي . وقد كان قابلني بالقاهرة وفاوضته في شأن " التاج "،
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكي يعرف قومنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتفانيهم في البحث عنها . وإني
أشكره على هذه العناية ، وأُهنئه على بلوغه في فن الإنشاء العربي هذه الغاية .

(كما تراء في الصفحتين التاليتين)

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى	محاسن المملوك	مروج الذهب	تنبيه المملوك
ح ١ ص ١٠٦	ح ٨ ص ١٣	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٢ ص ١٠٨	ح ٣ ص ١٤	ح ٣ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٢ ص ١١٠	ح ٢ ص ١٦	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ١ ص ١١٢	ح ٤ ص ٢٣	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٢٧	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٦ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٢ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ١٢٧	ح ٤ ص ٥٥	ح ٢ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ١٣٤	ح ٣ ص ٥٦	ح ٢ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٤ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٩	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ٢ ص ١٦٩	ح ٢ ص ٧٣	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٦ ص ١٦٩	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١١٢	
ح ٥ ص ١٧٠	ح ٣ ص ٧٨	ح ٢ ص ١٣٠	
ح ٢ ص ١٧١	ح ٣ ص ٧٩	ح ٢ ص ١٣١	
ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ١٣٢	
ح ٣ ص ١٧٥	ح ١ ص ٨٨	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٤ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٤ ص ١٧٦	
ص ١٩٧	ح ١ ص ٩٥		
ح ٢ ص ١٠٢			
ح ١ ص ١٠٤			
المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطسبري	الأغاني
ح ٢ ص ٦٥	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢
ح ٢ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤
ح ٦ ص ٦٧	ح ٢ ص ٨٢		
ح ١ ص ٨٨			
ح ٣ ص ٨٨			
ح ١ ص ٩٧			
ص ٢٠٠			
نهج البلاغة	المستطرف	صبح الأعشى	مطالع البدر
ص ١٩٠	ح ٥ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٨
ص ٢٠٢	ح ٤ ص ١٦٩		

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة
مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكمل للثنى، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندى .

٢ - الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة
خمس.

الأرقام المكتوبة في العلة () على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى اعتمدتها في الطبع) .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقاقه وفهارسه ، فوضعت في أعلى الصفحات مثل
المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

٣ - الحركات

هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .

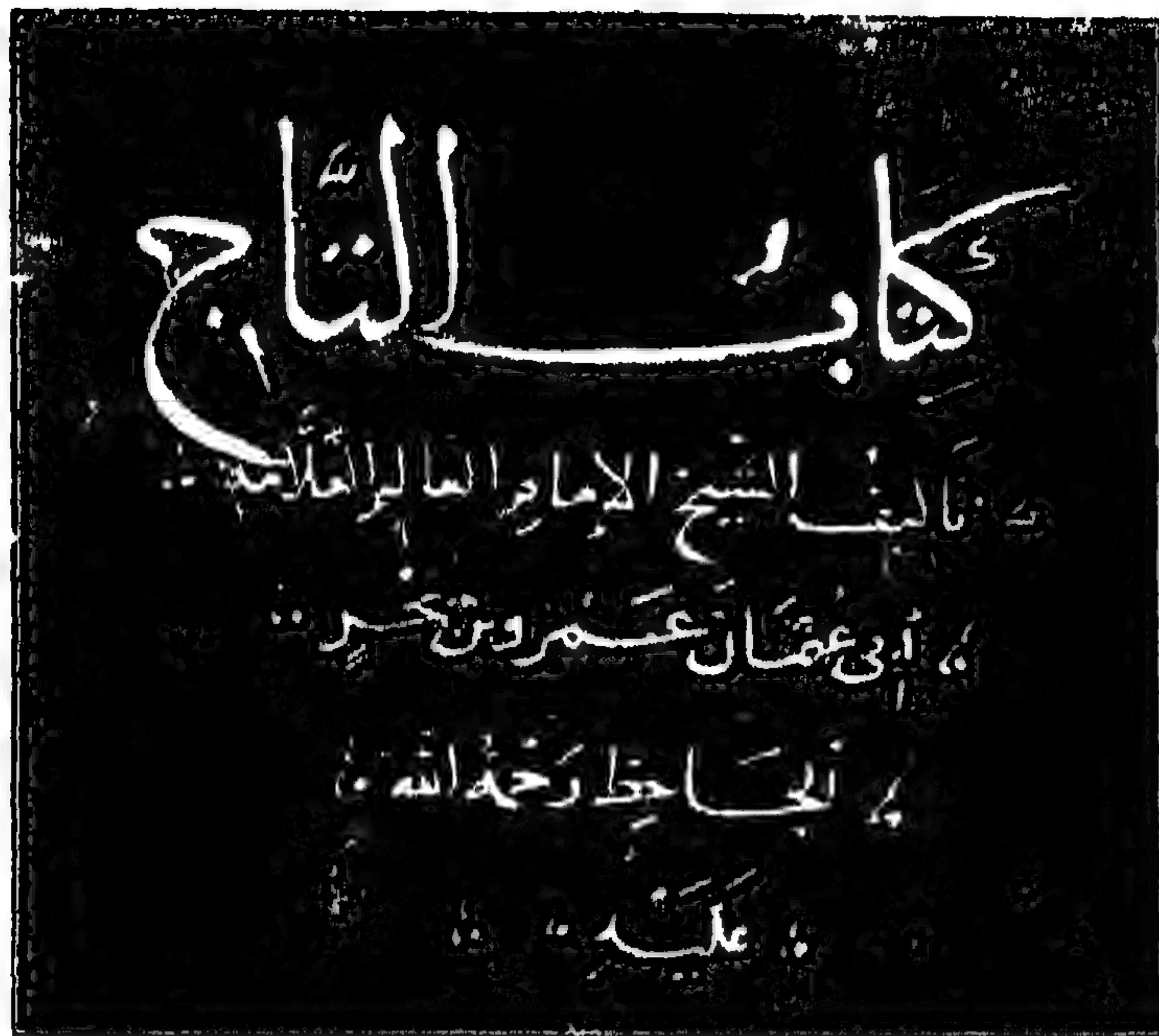
» » » » بكسرتين ، كما أن = تدل على الشدة بفتحتين .

عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (~) . إلا إذا جاءت
هذه الألف في أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - -) لئى تكرن ممتازة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

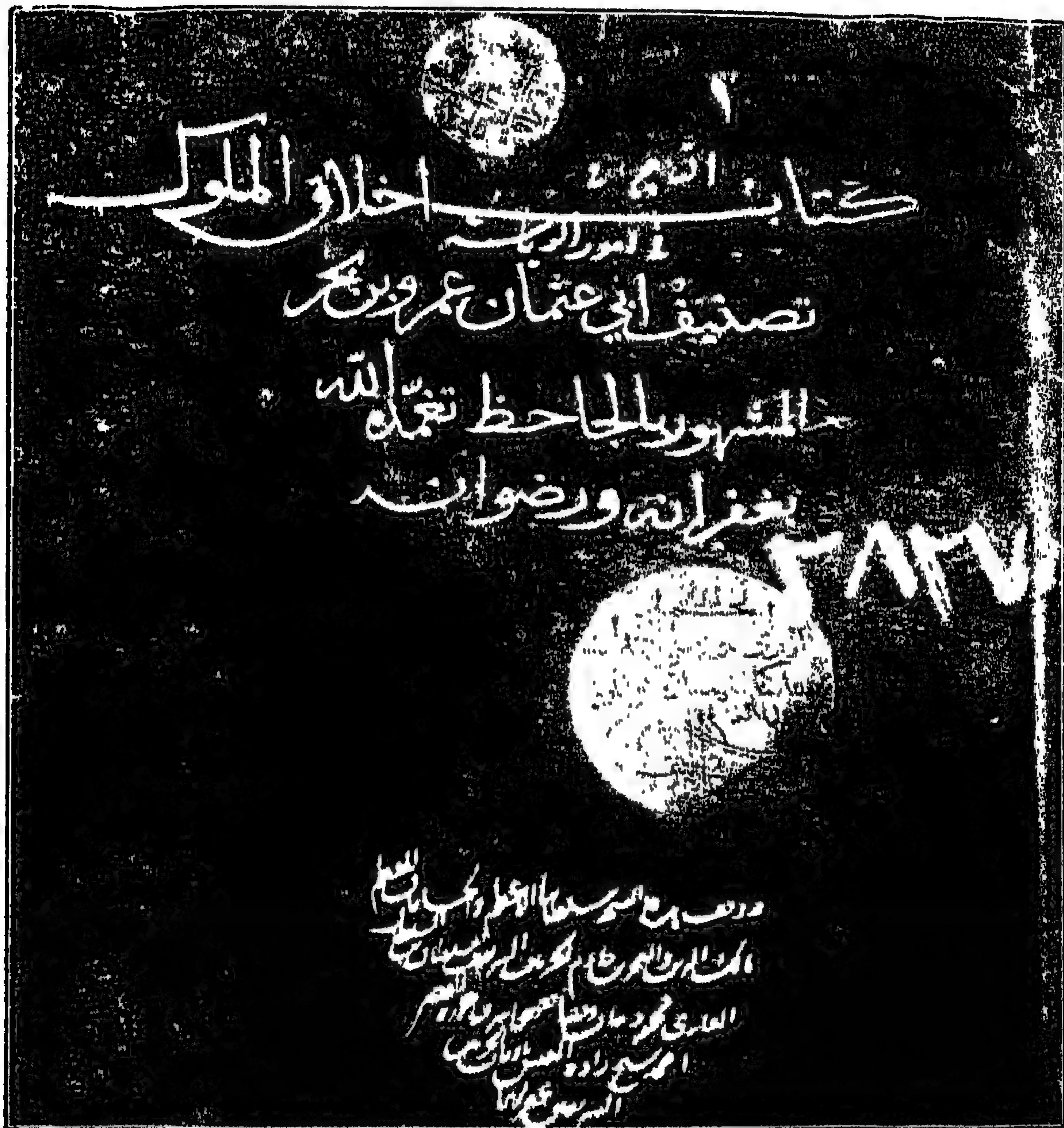
- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال؛ اللهم إلا إذا كان مما يمجّه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر، معتمدا على المصادر المعتبرة .



(الرموز الأول)

تتمثل فيه طائفة النسخة السلطانية (الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سه)

وهذه النسخة محفوظة بجزيرة طوب قبو بالقسطنطينية، رقم ١٣٣ أدب.



(الرموز الشان)

تمثل به طرة النسخة الثانية المحمودة بخزانة أياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز لها تعرف صمد في هذه الطعة

أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قَتَلَ أَبَوَيْكَ بِكَ وَمَلَأَ كَفَّكَ مَا كُنْتَ أَحَقُّ بِهِ
 مِنْهُ وَأَرَادَ بِحَالِ سَائِلٍ مِنْ جَبَرِيَّتِهِ وَعُتُوِّهِ وَتَجَلُّهِ وَتَسْكِينِهِ
 فَانْتَهَى عَنْ ذَلِكَ بِأَخِيهِ بِالْحَدِّ وَبَقِيَ بِالْأَخِي وَبِخِيَرَةِ الْبَرِّ وَتَعَلَّى
 بِالْمَوَدَّةِ فَقَالَ سِرُّهُ لِلْحَبَابِ أَجَلُهُ إِلَى تَحُلُّ قَتْلِهِ
 كَمْ كَانَتْ أَرْزَاقَكَ فِي حَيَاةِ أَبَوَيْكَ قَالَ كُنْتُ فِي ذِمَّةِ مَنْزِلِ الْعَيْشِ
 قَالَ فَكَمْ زَيْدٌ فِي مَرْزُقِكَ الْيَوْمَ قَالَ مَا زَيْدٌ فِي مَرْزُقِي شَيْءٌ
 قَالَ فَهَلْ أَبْرَأْتَ أَبَوَيْكَ فَانْتَصَرْتَ مِنْهُ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْكَ رِزْقًا
 وَلَا تَتْرَكَ فِي نَفْسِكَ وَمَا لِلْعَانَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمُلُوكِ وَمَسْرُ
 رِجْلَيْهِ فَأَمْرًا أَنْ يَرْجِعَ لِسَانَهُ مِنْ قَتْلِهِ فَقَالَ يَحْقُوقُ مَا يَكُونُ
 أَوْ الْحَرْسُ جَعَلَ مِنَ الْبَيَانِ بِمَا لَا يَحِبُّ (ر) وَحَسْبُ لِي
 حَبَّاحُ بْنُ خَاقَانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عَمْرُوًا أَدَّى بِرَأْسِهِ
 أَبْرَهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَاءَهُ صُرْ أُولَئِكَ
 الرُّؤْيَا فَضَرَبَ الرَّاسَ بِتَوْدٍ كَانَ يَدُهُ فَقَالَ
 الْمَضْرُوبُ لِلْسَّبِّ ذُقْ وَجْهَهُ فَذُقْ الْمُسَبِّبُ أَنْتَ ثُمَّ قَالَ لَهُ

(الراموز الثالث)

تتمثل فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل،

ويقابلها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة).

الآن وعرفت غرضه فقلت آخذ سبعين وكتب ثلثون قال شاكك فأنصت
 بسبعين بدعاً وانصرف لك الموت عن النار قال وكان الرشيد
 في اخلاق ابي جعفر مثلهما كانا الا في العلية فانه كان يتزلفا
 ابي العباس والمهدي ومراخبرك انه رأى يشرب الماء فذبه وكان
 لا يحضر شربه الا خاص جواربه ومنهما طرب للذآه فتحرّك حركه بين
 الحركتين في القله واكثر وهو من بين خلفاء بني العباس من حله
 المغنيين مراتب وبلدات على ما وضعهم ارد شير وانو شريان وكان
 ابراهيم وازن جامع وزلزل في الطبقة الاولى فكان زلزل يعزب في نقي
 هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن سنان وغيره والعرال ومن
 اشبههم بالطبقة الثالثة اصحاب المذاذب والزوج والطناير
 وعلى قدر ذلك كانت خرج جوارهم وملاهم وكان فاضل
 واحداً والطبقة الاولى بائناً لكثير الخبير جعل لصاحبه الذين
 معه في السعد نسباً منه وجعل للطبقين اللتين تليانه منه

(الرموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩ ،
 ويتألفها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو النوايين المفيد والمقاصد الجليل
ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخر وهو الحليم
الخبير **احمد** على تنابع الآيه وتواثر نعمائه وترادف مننه واستوفته
لما يرضيه ويرضى فيه **واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبه له ولا يشبه**
الذي جل عن الاجزاء والتبعض والتحديد **والتمثيل** والحركة والسكون
والثقلية والزوال **والالتصريف** من حال الى حال **لا اله الا هو الكبير**
المتعال **امابع** فان الذي جذا لنا على وضع كتابنا هذا من ان
الله عز وجل لما نخص الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومكن لهم في البلاد
وخولهم امر العباد **اوجب** على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع **لم** فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اكثر
العامة وبعض الخاصة لما كانت تجهل الاقسام التي يجب للملوك عليها
وان كانت متمسكة بملة الطاعة حصرنا اذ ابنا في كتابنا هذا لان نجعله

عبداللہ قزوت فی العدة فقال کذبت فبعت وقال یا نفس من
 این علم انی کذبت فانت سنه لا اجترئ علی کلامه ثم رفعت الیه
 رقة اخرى فی اجر الرزق فقال کم عبداللہ قلت اربعة فقال
 صدقت فوقع فی حاشیتی بخری علی عیاله کذا وکذا ولولا ان یطول
 الجواب فی اسحق و ذکر وجینا مناقبه لیکننا عنه اخبارا کثیره
 وهی من هذا الجنس وینما ذکرناه بکفاية والله اعلم بالصواب

نستیع

صالح

المجلد الثانی من هذا الكتاب
 المكتبة المملوكة لآل عثمان
 ليراجع في هذا الكتاب
 من غير ان يترك في هذا الكتاب

(الاموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليية

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعتنا)

كتاب التاج

للجاحظ

بمحقق أحمد زكي باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ»

أحمد على تتابع آلاءه، وتواليثر نعمائه، وترادف منته، واستهديه واستوفقه لما
يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبهة له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء
والتبعض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والنقلة والزوال، والتصرف من
حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال!

«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه ونبيّه! ابتعثه على فترة من الرسالة وطُمُوس
من الهداية ودروس من شرائع الانبياء والمرسلين» ^(١) «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكَافِرِينَ» والعرب، تندُّ أولادها وتنسافك دماءها وتبأوح أموالها وتعبدُّ الآلات
والمرؤى ومناة الثالثة الأخرى. فصعد بأمر ربه، وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن صـ.

(٢) الوارد في صـ: «تتأرجح». ولما كان السياق يدل على التماهب واستباحة الأموال، فلذلك صححت

الكلمة بردها إلى مادة (ب رج) . قال في لسان العرب: «والإباحة شِبْهُ النَّبِيِّ، وقد استباحه أي آتبه» .

على أني لم أعر على هذا الحرف مستعملاً بصيغة التماهل .

دينه، وجاء بما أعجز الجز. والإنس أن يأتوا "بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا." فمسلى الله عليه وعلى جميع المرسلين! وخصه بصلاة من نوافله دون العالمين! وعلى السلام ورحمة الله وبركاته! (١)

أما بعد،

فإن الذى حدا إلى وضع كتابنا هذا معان:

منها أن الله (عز وجل) لما خص الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكن لهم فى البلاد، وخولهم أمر السباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم وتقريظهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم. فبال فى محكم كتابه: "وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات." وقال عز وجل: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم."

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التى يجب للملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بمجسلة الطاعة - حصرا آدابها فى كتابنا هذا لنجعلها قدوة لها وإماما لتأديتها. (٢)

وأىضا فإن لنا فى ذلك أجرين: أما أحدهما فليما نهبنا عليه العاقبة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر فليما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها ورد كل نافر إليها.

ومنها أن سعادة العامة فى تجهيل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابك: "سعادة الرعية فى طاعة الملوك، وسعادة الملوك فى طاعة المبالك."

(١) الفقرتان المصورتان بين نجمين * مأخوذتان عن ص.

(٢) فى صه لتأديتها.

ومنها أن الملوك هم الأتقياء والرعية هم البناؤون وما لا أس له مهديم.
ومنها أنا ألفنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة^(١)،
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب^(٢)
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضّلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضع ولا خامل؟

بلى قال تعالى حكاية عن مضي منهم: "وَرَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَ." وقال تبارك اسمه: "اتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ اللَّهِ." ١٠
وقال جلّت عظمته: "أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي جَآءَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ." ١٠
وقال جلّ وجلّ: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ." ١٥
وقال تقدست أسماؤه: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْيُنَ أَهْلِهَا أَعْيُنًا." ١٥

وقال تبارك وتعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ." ١٥
وقال عز وجلّ، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعتى خلقه وأشدّهم عنوداً
وصدوقاً عن أمره: "إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَينًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى." ١٥

(١) فسرّها في صـ بالشجاعة. وحينئذ تكون مائلة للفظه Héroïsme عند الفرنسيين.

(٢) في صـ: طبعنا.

فَلْيَفْهَمِ الْحُكَمَاءُ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةَ الَّتِي وَصَلَتْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِغَةً وَتَنْبِيْهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ شَيْبَانَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا" قَالَ: كَنِيَّاهُ ^(٢).



وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهُمَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْمَخَاطَبَةِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَامِيِّ مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ آذَعُوا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَحَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرُّسُلَ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا، وَحَفِظَ شَرَائِعَهُ وَفَرَائِضَهُ، وَقُلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ، وَجَعَلَهُ الْجُمَّةَ بَعْدَ مُجْتَمَعِهِ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَرَأَيْنَا - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْآدَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ نَتَلَفَّى مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخَصَائِصِهَا

إهداء الكتاب

هَذَا الْأَمِيرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَا

وَعَلَى طَلَبِهَا مَثَابِرًا، وَفِيهَا وَفِي أَهْلِهَا رَاحِبًا، لِيَبْقَى لَهُ دُرَّةٌ وَيُجَاوِزَ بِهَا سَائِرُ بَنِي السَّبِيحِ وَالظَّلَامِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالْإِعَانَةَ!

(١) فِي ص: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ مُقْدَامٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ [وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ]

(٢) فِي هَامِشِ ص: "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُنْيَ: أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مُرَّةٍ" - وَأَنْظُرْ كِتَابَ التَّفْسِيرِ،

وَأَنْظُرْ "الْمُسْتَطَرَفُ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَطَرَفٌ" لِلأَبَشِيِّ (ج ٢ ص ٤٤).

(١) الفاتحة

* وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصف أخلاقه، بل نعيّز عن نهاية ما يجب له لو رُمنا
شرحها . وأيضا فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكلف وأغور ذهن
وأحد فكري، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم، ولا يُحيط بها فكر. وأنت تراها
تتزايد منذ أول ملك ملك الدنيا إلى هذه النهاية . ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلا، وبالجمم معارضة .^(٢)

ولعل قائلًا يقول: إذا رأنا قد حكمنا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين
من آل ساسان وملوك العرب : " قد ناقض واضع هذا الكتاب، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية . " فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك^(٣)
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهده عينك
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سير من مضى وسير من شاهد .
وبالله التوفيق ! *

(١) وضعنا هذا العنوان لل فقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص ١٥

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : وتشهد عليك بيانا .

باب

١٠

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

الاشراف
وسلامهم وتعودهم
وانصرافهم

١٠ إن كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه ^(١) بالموضع الذي لا ينأى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً. فإن استدناه، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبلها. ثم تتحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أوماً إليه بالعود، قعد؛ فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة، وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظارٍ أمري.

الايواسط
سلامهم وتعودهم
وانصرافهم

١٠ وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائياً عنه. فإن استدناه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها. ثم وقفت أيضاً، فإن استدناه، دنا نحواً من دُتوه الأول، ولا ينظر إلى تعقب الملك في إشارة أو تحريك جارية، فإن ذلك، وإن كان فيه على الملك معاناة، فهو من حقه وتعظيمه،

١٥ وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه - وكان له طريق ^(٢) عن يمينه أو شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انصرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً للملك. فإن سكت عنه، انصرف راجعاً من غير سلام ^(٤)

(١) أي الداخل.

(٢) صه: لفت.

(٣) هكذا في سه، صه. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نروجهما لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صه: عن.

ولا كلام. وإن استندناه، دنا خطى وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استندناه، دنا خطى أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قعد مقعيا أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع القهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو مسلك لا يحاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.



وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبع والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطى ويعاتقه، ويأخذ بيده فيقعه في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن تجسسه حفظه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت صفات بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادي والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للبوار وداعية إلى التحارب.

استقبال الملك
للسايرين له
وتدعيمهم



وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفتة الانصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطى يسيرة، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سه : "مقنعا" بدون إيراد "جاثيا" التي تليها. وأقنع الرجل رأسه نسيه أو لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويجعل طرفه موازيا. (قاموس). [وأنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) سه : الشريعة.

(٣) سه : خدمه.

وقد قلنا إن من حق الملك أن لا يُطِيلَ أمدُّ عنده القعود، فإن أخطأ غطى
في ذلك، فَمِنْ إِذْنِ الملك له بالانصراف أن يلاحظه ^(٢١)، فإذا عَرَفَ ذلك فلم يَقُمْ، كان
من يحتاج إلى أدب، وكان الذي وصله بالملك ظالماً له ولنفسه.

ومن غريب الاتفاقات أيضا أن المتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالماخوة التي قُتل فيه شيوخه أباه كسرى أبرويز، وأن المتصر جلس في بعض الأيام على بساط فخر مزدان بالثقوش.

(الضاميل في "غرد أخبار القرم" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والطيرى سلسلة ١ ص ١٠٤٣، ١٠٦١، ١٠٧٤، ١٠٨١، ١٠٩٦، ١١٠٦، ١١١٦، ١١٢٦، ١١٣٦، ١١٤٦، ١١٥٦، ١١٦٦، ١١٧٦، ١١٨٦، ١١٩٦، ١٢٠٦، ١٢١٦، ١٢٢٦، ١٢٣٦، ١٢٤٦، ١٢٥٦، ١٢٦٦، ١٢٧٦، ١٢٨٦، ١٢٩٦، ١٣٠٦، ١٣١٦، ١٣٢٦، ١٣٣٦، ١٣٤٦، ١٣٥٦، ١٣٦٦، ١٣٧٦، ١٣٨٦، ١٣٩٦، ١٤٠٦، ١٤١٦، ١٤٢٦، ١٤٣٦، ١٤٤٦، ١٤٥٦، ١٤٦٦، ١٤٧٦، ١٤٨٦، ١٤٩٦، ١٥٠٦، ١٥١٦، ١٥٢٦، ١٥٣٦، ١٥٤٦، ١٥٥٦، ١٥٦٦، ١٥٧٦، ١٥٨٦، ١٥٩٦، ١٦٠٦، ١٦١٦، ١٦٢٦، ١٦٣٦، ١٦٤٦، ١٦٥٦، ١٦٦٦، ١٦٧٦، ١٦٨٦، ١٦٩٦، ١٧٠٦، ١٧١٦، ١٧٢٦، ١٧٣٦، ١٧٤٦، ١٧٥٦، ١٧٦٦، ١٧٧٦، ١٧٨٦، ١٧٩٦، ١٨٠٦، ١٨١٦، ١٨٢٦، ١٨٣٦، ١٨٤٦، ١٨٥٦، ١٨٦٦، ١٨٧٦، ١٨٨٦، ١٨٩٦، ١٩٠٦، ١٩١٦، ١٩٢٦، ١٩٣٦، ١٩٤٦، ١٩٥٦، ١٩٦٦، ١٩٧٦، ١٩٨٦، ١٩٩٦، ٢٠٠٦، ٢٠١٦، ٢٠٢٦، ٢٠٣٦، ٢٠٤٦، ٢٠٥٦، ٢٠٦٦، ٢٠٧٦، ٢٠٨٦، ٢٠٩٦، ٢١٠٦، ٢١١٦، ٢١٢٦، ٢١٣٦، ٢١٤٦، ٢١٥٦، ٢١٦٦، ٢١٧٦، ٢١٨٦، ٢١٩٦، ٢٢٠٦، ٢٢١٦، ٢٢٢٦، ٢٢٣٦، ٢٢٤٦، ٢٢٥٦، ٢٢٦٦، ٢٢٧٦، ٢٢٨٦، ٢٢٩٦، ٢٣٠٦، ٢٣١٦، ٢٣٢٦، ٢٣٣٦، ٢٣٤٦، ٢٣٥٦، ٢٣٦٦، ٢٣٧٦، ٢٣٨٦، ٢٣٩٦، ٢٤٠٦، ٢٤١٦، ٢٤٢٦، ٢٤٣٦، ٢٤٤٦، ٢٤٥٦، ٢٤٦٦، ٢٤٧٦، ٢٤٨٦، ٢٤٩٦، ٢٥٠٦، ٢٥١٦، ٢٥٢٦، ٢٥٣٦، ٢٥٤٦، ٢٥٥٦، ٢٥٦٦، ٢٥٧٦، ٢٥٨٦، ٢٥٩٦، ٢٦٠٦، ٢٦١٦، ٢٦٢٦، ٢٦٣٦، ٢٦٤٦، ٢٦٥٦، ٢٦٦٦، ٢٦٧٦، ٢٦٨٦، ٢٦٩٦، ٢٧٠٦، ٢٧١٦، ٢٧٢٦، ٢٧٣٦، ٢٧٤٦، ٢٧٥٦، ٢٧٦٦، ٢٧٧٦، ٢٧٨٦، ٢٧٩٦، ٢٨٠٦، ٢٨١٦، ٢٨٢٦، ٢٨٣٦، ٢٨٤٦، ٢٨٥٦، ٢٨٦٦، ٢٨٧٦، ٢٨٨٦، ٢٨٩٦، ٢٩٠٦، ٢٩١٦، ٢٩٢٦، ٢٩٣٦، ٢٩٤٦، ٢٩٥٦، ٢٩٦٦، ٢٩٧٦، ٢٩٨٦، ٢٩٩٦، ٣٠٠٦، ٣٠١٦، ٣٠٢٦، ٣٠٣٦، ٣٠٤٦، ٣٠٥٦، ٣٠٦٦، ٣٠٧٦، ٣٠٨٦، ٣٠٩٦، ٣١٠٦، ٣١١٦، ٣١٢٦، ٣١٣٦، ٣١٤٦، ٣١٥٦، ٣١٦٦، ٣١٧٦، ٣١٨٦، ٣١٩٦، ٣٢٠٦، ٣٢١٦، ٣٢٢٦، ٣٢٣٦، ٣٢٤٦، ٣٢٥٦، ٣٢٦٦، ٣٢٧٦، ٣٢٨٦، ٣٢٩٦، ٣٣٠٦، ٣٣١٦، ٣٣٢٦، ٣٣٣٦، ٣٣٤٦، ٣٣٥٦، ٣٣٦٦، ٣٣٧٦، ٣٣٨٦، ٣٣٩٦، ٣٤٠٦، ٣٤١٦، ٣٤٢٦، ٣٤٣٦، ٣٤٤٦، ٣٤٥٦، ٣٤٦٦، ٣٤٧٦، ٣٤٨٦، ٣٤٩٦، ٣٥٠٦، ٣٥١٦، ٣٥٢٦، ٣٥٣٦، ٣٥٤٦، ٣٥٥٦، ٣٥٦٦، ٣٥٧٦، ٣٥٨٦، ٣٥٩٦، ٣٦٠٦، ٣٦١٦، ٣٦٢٦، ٣٦٣٦، ٣٦٤٦، ٣٦٥٦، ٣٦٦٦، ٣٦٧٦، ٣٦٨٦، ٣٦٩٦، ٣٧٠٦، ٣٧١٦، ٣٧٢٦، ٣٧٣٦، ٣٧٤٦، ٣٧٥٦، ٣٧٦٦، ٣٧٧٦، ٣٧٨٦، ٣٧٩٦، ٣٨٠٦، ٣٨١٦، ٣٨٢٦، ٣٨٣٦، ٣٨٤٦، ٣٨٥٦، ٣٨٦٦، ٣٨٧٦، ٣٨٨٦، ٣٨٩٦، ٣٩٠٦، ٣٩١٦، ٣٩٢٦، ٣٩٣٦، ٣٩٤٦، ٣٩٥٦، ٣٩٦٦، ٣٩٧٦، ٣٩٨٦، ٣٩٩٦، ٤٠٠٦، ٤٠١٦، ٤٠٢٦، ٤٠٣٦، ٤٠٤٦، ٤٠٥٦، ٤٠٦٦، ٤٠٧٦، ٤٠٨٦، ٤٠٩٦، ٤١٠٦، ٤١١٦، ٤١٢٦، ٤١٣٦، ٤١٤٦، ٤١٥٦، ٤١٦٦، ٤١٧٦، ٤١٨٦، ٤١٩٦، ٤٢٠٦، ٤٢١٦، ٤٢٢٦، ٤٢٣٦، ٤٢٤٦، ٤٢٥٦، ٤٢٦٦، ٤٢٧٦، ٤٢٨٦، ٤٢٩٦، ٤٣٠٦، ٤٣١٦، ٤٣٢٦، ٤٣٣٦، ٤٣٤٦، ٤٣٥٦، ٤٣٦٦، ٤٣٧٦، ٤٣٨٦، ٤٣٩٦، ٤٤٠٦، ٤٤١٦، ٤٤٢٦، ٤٤٣٦، ٤٤٤٦، ٤٤٥٦، ٤٤٦٦، ٤٤٧٦، ٤٤٨٦، ٤٤٩٦، ٤٥٠٦، ٤٥١٦، ٤٥٢٦، ٤٥٣٦، ٤٥٤٦، ٤٥٥٦، ٤٥٦٦، ٤٥٧٦، ٤٥٨٦، ٤٥٩٦، ٤٦٠٦، ٤٦١٦، ٤٦٢٦، ٤٦٣٦، ٤٦٤٦، ٤٦٥٦، ٤٦٦٦، ٤٦٧٦، ٤٦٨٦، ٤٦٩٦، ٤٧٠٦، ٤٧١٦، ٤٧٢٦، ٤٧٣٦، ٤٧٤٦، ٤٧٥٦، ٤٧٦٦، ٤٧٧٦، ٤٧٨٦، ٤٧٩٦، ٤٨٠٦، ٤٨١٦، ٤٨٢٦، ٤٨٣٦، ٤٨٤٦، ٤٨٥٦، ٤٨٦٦، ٤٨٧٦، ٤٨٨٦، ٤٨٩٦، ٤٩٠٦، ٤٩١٦، ٤٩٢٦، ٤٩٣٦، ٤٩٤٦، ٤٩٥٦، ٤٩٦٦، ٤٩٧٦، ٤٩٨٦، ٤٩٩٦، ٥٠٠٦، ٥٠١٦، ٥٠٢٦، ٥٠٣٦، ٥٠٤٦، ٥٠٥٦، ٥٠٦٦، ٥٠٧٦، ٥٠٨٦، ٥٠٩٦، ٥١٠

(٢) في سورة ص: "فَنُؤِذِّنُ لَهُ الْمَلِكَ بِالنَّصْرِ أَنْ يُدْخِلَهُ". وقد صححت الرواية ليستقيم الكلام.

باب

في مطاعمة المملوك

تحقيق الاكل
بمطعمة الملك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحدٍ وأُتي به حتى طاعمه - أن لا ينسقط بين يديه في مطعمه . فإن في ذلك خلافاً مذمومة :

منها ، أن أنبساطه يدل على شرهه ،

ومنها ، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز ،

ومنها ، أن فيه جرأة على الملك ببسط اليد ومدّها وكثرة الحركة .

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد ، إلا أن يكون الأكل كَمَيْسَرَةِ التَّراش أو حفص الأ^(١) . الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط . فأما أهل الأدب وذوو المروءة ، فإنما حظهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأُنس الذي خصهم به .

(١) أورد المسعودي هذين الاسمين هكذا : "ميسرة التمار" و"حاتم الكيال" . وسمى طابع الابشهي أولها "ميسرة البراش" . وقد أوردنا ، هما والرابع الإصغاني ، نوادر كثيرة لطيفة للشاهير الأكلة تكفي بالإشارة إلى مواطنها للرجوع إليها . ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب : أجم ، أبو الحسن بن بكر العسلائن الشاعر ، أبو العالية ، أبو مرة ، أحمد بن أبي خالد الأحول ، أحمد بن أبي ذؤاد ، إسحاق العسائني ، بسرة الأحول ، بلال بن أبي بردة ، الجراح بن يوسف الثقفي ، حنص (أرجاتم) الكيال ، دروان ، دورق القصاب ، زقمان ، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ، العادل الأيوبي (سلطان مصر) ، عبيد الله بن زياد بن أبيه ، عمرو بن مغد بركب ، قاسم التمار ، قف الملقم ، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصمعي ، مزود ، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي) ، ميسرة (البراش أو التراس أو التمار) ، هلال بن الأشعر ، هلال بن سعد المازني ، هلال بن مسعر التيمي ، وزوجته ، الواقف (الخليفة العباسي) . (أنظر "المقد العريد" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦ ، و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢ و ج ٦ ص ٢١٥-٢١٨ ، و ج ٧ ص ١٧٠ ، و ج ٨ =

- * قال: وحدثني إبراهيم بن السندی^(١) [بن شاهك] عن أبيه، قال: دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا بفدائه، وقال للفتى^(٢): أدته. فقال الفتى: قد تغديت. فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن لخطاه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه. فلما رأى الحجاب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إن الربيع لا يقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة؛ فإن شتمت أغضيت على ما فيها، وإن شتمت سألتهم وأتم تسمعون. قالوا: فسأله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف. فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة^(٣) التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت." وإذا ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل".

- ص ١١٠؛ و"كتاب البخلاء" للمحافظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأعاني" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠؛ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧، والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في مازل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبري سلسلة ٢ ص ١٤٠٤؛ و"بدائع الزهور" لأبي إياس (جزء ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرطي ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأعاني" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المدايبي كتاباً في "أخبار الأكلة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.

- (١) ذكره في "تاج العروس" في مادة من د، وأورد له شعراً.
- (٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي [كما في "المحاسن والمساوي"].
- (٣) أي الفتى. [وروى الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨]
- (٤) أي الخليفة.
- (٥) هذه الفقرة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن ص. وقد أوردتها صاحب "المحاسن والمساوي" بعبارة أخرى (ص ١٧٢).

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحرّاني^(١)، قال : "كنتُ أحضر على ما ئدة إسحاق^(٢) ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أنحى الأبرد والناقدي^(٣). فكنتُ أعدُّ على ما ئدته ثلاثين طائراً، فأما الحُلُو والحامض والحار والبارد^(٤)، فأكثر من أن أحصيه، فلا نرأى من ذلك كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما تكسر الخبز بأظفارنا". قلتُ: فما كان ينشطكم؟ قال : لا، ولو فعل ما فعلنا، قال : فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى ننتهب.

وكذلك يجب للملوك أن لا يشروا أحدًا إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف إلى رحله^(٥)؛ إلا أن يكون الآكل أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه، أو من أشبه هؤلاء؛ ويكون أيضا ممن يُقصر بعد الأكل^(٦) ويُطيل المنادمة، ويجعل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء^(٧).

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والنهم، أخرجوه من طبقة الجدة إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير.

عقوبة الشره
عند الفرس

(١) سم: عبد الرحيم. ورواية ص: ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلا بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصنعي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق وهو الذي سيرد ذكره كثيرا في هذا الكتاب.

(٣) سم: "الحرّاني قال كنت أعد على ما ئدة ثلاثين". والتكثير عن ص.

(٤) ص: والبارد.

(٥) أى: نصيب منه. يقال: إنه لقليل الرزق من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) ينسبه.

(٧) ص: "هؤلاء ولا يكون إلا من يقيم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد الملوك للشرف لا للسرف".

والملك - وإن بسط الرجل ل طعامه - فمن حقّه على نفسه وجقّ الملك عليه أن لا يقول استعمال الأدب ولا يميل إلى متهوى طبيعته ، فإنه من عُرِف بالشَّره ، لم يجب له اسم الأديب ، ومن عُرِف بالثَّهم ، زال عنه اسم التمييز .

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً ، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه ، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضبطه نفسه ، إذا رأى ما يشتهي من بسطه لها .

وحسب الرجل - إذا أتخفه الملك بخفة على مائدته - أن يضع يده عليها ، فإن ذلك يجرّته^(١) ويزيد في آدابه^(٢) .

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقها ، نظر إليه معاوية فقال : هل كان بينك وبينها عداوة ؟ فقال له الحسن : هل كان بينك وبين أمها قرابة ؟^(٣)

بين معاوية والحسين
أبين علي بشأن
دجاجة


(١) صه : ويجب على الرجل .

(٢) أى يكفيه .

(٣) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك . (ص ٢٩)

(٤) صه : "بين يدي سيد حليل دجاجة" .

(٥) صه : "وبين أمها" .

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستعارف" وعلّق عليها بقوله : "أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر

مجالس الملوك ، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة" . (ج ١ ، ص ٢١٣)

(٦) تغدّى رجل مع بعض الرؤساء ، فقدم إليه جدياً ، ففعل يمين فيه . فقال له الرئيس : إناك لتزقه حتى

كان أباه يهيجك ! فقال له : وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك . ففعل وأنتقطع . (أنظر "مطالع البدور

في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في عاصمته وسائر
قواعد مملكته

إت هذا الكلام الذي دار بينهما قد قرَّح في قلب كل واحد منهما ، ومعاوية لم
يفل هذا القول ، لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة .

فكيف يكون ذلك ، وهو يكتب إلى أطرافه وعماله وإلى زياد بالعراق بإطعام
السابلة والفقراء وذوى الحاجة ، وله في كل يوم أربعون مائدة يتقسمها وجوه جند
الشام ؟ ولكن علم أنت من حق الملك توقير مجلسه وتعظيمه . وليس من التوقير
والتعظيم مد اليد وإظهار القرم وشدة النهم وطلب التيشع بين يدي الملوكة وبحضرتها ؛
وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لدن أردشير بن بابك إلى يزيد جرد .^(٣)

اختبار سابور لرجل
رشحه لقضاء القضاة

ويقال إن سابور ذا الأكتاف^(٤) ، لما مات مؤبذان مؤبذ^(٥) ، وصنف له رجل من
كورة إصطخر ، يسلح قضاء القضاة في العلم والتأله والأمانة . فوجه إليه . فلبس قديم ،
دخل عليه . ودعا بالطعام ودعاه إليه . فدنا فأكل معه . فأخذ سابور دجاجة فنصفها .

(١) معناه جرح . وفي نسخة : " قدح " .

(٢) هو زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته . وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ
والأدب . (وأنظر " العقد الفريد " ج ٣ ص ٢ - ٦) . وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة
الأوائل ومسامرة الأواخر) . ولدا بني كتاب في أخباره ، وتجاب في ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء
لياقوت) . وللهيتم بن عدي كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية ، وذلك تصحيف
من الناصح أو الطابع ، وإلا فلا خلاف في أنه زياد ابن أبيه .

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرها ، وطائفة تقول بالرايتين . والصواب الكسر
دون سواء ، وهو الذي اعتمد الإمام الذهبي في كتاب " المنتبه في الأسماء " ، وكذلك العلامة رشاردسن
في معجمه الفارسي العربي الإنكليزي .

(٤) تعريب شاه بور . وسماء العرب ذا الأكتاف لأنه أنتصر عليهم فخلع أكتافهم .

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام . وبقيت وظيفة المؤبذ أي القاضي إلى أواخر الدولة
العباسية ، للقيام بأمور المحروس الذين دخلوا في الذمة .

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه . ثم أوما إليه أن كُل من هذه ، ولا تَخْلِطُ بها طعاماً ، فإنه أمرأ لطعامك . وأخف على معدتك . وأقبل سابور على النصف ، فأكل كنعو ما كان يأكل . ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور . ثم مبد يده إلى طعام آخر ، وسابور يلحظه .

- ٥ فلما رُفعت المائدة قال له : ودّع وأنصرف إلى بلدك ! فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون : "من شَرِه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعيّة والسوقة والوضعاء أشدّ شرهاً ."^(١) فلم يستكفيه على ما كان أحضره له^(٢) ومن حقّ الملك أن لا يرفع أحداً إليه طرفه ، إذا أكل ، ولا يحرك يده منه في صحفة . ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كلّ رجل صحفة فيها كالذي بين يدي الملك من طعام غليظ أو دقيقي أو حار أو قار ، ولا ينحس الملك نفسه بطعام دون أصحابه .
- ١٠ لأن في ذلك ضعة على الملك ودليلاً على الاستئثار .

١٢

عدم النظر للـ
عند مؤاكلة

التسوية بين الملك
و بين مدعويه

- (١) في رسمه : لم يستكفه . واعلمها محرمه عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل ، وكثيرا ما يستعمل الجاحظ وميره ، استكفاه بمعنى ولاه [انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة "الكفاة" وهم العمال أهل القدرة على العمل والنهوض به . [انظر ص ٥٠ ص ٧١-١٠١ من هذا الكتاب] ، وثمنا أيضا "كافي الكفاة" لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية . يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عديّ ابن حاتم (وهو صبي) في وليمة كانت لهم : قفّ بالباب ، فأجّج من لا تعرف وأدخل من تعرف . فقال : والله لا يكون أول شيء استكفيه منع الناس عن الطعام ! (طراز المجالس للشهاب الخماشي ص ٩٢) . هذا . وربما يجوز أن تكون محرومة عن "يستكفه" أي "يجده كفواً" . والذي في صـ : "فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن تغسل ويحدد" . [وليس للجملة بقية ، وهي مبتورة ومشوّهة ، كما ترى] .
- ١٥

- (٢) وردت هذه القصة بحروفها ماعدا بعض العاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" . وهي مختمة بهذه العبارة : "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وعول فيه عليه" . ووردت أيضا مبتورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

- ومن حقّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرته يديه من خاصّته وبطائنته، إلا أن^(١)
يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بينا ما يجب لأولئك آتفاً.
- ومن العدل أن يُعطى الملك كلُّ أحدٍ قِسْطَه^(٢)، وكلُّ طبقةٍ حقّها؛ وأن تكون شريعةُ
العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء القرائض والنوافل التي تجب عليه
رعايتها والمثابرة على التمسك بها؛ وإيناسُ الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى
يسوّى في ذلك بين الملوك والنمط الأوسط والعامة.
- وليس أخلاقُ الملوك كأخلاق العامة، وكانوا لا يشتبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة
الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضّعة. فأما
الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويحلّون عن هذا المقدار.
- ومن حقّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلُّ من الحافّ^(٤)
بها حتى يتواروا عنه بحدادٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون
قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.
- ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمّره كمنديل وجهه في النقاء والبياض، وأن^(٥)
لا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يُجدد.

غسل اليد
الملكإيناس
الملك له

١٢

مباينة الملوك
سواءقيام الملوك
من

منشفة

(١) أظفر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله أين دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.

(٢) في سم: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في ص.

(٣) في سم: "لا يشتبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في ص.

(٤) أراد "الحافّين" فوضع المفرد في موضع الجمع، فاستعمال "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.

(٥) في سم: "غمّره" بالمهمل. وصوابه بالمعجمة، والفعل بالتحريك زخم اللحم وما يعلق باليد من دسمه. وهو بمائل ما نسميه الآن في مصر: فوطه الدفر. وليست هذه العبارة واردة في ص.

ومن حق الملك أن لا يتحدث على طعامه بحديث جد ولا هزل. وإن ابتدأ بحديث، فليس من حقه أن يعارض بمثله، وليس فيه أكثر من الاستماع لحديثه، والأبصار خاشعة.

حديث الملك
على الخاتمة

ولشيء ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قُدمت موائدهم - زمزموا عليها، فلم ينطق ناطق بحرف حتى تُرفع. فإن اضطروا إلى كلام، كان مكانه إشارة وإيماء يدل على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا.

زمزمة الفرس على
الطعام وامتناعهم
عن مطلق الكلام



(١) الزمزمة: تراطن العلوج على أكلهم، وهم صُموت، لا يستعملون لسانا ولا شفة في كلامهم؛ لكنه صوتٌ يُديره في خياشيمها وحلقها، يفهم بعضها عن بعض. وقد زمزم العليج، إذا تكلف الكلام عند الأكل، وهو مُطبقٌ فيه. وقال الجوهري: الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم. زاد ابن الأثير [في النهاية]: هموت صغى (عن تاج العروس). وذلك يرادف قول الفرنسيين Murrutter.

١٠

قال في مروج الذهب: "ذكروا أن كيو مرث هو أول من أمر بالسكوت عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء. وتسكن النفس عند ذلك، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يودى إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام. فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء للقبالة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها. وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التنلى إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك، فأضر ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية. وإذا كان ذلك دائماً، أدى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة الميزة العكرية لهذا الجسد المرقى. وفي ذلك ترك للحكمة ونروج عن الصواب." (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

١٥

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك. وبمناسبة الزمزمة، نرى ما حكاه ابن النديم في كتاب "الفهرست" (ص ١٩) عن الجاحظ في "البيان والتبيين" إن "الزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد، جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق، ثم تكلم بما يشبه الدمدمة والهنهة، يفهم منه الباقون. قال الجاحظ: وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه. والله أعلم."

٢٠

وكانوا يقوون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم، فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشتغل بروحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جراحة بقسطها من الطعام، فيفتدئ بها البدن والروح الحية انية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، آخذاء تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل كثيرة هي في آيهم تركها، إذ كانت ليست من جلس كتابنا هذا.

(١) سر: وفي ترك الكلام فضائل.

(٢) الآين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها. ومعناها القانون والمادة. (وأنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف القياض في تصحيح ما تستعمله العامة من العرب والدجيل والمولد والأغلام" مانصه: "آين بمعنى العادة. وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة. أجمعى عرب المولدون. وفي الكشف: ليس من آين الملوك استراق الظفر." وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه: "أى في سورة النمل. قبل لدى القرنين: ثبت على العذر! فقال: ليس من آين الملوك استراق الظفر. وقال: ميار في قصيدة له:

يَجْمَعُ الْخَرِيْتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهُوَ لَمْ يَأْخُذْ لَهَا آيَةً

وهاتان العبارتان منقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للنفاجي. والخريث هو الدليل البصير بالطريق. وكلمة "آين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والأتراك.

وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف وتشارد من مانصه:

آين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called (شرح). Mode, form, manner.

ولأب أن هذا الاسم ذكره صاحب المهرست. وكلام المحافظ هنا يدل على كتاب بعينه ضمنه الفرس مجموع القوانين والعادات والأمطلاحات المقررة عندهم. والى "آين الأكامرة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحديثي بعض المحدثين قال: قال بعض الأمراء وأظنه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى^(٣) [بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي]، إذا كنتم عنده؟
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن آستماع، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عياليه،
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.
قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصر كل رجل عما لا يشتهي، حتى يأتيه بما يشتهي. قال: ثم يؤتى بالحيوان،
فيتضايق ويتسع، ويقصر ويجهتد. فإذا آستغنى، خوى^(٥) تحوية^(٦) الظليم ثم أكل^(٧) أكل
الجائع الموقور.

قال: والجارود هذا هو الذي قال: "سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل^(٨) العسل".

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً. وهو أزل من جاري القضاء. كان يقول: إن الخصبين يتقدمان
إلى فأجد أحدهما أشرف على قلبي من الآخر، فأقصي له. (محاضرة الأرائل ومسامرة الأواخر). وكان مع
ذلك كريماً مدحه ذر الرمة والخطبة. وأظن ترجمته في خزائن الأدب للبغدادي (ج ١ ص ٤٥٣)، وله
في "الأغانى" و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسها).

(٢) الهدى البصرى. صدوق. توفي سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب للمافظ السقلاني ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد" وفهرس الطبرى.

(٤) فى الأصل وهو صـ: فشاهدنا.

(٥) انلوا وانلوا: الجوع. وانلوى وانلوا: خلوا الجوف من الطعام. ونخوى ونخوا: نتاج

عليه الجوع. ونخوى الطائر تخوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). وأمل هذا المعنى
الأخير هو الذى أراد به الجاهل، لأنه فى كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة ونقص فى الألفاظ والمعانى (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمتين * * مقولة عن صـ.

باب في المنادمة

ومن أخلاق الملك أن يجعل نُدْماءه طبقات ومراتب، وأن يُخَصَّ ويعمَّ، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات^(١).

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجِدِّ والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن^(٢).

وهذه أخلاق الملوك أن يحضرهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حالٍ جِدِّ إلى حالٍ هزل، ومن ضحكٍ إلى تذكير، ومن هُوٍ إلى عظة.

فكل طبقة من هذه الطبقات تُرفع مرةً وتُحطُّ أخرى، وتُعطى مرةً وتُحرم أخرى، فلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعةُ المرتبة وإعطاءُ القِسْط من الميزة^(٣) والنِّصْفَةُ عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها.

(١) كذا في صه، سه. [والسياق يقتضى معنى المراتب.]

(٢) صه: والنبل.

(٣) صه: المفتى. قال في "هاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى اصطناع الرجال كحاجته إلى اصطفاء الأموال، وجب أن يتخير لمسامرتته من يكون طيب الأعراق، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب المنهى كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجِدِّ لما هو يصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) صه: المرتبة.

وليس من حقِّ الملك أن يبرِّح أحدٌ من مجلسه ^(١) إلَّا لقضاء حاجة . فإذا أراد ذلك ، فمن الواجب أن يلاحظه . فإن سكت الملك ، قام بين يديه ثم لاحظته . فإن نظر إليه ، مضى لحاجته . فإذا رجع ، قام مائلاً بين يديه أبداً ، وإن طال ذلك ، حتى يؤمى إليه ^(٢) بالعود . فإذا قعد ، فمقبياً أوجائياً . فإن نظر إليه بعد قعوده ، فهو إذنه له بالتمكُّن في قعوده .

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها ، إنما هذا إلى الملك . إلا أن من حقِّه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفه له ، ولا يجاوز به حدَّ طاقته ولا وسع استطاعته ، فيخرج به من ميزان القسط وحدَّ القصد : لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه ، وهو يبعد إلى إحيائها سبيلاً .

كيفية الشرب
وكيفيته موكولات
الملك ، وعليه العدل

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته ، حرصه على إحياء نفسه ، إذ كان بهم نظامه .

وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول ، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين ، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني ^(٣) محصورة ، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً ، لأنها داخلة في أخلاق الملوك .



طبقات الندماء
المغنيين عند الفرس
وفي الإسلام

(١) كذا في سـ ، صـ " يبرح أحد من مجلسه " بتعديده يبرح بمن . والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه . على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يُعدُّون هذا الفعل بحرف " من " كما فعل الجاحظ هنا . فقد ورد في التبريزي " لم يبرح من مكانه " و " ما برحت من مكان كذا " (شرح الحاشية للخطيب التبريزي طبع أوربة ص ١٦٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني " ما أنا بارج من بابها " (ج ٢ ص ١٣٧) . وفي " المحاسن والمساوي " قوله : لا أبرح من بغداد (ص ١٩٣) . [وأنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب] .

(٢) سـ : قعد مقنماً . [وأنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب] .

(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لإبي الفرج الأصفهاني . فقد توفى الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦ . ولا بد أن الجاحظ يعني كتاباً للفرس أو سفيراً آخر =

١٥

٢٠

ولنبداً بملوك الأعاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة^(١) وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حفظها والاقتصار على جديلتها^(٢).

كان أردشير بن بابك أول من رتب النسماء وأخذ بزمام سياستهم، بفعلهم ثلاث طبقات:

== من أسفار الأغاني التي كانت متداولة في صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني في مقدمته. هذا وقد أشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) إلى كتاب الأغاني ولم يقيده بشيء آخر من حيث ذكر المؤلف أو غيره. قلعه هو نفس الكتاب الذي يشير إليه الجاحظ. لأن المسعودي فرغ من مروج الذهب في سنة ٣٣٦ أي قبل وفاة أبي الفرج الاصفهاني بعشرين سنة. وهو لم يعرف المسعودي ولم يشير إليه ولا إلى مؤلفاته مطلقاً في كتبه التي بلغتنا.

ويتلخص مما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني في هذا الموضوع: أولاً - أن إبراهيم بن المهدي المعروف بأبن سبكتة (وهي جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً في الأغاني. وهو أول كتاب في هذا المعنى وصلنا خبره، غير الذي يشير إليه الجاحظ والمسعودي؛ ثانياً - أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وقلبيح بن العوراء فألفوا له كتاباً في الأغاني وضمنوه المائة الصوت المختارة؛ ثالثاً - أن كتاب هؤلاء الثلاثة وقع إلى الوراق، فأمر إسماعيل بن إبراهيم الموصلي بتأليفه ونوسه. وقد روى صاحب الأغاني (أبى أبا الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسماعيل بل هو مصطنع عليه ومنسوب إليه، وأورد حججاً تؤيد ذلك في مقدمة كتابه. ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه.

(١) "ص: وعنهم أخذنا آيين المملكة" [وانظر الحاشية ٢ ص ١٩ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.]
(٢) هذه الكلمة وردت في سه مهمل من النقط هكذا: "جد طها". وفوقها كلمة "كذا".
وقد أعتمدنا رواية ص. وفيه تفسيرها بقوله: "شا كتبها". وهذا التفسير منقول عن القاموس.

(٣) من هنا إلى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" في ص ٢٩ من هذا الكتاب نقله المسعودي في "مروج الذهب" بالحرف الواحد تقريباً، ولم يشر إلى أنه نقل هذه البيانات عن التابع الجاحظ. وقد جرى هو وغيره على هذه العادة في كثير من العبارات، كما سترأ فيما يرد عليك من الحواشي. وقد زاد في هذه العبارة التي نحن بصددنا ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً، وضم إليها معلومات أخرى. (انظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢

ص ١٥٣ - ١٥٩، وطبع بولاق سنة ١٢٨٣ ح ١ ص ١١٧ - ١١٨)

فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

- ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعفه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوَّف ولا مرمى بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دينية، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم النيب مثلاً.

- وكان إردشير يقول: "ما شئ أضرَّ على نفس ملك من ياشر سخيبي أو مخاطبة وضيع. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأدب، الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الدنيء الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مرت بطيب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرَّت بالثَّنْ فحملته أَلَمَتْ له النفس وأضرَّ بأعلاقها إضراراً تاماً." (٤)

- (١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (المصاح) [حاشية عن صـ]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم": إن المعجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier.
- (٢) هذه الكلمة وردت في صـ فقط. ومعناها مصاب بأفة.
- (٣) الأبنة: العيب. (قاموس)
- (٤) هذه العبارة منقولة عن ابن المقفع في "الآداب الصغرى" وفي "كلیلة ودمنة".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النساك وسدنة بيوت النيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأطباء والكُتاب والمنجمون؛

والقسم الرابع الزراع والميهان وأصراهم. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئ أسرع في انتقال الدول ونحراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يرفع الوضيع إلى مرتبة الشريف، ويحط الشريف إلى مرتبة الوضيع".

١٨
مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثله

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحذاقة بالموسيقىات والأغاني، فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خط الاستواء. ١٠

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه: نعم.

(٢) أردشيرين بابك هو أزل من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب الملوكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب، الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبد يعني كبير القضاة الشهير اليوم بقاضي العسكر. (عن محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر)

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهمة. وهو أيضا الخادم والعبد. وجمعه يكون حينئذ "مُهَّان" مثل كاهن وكُهَّان وصانع وصُنَّاع]. وعلى هذا الوجه

٢٠ الثاني ضبطها في صه.

وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب^(١)
الوَجْج والمعاذف والطناير^(٢) وكان لا يَزْمُرُ الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من
المُغْنِّين. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتج عليه.

وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يَزْمُرَ على المُغْنِّي إلا من كان معه
في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضيفة إلى طبقة

احتفاظ الفرس
بهذا الترتيب

(١) في سه، صه : وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة. والعرب تقول الون بتشديد النون. وهي الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل
إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس، ومفاتيح العلوم للخوازمي). وروى في كتاب الملاهي يتأ
للأعشى، وهو:

١٠ ومُسْتَقُّ صِنِّي وَوَنٌ وَرَبَطٌ * يجاوبه صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَبَّعَا

وقال صاحب شفاء الغليل: "إن الوَجْج هو عود الطيب، معرب"، فأنظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد
عود الطرب. فصحفها الناصح وفاتت الطابع.

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختص" لأبن سيده (ص ١١ - ١٥)،
فتعرف أن الطنبور والطنبار من الأسماء المعروفة عند العرب [تقلا عن الفرس]. أما ما زعمه العلامة دوزي من أنهم
أخذوا هذا الاسم عن اللغة السلتية Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

أولا - ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:

"من الطناير يزهي صوته يمل في لحنه عن لغات العرب تعجيم."

ومعلوم أن العرب أبدعوا فتح الأندلس في سنة ٩٢ هـ. ولا يمكن سبع سنوات أو ثمانين لانتقال اللفظ
من أقصى الغرب إلى بادية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأرضاه الناس منه.

٢٠ ثانيا - إن الأسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربي بأداة
التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شائعا عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقي في لغتهم بهذه الصورة
العربية. وهذا رأى الأستاذ ليناردي الطلياني في معجمه المسمى Le parole italiane derivate
dall'arabo وهو رأى راجح، أي دناه بشعر صحيح، لبدوي فتح فصيح، ثبت في المعانيه الفصح، ومات
بين القيصوم والشيخ. (أنظر ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ وما إليها)

رفيعة . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثرفيه ، فيأمر الزامير من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى ، فيأبى ذلك . حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمراوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول : إن كان ضربى بأمر الملك وعن رأيه ، فإنه سيرضى عني إذا صحا ، بلزوبى مرتيتي .

❦

مماقة أردشير
لنفسه لمخالفتها
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ الفاظه عند الشرب والمنادمة ، فاحدهما يميل^(٢) والآخر يكتب حرفاً حرفاً . وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الجباب ، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامير ومخالفة الزامير أمره ، دعا بالزامير نخلع عليه وجزاه الخسير ، وقال : "أصببت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به . فهذا ثواب صوابك^(٣) . وكذلك العقوبة لمن أخطأ . وعقوبتي أن لا تزمرم اليوم إلا على خبز الشعير والخبث . " فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما .

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سنتهم وحفظ نوااميسهم وأخذ العاقبة بالسياسة الباقية والأمر اللازم .

(١) جمع مذبة . وهي آلة لطرد الذباب ، وهي التي نسميها في مصر بالمنثشة . أما المرايح فعروقة ، وأنظر

تفصيلاً شافياً عن أنواعها في أيام الدولة العباسية وما بعدها في كتاب "مطالع البدور في منازل السرور" .

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) ص : يميل .

(٣) ص : "فهذا صواب هذه ثمرة" . وهي رواية صحيحة تشابه التي اخترناها في المتن من ص .

لأنها مختصرة مفيدة .

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جور بن يزدجرد^(١) ، فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران على ما كانت ، وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنيين ورفع من أطربه - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة الأولى ، وحط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية ، فأفسد سيرة أردشير في المغنيين وأصحاب الملاهي خاصة . فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان ، فرد الطبقات إلى مراتبها الأولى .

اختلال هذا النظام أيام بهرام جور وإعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لدن أردشير بن بابك إلى يزدجرد تحتجب عن الندماء بستارة . فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً . لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع ، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع .

احتجاب ملوك الفرس عن الندماء ومقدار المسافة بين الطبقات

وكان الموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "نرم باش"^(٢) . فإذا مات هذا الرجل ومكّل بها آخر من أبناء الأساورة وسمي بهذا الاسم . فكان "نرم باش"^(٢) إذا جلس الملك لندمائه وشغله ، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان في قرار دار الملك ويفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : "يا لسان ! احفظ رأسك"^(٣) ، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك ! " ثم ينزل .

(١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للشمالي (صفحة ٥٤٤) .

(٢) سم : "نرم تاش" . وصحنا عن صه وعن المسعودي الذي قال : "وتفسير ذلك : كن قريحاً" .

(٣) في سم "يرفع" . والتصحيح عن صه وعن المسعودي .

(٤) سم : "يعرب" . والتصحيح عن صه وعن المسعودي .

(٥) صه : الرأس .

فكان هذا [فعلمهم] في كل يوم يجلس فيه الملك للهويه، ولا يجترى أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بنخير ولا غيره، حتى تحرك الستارة، فيطلع القائم عليها فيؤمر بأمر فينفذه، ويقول: افعَلْ يا فلان كذا، وتغنى أنت يا فلان كذا وكذا.

وكان الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: إطراقا وإخباتا وسكون طائر وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حتى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «من كانت له منكم حاجة، فليكتبها في رقعة ويرفعها قبل شغلي فأفهم ما فيها»

(١) صه: يفيض.

(٢) سه: تحول الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. (وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن المحافظ.)

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثليين وتطيرين. وفي سه: في نصاب واحد.

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سه، صه هنا [ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب]. والذي يستفاد مما ذكره

المسعودي في "مروج الذهب" وفي "النتيب والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك التبت، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والثعالبي. والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا

وأن كلمة "الأحمر" تحريف من الناصح للفظ "الأصفر".

(٧) سه: تنقل.

ويخرج إليه امرئ، وعقل صحيح وفكر جامع. "فمن سأل في غير هذا الوقت حاجة، ضربت عنقه. وهو أول من فتح هذا. وكان لا يرُد سائلاً، ولا يُعطى مبتدئاً. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك بهرام جور، فكان يقول للنساء: "إذا رأيتموني قد طربت ونرجت من باب الجنة إلى باب الهزل، فسلوا حوائجكم." وكان يُوكِّل بحوائجهم صاحب الستارة. فكان إذا سكر، مد الناس أيديهم برقاعهم، فاخذها صاحب الستارة، فانفذها إليه. فاخذها بيده وضَمَّها عليها، ثم رمى بها من غير أن ينظر في شيء منها، ويقول: "أنفذوا كل ما فيها." فكان ذلك ربما بلغ في ليلة واحدة من سؤال في إقطاع أو قضاء دين أو طلب منحة^(١) ألف ألف أو أكثر. إلا أن ذلك لم يكن تَباعاً.

وكان إذا رفع أحدهم في رقعة ما ليس يجوز مثله - وهو خارج من حد القصد وأدخل في باب الإفراط - لم تُقَض له حاجة، وسمي جاهلاً، ولم تؤخذ له رُقعة بعدها أبداً.

ثم لم يكن ذلك بعد في أخلاق الملوك من الأعاجم والعرب حتى ملك يزيد بن عبد الملك. فسوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأفسد أقسام المراتب، وغلب عليه اللهو، واستخف بآيين المملكة، وأذن للنساء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه والرّد عليه.

وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسخف.

٢٢

التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك

أول خليفة شتم في وجهه. هزلاً

(١) ص: "منحة"، وهي المنحة أيضاً.

(٢) ص: ودخل.

(٣) ص: بقوانين. (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ وص ٢٣ وص ٧٧ من هذا الكتاب)

(١) قلتُ لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمعنيين؟

(١) في صـ : لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي . (وأبو، زائدة ولاشك) .

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها . فتقصيتُ كلَّ من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" من طاهر الجاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين : أحدهما (وهو الذي يقابره الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصبب البعيد في الغناء والأدب والرواية ؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي (حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتمد والوائق) وهو من أرباب المكانة العالية في الأدب والرواية وقد الغناء .

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصعبي ، لأنه من ذوي قرابة طاهر بن الحسين : قاتل الأمين . وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من خراسان ، ولم يحضروا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها . يبرؤ . ذلك كل من عانى التاريخ الإسلامي . فكيف يكون إسحاق المصعبي قد شهد مجامر الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجوائز والمصالحات ؟ (أنظر ص ٤٣ من هذا الكتاب) .

أما إسحاق الموصلي فما أشبه بأن يكون هو الراوي للخبر ، لولا أن عبارة الجاحظ مضطربة مشوشة بحيث إنها لو بقرت على حالها كما هي واردة في صـ ، صـ (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أي بدو علامات الترتيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه . وذلك لأن القصص تضمنت خبراً فيه تحقير لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنتهي بخبر هو إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤) . وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحدث عنه ، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه . وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً ونظراً ويرفع له رأسه تها وكبراً . كيف / وفيه أن المأمون ضمَّ إسحاق رقبته . فكان المعقول والمتعتم أن يقول الراوي مُدلاً معجباً : "فضنني وقلبي"

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم . يرجع أول عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٣١٠ . فقد روى إمام المؤرخين راقية إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع الهادي . (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥) . والخبر ينصب تقريباً وارد في عبارة الجاحظ (ص ٣٦) . لكن الطبري روى بصيغة الغائب ومصدره بقوله : "وذئ" عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي "أر عن غيره" . وكذلك روى صاحب "الأغانى" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمير (الوارد في حديث الجاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً ، إحداها عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأغانى ج ٩ ص ٧١) . والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحدث عن نفسه في "العقد الفريد" لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦) .

قال: «أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليان وهشام ومروان»
 «أبن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة، وكان لا يظهر أحدٌ من الندماء على ما يفعله»
 «الخليفة، إذا طرب للمغنى وألّته حتى يتقلب ويمشى ويحرك كتفيه ويرقص»
 «ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه، إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة»
 «صوتٌ أو نغير طرب أو رقص أو حركةٌ بغير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة:»
 «حسبك يا جارية! كفى! انتهى! أقصرى! سيؤهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض»
 «الجواري».

«فأما الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا»
 «ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنيين. وعلى ذلك، لم يكن أحدٌ منهم في مثل حال»
 «يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرقت بحضرة الندماء والتجرد:»
 «ما يباليان ما صنعنا».

== وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسماعيل بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه باستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه مما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والاستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفته
 نفسه كما هو المألوف في كل كتبه وتصانيفه، عاد إلى الحديث الأصلي مستعملاً لفظة "قال" تنبيهاً للقارئ
 إلى رجع ما أنقطع ووصل ما انفصل وأستأنفا لما حدث به إسماعيل بن إبراهيم (الموصلي). فحينما كان المقام
 يدمو الجاحظ للكلام عن نفس إسماعيل (صاحب الحديث)، وضع لفظة "ويقال". فيذكر من عنده خبراً عن
 نفس إسماعيل بصيغة الغائب المحذو عنه. أما إذا عرض للجاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصلي شيئاً
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الملقاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظة
 "وهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، عبر بقوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان".
 فلذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين "كل سطر من السطور التي ورد فيها كلامٌ دلّني السياق
 والبحث والاستقصاء على أنه من حديث إسماعيل بن إبراهيم الموصلي للجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندى أنه من حشو الجاحظ واستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

(عمر بن عبد العزيز)

قلتُ : فعمر بن عبد العزيز؟

قال : «ماطنٌ في سمعه حرفُ غناء، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا.»
«فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل.»
«وكان ربما صفق بيديه، وربما تترغ على فراشه وضرب برجليه وطرب. فأما أن»
«ويخرج عن مقدار السرور إلى البسُخف، فلا.»



قلتُ : خلفاؤنا؟^(١)

أحوال العباسيين
في الشرب واللهو

(السفاح)

قال : «كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم اجتجب عنهم بعد سنة^(٢)»
«أشار بذلك عليه أسيد بن عبد الله [الخزاعي]، وكان يطرب ويتهيج ويصيح من»
«وراء الستارة: "أحسنْتَ والله! أعد هذا الصوت!" فيعاد له مراراً، فيقول في كلها:»
«"أحسنْتَ!" وكانت فيه فضيلة لا تجدها في أحد. كان لا يحضره نديم ولا مُغن»
«ولا مُله فينصرف إلا بصلية أو كسوة، قلتُ أم كثرت^(٣). وكان لا يؤثّر إحسان»
«ومُحسنٍ لغد، ويقول: "العجب ممن يُفرّج إنساناً، فيتعجل السرور ويعمل ثواب من»
«وسره تسويفاً وعدة!" فكان في كل يوم ليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحد من»
«حضره إلا مسروراً. ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله. غير أنه يُحكى عن بهرام جور»
«وما يُقارب هذا.»^(٥)

(١) ص: خلفاء بني العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٦

(٣) كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدّمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر المهارس في الطبري وقي ابن الأثير)

(٤) أورد صاحب "مخاسن الملوك" ما يضرع ذلك (ص ٣٠)

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(المنصور)
 «فأما أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء.»
 «وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها. فإذا غشاه»
 «المغني فاطربه، حركت الستارة بعض الجوارى فأطلع إليه الخادم صاحب الستارة»
 «فيقول: قل له: "أحسن! بارك الله فيك!" وربما أراد أن يصفق بيديه، فيقوم عن»
 «مجلسه ويدخل بعض حجر نسائه، فيكون ذلك هناك. وكان لا يثيب أحداً من ندمائه»
 «وغيرهم درهماً، فيكون له رثماً في ديوان. ولم يقطع أحداً ممن كان يضاف إلى ملبهية»
 «أو صمك أو هزل موضع قدم من الأرض. وكان يحفظ كل ما أعطى واحداً منهم»
 «عشر سنين ويحسبه ويذكره له.»

* وكان أبو جعفر المنصور يقول: «من صنع مثل ما صنع إليه، فقد كافأ؛ ومن أضعف،
 كان مشكوراً؛ ومن شكر، كان كريماً؛ ومن علم أن ما صنع فإلى نفسه صنع، لم يستبطئ»
 «الناس في شكرهم ولم يستردهم في مودتهم. ولا تلمس من غيرك شكر ما أتيت به إلى»
 «نفسك ووقيت به عرضك. وأعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن»
 «مسألتك، فأكرم وجهك عن رده.»^(١)

(المهدي)
 «وكان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء، متشبهاً بالمنصور نحواً من سنة.»
 «وثم ظهر لهم. فأشار عليه أبو عون^(٢) بأن يحتجب عنهم، فقال: «إليك عني، يا جاهل!»»
 «١٥»

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص. وهي استناراً أجنبي من موضوع الحديث.

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة
 العباسية، ومن قواد أبي مسلم الخراساني. وكان له بلاء حسن في تهديد الأمر لبني العباس. دخل بجوده
 دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدي إلى مصر عند هربه إليها، وفيها قتله. روى فيها
 معه السلاح والأموال والرفيق. فولاه عليها أبو العباس السفاح مرتين: الأولى من شعبان سنة ١٣٣ = ٢٠

«لأنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدُّنُوِّ من سرِّي . فأما من وراء وراء ، فما خيرُها»
 «ولذتها؟ ولو لم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلَّا أني أعطيهم من السرور»
 «بمشاهدتي مثل الذي يُعطوني من فوائدهم ، بلعلتُ لهم في ذلك حظًا موقرًا .» وكان
 «كثير العطايا ، يوارثها . قلَّ من حضره إلَّا أغناه . وكان لينَّ للعريكة ، سهَّلَ الشريعة ،»
 «ولذيذ المنادمة ، قصير المناومة ، ما يملُّ نديما ولا يتركه إلَّا عن ضرورة ، قطيع الخنا ،»
 «صبورًا على الجلوس ، ضاحك السنِّ ، قليل الأذى والبذاء .»

«وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق ، صعب المرام ، قليل الإغضاء ، سيِّئ الظن . قلَّ^(٣)»
 «من توقَّاه وعرف أخلاقه ، إلَّا أغناه . وما كان شئٌ أبغضَ إليه من ابتدائه بسؤال .»
 «وكان يأمر للغيِّ بالمسال الخطير الجزيل ، فيقول : «لا يُعطيني بعدها شيا» ، فيعطيه»
 «ويعد أيام مثل تلك العطية .»

= إلى سنة ١٣٥٠ . وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض الفضاء التي يحلها الآن جامع آبن طولون . وبني
 هو هناك دار الإمارة ومسجدًا عُرف بجامع العسكر . ولذلك سمي المكان كله بآبم العسكر من ذلك الوقت ،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة . ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦٠ . ولكن الخليفة مات ، فخاه أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه النزوة . فأقام
 أبو عون ببرقة شهرًا . ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الحوارج . فهزمهم وقتل منهم جماعة غفيرا ،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس . ثم تولَّى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التقليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧٠ . وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاث سنين وستة أشهر . وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه راقعة
 الراوندية . فلما أفضت الخلافة إلى المهدي ، استعمله على خراسان سنة ١٥٩٠ ثم عزله عنها سنة ١٦١٠ . (أنظر
 الأغاني وأبن الأثير وأبي المحاسن تغري بردي ، في فهرسها)

(١) صم : واغرها .

(٢) سم : قصير المياومة والملايلة .

(٣) سم : النظر .

(المادى)

١٥

٢٠

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذُ بن الطبيب
 سوكان أول يوم دخل عليه مُعَاذُ وكان حاذقا بالأغاني عارفا بها: من أطربني اليوم
 منكم فله حُكْمُهُ، فغناه ابن جامع غناء لم يحركه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:
 سَلِّمِي، أَجْمَعَتْ بَيْنَا. * فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا؟^(١)

- هـ فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته، وقال: "أَعِذْ بِاللَّهِ، وَبِحَيَاتِي!" فاعاد،
 فقال: "أنت صاحبي فَأَحْكِيكَمُ" فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، حائط عبد الملك بن
 مروان وعينه الخزانة بالمدينة! قال: فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما
 جمرتان ثم قال: «يا ابن اللغناء! أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني، وأنتي حكمتك
 فأقطعتك! [أما والله] لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك وفكرك،
 لضربت الذي فيه عيناك!» ثم سكت هنيئة، قال إبراهيم: فرأيت ملك الموت قائما
 بيني وبينه ينتظر أمره. ثم دعا إبراهيم الخزازي، فقال: «خذ بيد هذا الجاهل،
 فأدخله بيت المال، فليأخذ منه ما شاء!» فأخذ الخزازي بيدي حتى دخل بي بيت

(١) صه: م.

- (٢) "تقولها" هنا مثل "تظنّها" معنى وعملا. وقد تحرفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.
 وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردها الطبري أيضا (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الأغاني، وإنما هنالك حكاية أخرى وفيها الأبيات بكلمها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)

(٣) أي بستان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق مائه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

- (٦) هو عبدل هازون الرشيد. وكان من ندماء الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير
 أنه كان قويا على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الأغاني ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المسال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بكرة^(١). فقال: دعني أوامره، قلت: فأخذ تسعين.
قال: حتى أوامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فأبى إلا أن يؤامره، فعرفت غرضه،
فقلت له: آخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأئك! قال: فأنصرفت بسبع مائة ألف،
وأنصرفت ملك الموت عن الدار.^(٢)

(الرشيد)

قال: ^(٤) وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمثّلها كلّها إلا في العطايا،
وَالصَّلَاتِ وَالطَّلَعِ. فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي. ومن خبرك أنه رآه،
وَقَطُّ وهو يشرب إلا الماء، فكذبته^(٥). وكان لا يحضّر شربه إلا خاصّ جواريه. وربما
وطرب للغناء فتحرّك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة.

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للغنّين مراتب وطبقات، على نحو

(١) البكرة في الأصل جلد السخلة (أي ولد الضائنة أو الماعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا
أسمها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البكرة كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم
أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.

(٢) في س، ص: شارك. وفي الطبري: "قال الآن بحث بالحق، فثأئك!" (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)

(٣) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار ألقاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أي إصحاق بن إبراهيم الموصلّي راوى هذه الحكاية كلها للزلف.

(٥) هذا النص الصريح يؤيد رأي ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن "إلا" هنا معناها
"غير" كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذي أراده محدث الجاحظ: لو خبرك
إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب: رابا غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما
يشرب بمحضرة خاصّ جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار
بذلك عنه [وانظر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التي
منعه الطيب من أكلها. (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعيون الأنباء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان. فكان إبراهيم [الموصل^(١)] و [إسماعيل
أبو القاسم] ابن جامع وزلز [منصور البزارب] في الطبقة الأولى. وكان زلز^(٢)
يعضرب، ويُغنى هذان عليه.

(١) الأسماء والكنى والألقاب الموضوعة بين [في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني
لابن القريج.

(٢) كان زلز هذا ممن يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد. وقد أشتهر في أيام
المهدي والحسدي والرشد. ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين، فأشتهرت
باسمها: وأشتهرت المحلة الكائنة فيها باسمها. قال فيها نبطويه النحوي:

لَوَأْنْتُ زُهَيْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْصَرًا * مَلَاَحَةً مَا تَحْصِيهِ بَرَكَةُ زَزَلٍ،

لَمَّا رَمَقَا سَتْلَى وَلَا أُمُّ جُنْدُبٍ * وَلَا أَكْثَرُ ذِكْرِ الدَّخُولِ لِحَوْمِلٍ.

وقد أكثر الشعراء من ذكرهما.

غضب عليه الرشيد فحبسه سنين. وكانت أخته تحت إبراهيم الموصل، فقال إبراهيم فيه:

هَلْ دَمَرْنَا بِكَ عَائِدًا يَا زَزَلُ * أَيَّامَ يَفِينَا الْعَدُوَّ الْمُبْطِلُ،

أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ الْمَسْكَارَةِ آمِنٌ * وَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلٌ؟

يَا بَقْسَ مَنْ فَقَدَ الْإِهَامَ وَقُرْبَهُ ! * مَا ذَا يَهْ مِنْ ذِلَّةٍ، لَوْ يَسْقِلُ؟

مَا زِلْتُ بِعَدْلِكَ فِي الْمَنُومِ مَرْدَدًا * أَبْكَى بِأَرْبَعَةِ كَانِي مَشْكِ.

فرضى عنه الرشيد وأخرجه من الحبس. (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣
و ٢٥٢؛ وأنظر شفاء الغليل للنجاشي ص ١١٧؛ والأغاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أي أصحابه الاتحان وهما إبراهيم الموصل وابن جامع. والذي جاء "في الأغاني" (ج ٥ ص ٤٠).

٢٠ أن إبراهيم الموصل وزلز وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلز وزمر برصوما وغنى إبراهيم:

صَمَّا قَلْبِي وَرَاغَ إِلَى عَقْلِي * وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي.

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ، رَكْنًا خُزْرًا * إِلَى، صَرَمَتْنِي وَقَطَعَنَ حَبْلِي.

فطرب هارون حتى وشب على رجليه وصاح: يَا آدَمَ! لَوْ رَأَيْتَ مَنْ يَحْصُرُنِي مِنْ وَلَدِكَ الْيَوْمَ، لَسَرَكْتُ! ثم جلس =

والطبقة الثانية سُليم بن سلام ^(١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمرو الغزال ^(٢) ومن أشبههما .
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والوج والطناير . وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم . وكان إذا وصل واحداً من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير ، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيباً منه ، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضاً
نصيباً . وإذا وصل أحداً من الطبقتين الأخرتين بصلة ، لم يقبل واحداً من الطبقة
العالية منه درهما ، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه .

قال : « فسأل الرشيد يوماً برصوما الزامر ، فقال له : يا إسحاق ! ما تقول في آبن »
« جامع ؟ فحرك رأسه [و] قال : نحر قُطْرَبِل ، يعقل الرجل ويذهب العقل . قال : «
« فما تقول في إبراهيم الموصلي ؟ قال : بستان فيه خوخ وكثري وثقاح وشوك ونخروب . »
« وقال : فما تقول في سليم بن سلام ؟ فقال : ما أحسن خضابه ! قال : فما تقول »
« في عمرو الغزال ؟ قال : ما أحسن بنائه ! » ^(٣)

قال : وكان منصور زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالجلس . فكان إذا جلس
العود ، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله ، لم يملك نفسه حتى يطرب . ^(٥)

== وقال : استغفر الله !

وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزلا كان يضرب على إبراهيم ، يعني الموصلي .
(١) صه : سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية) .

(٢) في صه ، صه : « الغزال » بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية) . وقد أعتمدت ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥) .

(٣) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى الحكاية للمحافظ .

(٤) صه : « نيباه » . وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزامر ذكر إبراهيم الموصلي وآبن
جامع ، فقال : « الموصلي بستان تجد فيه الحلوى والحامض ، وطريا لم ينضج ، فتأكل منه من ذا ومن ذا ، وآبن
جامع زرق عسل ، إن فتحت فخرج عسل حلوى ، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلوى ، وإن فتحت يده خرج عسل
حلوى كله جيد . »

(٥) هو أبو بحر الضحاك بن قيس . ينتهي نسبه إلى زيد مناة . وهو الذي يضرب به المثل في الحلم . وكان
آية في الجدة والوقار . (أنظر ترجمته في آبن خلكان والأغاني وغيرهما)

- (١) قال إبراهيم : فغنيتُ يوماً على ضربه ، فخطأني ، فقلتُ لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فحسبي زلزلُ وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتع أحدٌ من المغنين فاهُ بغير لفظ إلا عرفتُ غرضه ! فكيف أخطئُ وهذه حالي ؟ فأداهما صاحبُ الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذب إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغمني ذلك ، فقلتُ لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سُنَيْدٌ ، لم يخلق الله أضرب منه بعود ولا أحسن مجلساً ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فعمله عرف فضله وتغنيتُ على ضربه ، فإن زلزلًا يكأيدني مُكَايِدَةُ الْقَصَاصِ وَالْقَرَادِينِ . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحَمِلَ على البريد ، فأقلق ذلك زلزلًا وغمّه . فلما قدم بالفارسي ، أحضرنا وأخذنا بمجالسنا وجاؤا بالعيدان قد سُويَتْ . وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة ، ليس يُدْفَع إلى أحدٍ عودُه فيحتاج إلى أن يحركه لأنها قد سُويَتْ وعُلِّقَتْ مثالتها مُشَاكِلةً لِلزَّرِيرَةِ (٢) على الدقة والغلظ . قال : فلما وُضع عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزل ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغنّى عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزلزل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جَسَّ العود ، ماتمالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذْنٍ حتى قبل رأس زلزل وأطرافه ، وقال : مثلك - جُعِلْتُ فداك ! -

- (٢) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه . وهذه القصة من أسطوانات الجاحظ أيضا .
(٣) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في صه .
(٣) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والزير هو الوتر الدقيق من الأوتار أحكمها قتلاً (في عود الطرب) .
فكان المؤلف قال : وعُلِّقَتْ مثاله مشاكلةً لثانيه . قال المفضل بن سلمة النحوي في كتاب الملاحى مانعه :
"و يقال لأوتاره [أي العود] المحابض واحدها تحبض وهي الشَّرع واحدها شِرعة . فنها الزير ، والذي يليه المثنى ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والهم . ويقال للتي يسميها الفرص دساتين ، العتب . وكل ذلك قد جاء في الشعر ."

لَا يُتَمَتَّنَ وَيُسْتَعْمَلُ بِمِثْلِكَ يُعَبَّدُ. فَمُعْجَبُ الرَّشِيدِ مِنْ قَوْلِهِ وَعَرَفَ فَضِيلَةَ زَلْزَلٍ عَلَى
الْفَارِسِيِّ، فَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةِ وَرْدِهِ إِلَى بَلَدِهِ.

* وَكَانَ مَنْصُورٌ زَلْزَلٍ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ وَكَرَمِهِمْ. نَزَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ، وَقَدْ
كَانَ يَحُلُّ لَهُمْ أَخْذَ الزَّكَاةِ. فَمَا مَاتَ حَتَّى وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ. ^(١)

وَوَكَانَ إِسْحَاقُ بَرَصُومًا فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: فَطَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَزْمَرَهُ، فَقَالَ:
وَوَلَهُ صَاحِبُ السَّتَارَةِ: يَا إِسْحَاقُ! أَزْمُرُ عَلَى غِنَاءِ آبَنِ جَامِعٍ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: يَقُولُ:
وَوَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَفْعَلُ؟ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَزْمُرُ عَلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ، رُفِعْتُ إِلَيْهَا.
وَوَفَائًا أَنْ أَكُونَ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَأَزْمُرُ عَلَى الْأُولَى، فَلَا أَفْعَلُ! فَقَالَ الرَّشِيدُ لَصَاحِبِ
السَّتَارَةِ: أَرِفِعْهُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى، فَإِذَا قُمْتُ، فَأَذْفِجِ الْبِسَاطَ الَّذِي فِي مَجْلِسِهِمْ إِلَيْهِ.
وَوَفَرَّعَ إِسْحَاقُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَأَخَذَ الْبِسَاطَ، وَكَانَ يَسَاوِي أَلْفَى دِينَارٍ. فَلَمَّا حَمَلَهُ إِلَى
وَوَمَنْزَلِهِ آسْتَبَشَرَتْ بِهِ أُمُّهُ وَأَخْوَاتُهُ. وَكَانَتْ أُمُّهُ نَبِيْطِيَّةً لَكَّاءَ. فَفَرَجَ بَرَصُومًا عَنْ مَنْزَلِهِ ^(٢)
وَوَلِبَعْضِ حَوَائِجِهِ، وَجَاءَ نِسَاءُ جِيرَانِهِ يَهْتَنُّنَ أُمَّهُ بِمَا خُصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَيَدْعُونَ لَهَا. ^(٣)
وَوَفَاخَذَتْ سِكِّينًا وَجَعَلَتْ تَقْطَعُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْبِسَاطِ، حَتَّى أَتَتْ عَلَى
وَوَأَكْثَرِهِ. بَغَاءَ بَرَصُومًا فَإِذَا الْبِسَاطُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالسَّكَائِينِ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! مَا صُنِعَتْ؟
وَوَقَالَتْ: لَمْ أَدْرِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَذَا يُقَسَّمُ. فَخَذْتُ الرَّشِيدَ بِذَلِكَ، فَضَحِكَ وَوَهَبَ لَهُ آخَرَ.
وَوَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ صَوْتًا، فَكَادَ ^(٤)

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين *، * منقولة عن ص.

(٢) التي لا تُقِيمُ العربية لعلجة لسانها. (قاموس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري. كان كاتبًا شاعرًا مطبوعًا. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

في الأغانى ج ٢١ ص ١٠٤ - ١١٠)

يطير طرباً، فأستعاده عاتمة ليله، وقال: «مارأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهب لك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحة، كنت أسرّ بها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأنا أسرّ بهذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشدّ عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون عليّ.» قال: «فلم لا تهب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألفي ألف أهون عليك منه؟» فأمر^(١) [له] بمائتي ألف درهم.

قلت لإسحاق: فالخلوع^(٢)، أين كان ممن ذكرت؟

(الأمين)

قال: «ما كان أعجب أمره كده! فاما تبدّله، فما كان يبالي أين فقد ومع من قعد.»
«وكان، لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، تحرقها كلها وألقاها عن وجهه حتى»
«بقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهمهم للأموال إذا»
«طرب أو لمّا. وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلة بوقر زورق ذهباً،»
«فأنصرف به، وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أمانى، ولقد غنّاه»
«إبراهيم بن المهدي غنّاه لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكب عليه فتقبل رأسه. فقام»

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص.

(٢) يعني الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أئلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقايل. «لقرب عهدهم بخلعه وأشتهاره بينهم». وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإن الأتراك لا يسمون السلطان عبد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا بأسم «الخلوع».

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي عم الخليفة. (أنظر الأغاني ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى راوي الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

«إبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه . فأمر له بمائتي ألف دينار . ولقد رأيته»
«يوماً ، وعلى رأسه بعض غلمانته ، فنظر إليه فقال : وَيْلَكَ ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن»
«تُغسل . انطلق ، تخذ ثلاثين بكرة ، فأغسل بها ثيابك .»

ولقد حدثني علوية [الأعسر وهو أبو الحسن علي بن هبة الله بن سيف]^(١) عنه
قال : لما أحيط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه ، كما عنده ففتته جارية له بغناء
تركته فيه شيئاً لم يُجد حكايته . فصاح : يا زانية ! تغنيني الخطأ ! خذوها ! فحملت .
وكان آخر العهد بها .

قلت : فالأمون ؟

(الأمون)

قال : «أقام بعد قدومه عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الغناء . ثم سمعه من وراء»
«حجاب ، متشبهاً بالرشيد . فكان كذلك سبع حجج . ثم ظهر للنسباء والمغنين .»
قال : «وكان حين أحب السماع ظاهراً بعينه ، أشكر ذلك أهل بيته وبنو أبيه .»
ويقال إنه سأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢) فغمزه بعض من خضر ، وقالوا :
ما يغادر تيبها وبأوا^(٣) . فأمسك عن ذكره . قال : بغناء زُرْزُر يوماً فقال له : يا إسحاق ،
نحن اليوم عند أمير المؤمنين ! فقال إسحاق : فغنى بهذا الشعر :

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الأغاني لأبي الفرج .

(٢) كان الأمون بعد مجلسا لفريق الأوزاق ، فكانت إسحاق هذا أول من يدخل عليه في طائفة
الوزراء ، ثم القواد ، ثم القضاة ، ثم الفقهاء والمعلمين ، ثم الشعراء ثم المغنين ، ثم الرماة في الهدف . (عن ذيل
أمالى القال ص ٩٠)

(٣) البأ هو الفخر والكبر والتب . قال حاتم الطائي :

فما زادنا بأراً على ذى قرابة * غنا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر .

ونظر هذه القصة أيضاً في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤) .

يَسْرَحَةُ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْلُودٍ؟
لِحَاثِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا تَحْرَاكَ بِهِ، * مَحَلًّا^(١٤) عَنْ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ^(١٥).

فلما غناه به زُرُور، أطربه وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

- (١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في سه، صه وفي "الأغاني" والطبري و"معجم الأدباء" وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب العقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصح والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرحة شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جملة المنظر. [ويستحب أهل شتبط (آتيل). وفي أ شاعرم "ذو السرح" وهو موضع يسكن عندهم بالجنة البربرية "إنواتيل" وهو تعريب له كما ترى. استفدت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي. [ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر ياقوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ وح ٣ ص ٢٨٦؛ وح ١ ص ٥٣٦ و ٥٨٠، ج ٣ ص ٧٨٢)

وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أئذ الشراء بالجلد إذا هم شبيها بالنساء. فقال حميد ابن قنبر في ضمن قصيدة له:

تُرَافَى إِنْ عَلَلْتُ قَسِي بِسَرْحَةٍ * مِنْ السَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرْحَةً مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرْحَاتِ الْعُضَاءِ تَرُوقُ

- (وأنظر ياقوت ج ٣ ص ٧١).
١٥

هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" اليتيم اللذين نحن بصددهما وقال كنى بالسرحة البائنة على الماء عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة سرح)

- (٢) في صه: "حيام" وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٣ ص ١٠٦).
٢٠ وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زُرور وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى ما كل.
(٣) ممنوع أي مطرود.

(٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق". وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".

(٥) استحسن الأصبغى هذا الشعر وقال: "غير أن هذه المآآت لو اجتمعت في آية الكرسي، لعانتها".

(عن الوسيط في تراجم أدباء شتبط للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١: ص ٣١١)

قال: عبدك المجفؤ المطرح، ياسيدي، إسحاق. قال: يحضر الساعة. فجاءه رسوله، وإسحاق مستعد، قد علم أنه إن سمع الفناء من مجيد مؤد أنه سيبعث إليه. فجاءه الرسول. فحدثت أنه لما دخل عليه ودنا منه، مديده إليه ثم قال: آدن مني! فأكب عليه واحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه بوجهه مضيقاً إليه ومسروراً به.

+

مسألة
الملك لندائه

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القُطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه، و[لا] سيمًا إذا غلب أحدُهم على عقابه، وكان غيره أملك به منه بنفسه.

٣٥

وللسكر حدة إذا بلغه نديم الملك، فأجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذ به زلة إن سبقته، ولا بالفضل إن غلبت لسانه، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره.

حد الإفضاء
سر الزلات

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى ونفسه رمى بها في مهو، وإن أرا: أحد أخذ ثيابه لم يمانعه.

مواطن
المعاقبة عليها

فأما إذا دن ثوب بصريف ملبات وما يذو. وكان إذا رام أحد أخذ مامعه قاتله دونه، وكان إذا شتم غضب وأتصر، وإذا تكلم أفصح وقل سقطه: فإذا كانت هذه صفة ثم جاءت منه زلة، فعلى عميد أتاها وبصيد فعلها. فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه. فإن رك عقوبة هذا ومن أشبهه، قدح في عزه وسلطانه.

(١) الصواب للمحظ.

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة. الفاظ المحظ مضمومة. (ص ١٦)

(٣) لا شك أن أداة البنى (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ. وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس: رلا سيمًا يوم بدارة جلجل. وأكد أئمة اللغة أن من أهمها فقد أخطأ. (أنظر التسهيل وشرحه وخاتمة الأشموني في باب الاستثناء، وأقتر البياض الوافي في "تاج العروس" (مادة من روى) | وانظر

أيضاً ص ١٥٧ من هذا الكتاب.

(٤) أي لنفسه.

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز أهل الجرائم عقوبة جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجب) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقيموا كل ميل ويدغموا كل إقامة.

الاقتصاص
في العقوبة



ومن أصدقاء الملك، أن لا يشارك بطائفة ونا ساء في مس طيب ولا يجتر. فإن هذا هو أشبهه يرفع الملك فيه عن مساواة أحد. وكذا يجب على بطانة الملك ومقارنته أن لا يمتسوا طيبا إذا تطيب، لينفرد الملك بذلك دونهم.

تفرد الملك الطيب
والنحو، ونحوهما

وليس الطيب كالطعام والشراب للذين لا بد من مشاركة الندماء فيهما. وأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحاشته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحدا فيه.

وكذا حكى عن أنوشروا ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمور بأحلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشارك فيهما أحدا. وإن الماء والعز والأبهة في التفرد.

(١) نهى صاحب الفاموس عن استعمال "القراد" بمعنى الأقارب، ونفسه الجوهرى إلى العامة، ووافقه الأكتون ومنهم الحريرى في "درة القواص"، ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو الله" أبة. ولكن هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأنظر التفصيل في تاج العرويس في مادة ق، رب)

(٢) الخامة هي العامة، وأيضا أحياء الرجل من أهله وولده وذوى قرابته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا
شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يترىوا يزي^(٢) ينهون الرعية عن مثله .

(٢٧)

فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع
التاج على رأسه، لم يضع أحداً في المملكة على رأسه قضيب رنجان متشعباً به .
وكان إذا ركب في لبسة، لم يركب على أحد مثلها . وإذا تختم بخاتم، فحرام على أهل
المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه .

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك . وطاعة أهل المملكة أن تتحامي أكثر زى الملك وأكثر
أحواله وشيئيه، حتى لا يأتى إلا بد لها منه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص . كان إذا أعم بمكة لم يعم أحد بعمة
مادامت على رأسه .^(٤)

وهذا الججاج بن يوسف . كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يجترأ أحد من
خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلها .

وهذا عبد الملك بن مروان . كان إذا لبس الخف الأصفر، لم يلبس أحد من
الخلق خفا أصفر حتى يترعه .

(١) في سه، سه : يفعل .

(٢) سه : أمثل .

(٣) حالة من حالات اللبس .

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأصنام الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بخزانة
كتبي . قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا) : " وكان سعيد بن العاص أبو أحيحة يعم بمكة .
فإذا أعم لم يعم أحد بلون عمامته " . وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه
ذو العمامة وإن " أحيحة تصغير أمة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحر . والأمة والأصاح
واحد وقد استقصينا هذا في كتاب الجهرة " .

(٥) أى للندوة طويلة عالية . وكان هذا النوع من القلائس خاصاً بالأمرأ، وبالقضاة أيضاً (كما تدل
على ذلك عبارة البيهقي في " المحاسن والمساوي " ص ٢١٣) .

١٥

٢٠

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس^(١) . دخل على [أحمد] ابن أبي دؤاد^(٢) [بن علي] وعليه مبطنة ملونة من أحسن توب في الأرض، وقد أتم على رأسه رصافية^(٣) بعمامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه، وعليه خُف أصفر، وفي يده عكازة آبنوس ملوح بنهيب، وفي إصبعه فص ياقوت تضيء يده منه. فنظر إلى هيئة ملأت قلبه، وكان جسيما، فقال: "يا إبراهيم! لقد جئتني في لبسة وهيئة ماتصلح^(٤) إلا لواحد من الخلق^(٥)". فأنصرف فلم يأت به حتى مات.

وحدثني أبو حسان الزياتي^(٦) (وذكر الفضل بن سهل فترحم عليه) وقال: وجهه إلى في ليلة - وقد أويت إلى فراشي - رسولا فقال: يقول لك ذو الرياستين:

- (١) أي من عهد قريب من المؤلف. [أنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]
- (٢) من أكابر رجالات بني العباس ونصوصا في دولة المأمون والمعتصم والواثق.
- (٣) هذه العبارة توخنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes. فيؤخذ من كلام الجاحظ هنا وما يليه بأربعة عشر سطرا أن الرصافية هيئة عممة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو ولي عهده. ويؤخذ من كلام ابن خلكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضا. ذكر ابن خلكان أن عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا، وقال إنه كان على رأسه رصافية. وقد روى صاحب الأغاني هذه الحكاية بحرفها تقريبا (جزء ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسوته. فذلك دليل على أن الرصافية نوع مخصوص من القلائس المعممة.
- (٤) ص: فنظر إليه بهيبة.
- (٥) يعني الخليفة.
- (٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين أمتحنهم المأمون بخلق القرآن. وهو من أهل الفتوى والرواية. وقد ولّاه المتوكل قضاء مديرية الشارقة بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لا تَعْتَمُ غَدًا عَلَى قُلْنَسُوَةِ إِذَا حَضَرَتِ الدَّارُ^(١) . قَالَ : قَيْتُ وَاجِبًا ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا يَرِيدُ
بِذَلِكَ . وَغَدَوْتُ ، وَغَدَا النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمِرَاتِبِهِمْ . بَغَاءُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى^(٢)
مَنْ فِي الدَّارِ ، قِيلَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْعُدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَيَعْتَمُ عَلَى قُلْنَسُوَةِ ، فَأَنْزِعُوا
عَمَائِكُمْ !

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ قَرِيْشٍ^(٣) قَالَ : لَمَّا مَاتَ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ ،
وَجَّهَ إِلَى الْمَأْمُونِ رَسُولًا فَأَتَيْتُهُ . فَبَعَثَ يَسْأَلُنِي عَنْ عِيَالِهِ وَعَنْ أَمْوَالِهِ ، وَيَشْكُوهُ إِلَيَّ ،
وَيَقُولُ : كَانَ يَفْعَلُ كَذَا وَيَفْعَلُ كَذَا . فَكَانَ فِي تِلْكَ الشَّكَايَةِ أَنْ قَالَ : وَكَانَ إِذَا رَكِبَ^(٤)
بِمَرٍّ ، رَكِبَ فِي رُصَافِيَةٍ^(٥) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ النَّدَمَاءِ قَدْ بَلَغَ غَايَةَ مَجْهُودِهِ فِي الشَّرْبِ وَأَنَّ⁺
الزِّيَادَةَ بَعْدَ ذَلِكَ تَضُرُّ بِيَدِنِهِ وَجَوَارِحِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، وَأَنْ لَا يَكْلَفَ فَوْقَ⁺
وَسْعِهِ . فَإِنَّهُ مَنْ تَجَاوَزَ حَقَّ الْعَدْلِ عَنْ الْخَاصَّةِ ، لَمْ تَطْمَعِ الْعَامَّةُ فِي إِنْصَافِهِ .^(٦)

عبد الملك
في مجلس الشراب

٣٩
مقالة
الندماء للوك

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يَكْلِمَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّدَمَاءِ مُبْتَدَأً وَلَا سَائِلًا لِحَاجَةٍ ، حَتَّى يَكُونَ⁺

(١) يَعْنِي تَصَرُّفَ الْخِلَافَةِ . وَالْحِكَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَارِثَةَ حَصَلَتْ بِمَرٍّ ، لِأَنَّ الْعُضْلَ بْنَ سَهْلٍ قُتِلَ فِي بَلَدِهِ
(سرخس) عِنْدَ عَوْدَةِ الْمَأْمُونِ إِلَى بَغْدَادِ .

(٢) ص : الْحَسَنِ .

(٣) ص : هَرَس . وَأَقَارِبُ الطَّبَرِيِّ (سلسلة ٣ ص ٥٢) فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَسْمُ هَذَا الرَّبِيعِ . وَكَانَ مِنْ
خَاصَّةِ الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ حَدَّثَهُ الْخَلِيفَةُ عَنْ أَخِيهِ الْقَاسِمِ هَذَا . (المحاسن والمساور ص ١٨٧)

(٤) مَتَّى أَطْلَقَ الْكُتَّابُ هَذَا الْأَسْمَ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ مَرَّ الشَّاهِجَانِ ، لَا مَرَّ الرُّوْذِ . وَالْأَوَّلَى هِيَ الْأَكْبَرُ .
دَائِرَةُ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ عَامِلًا عَلَيْهَا لَا بِيَه .

(٥) تَأَنَّفَ الْمَأْمُونُ لِأَنَّ أَخَاهُ كَانَ يَتَعَمَّدُ التَّشَبُّهَ بِهِ ؛ وَلَمْ يَرَأِ الْوَاجِبَ فِي تَرْكِهِ يَتَعَمَّدُ بِالرَّصَافِيَةِ فِي عَاصِمَةِ
مُلْكِهِ ؛ وَلَوْ أَنَّ الْقَاسِمَ حَقًّا فِي لِبْسِهَا لِأَنَّهُ هُوَ أَيْضًا ابْنُ الْخَلِيفَةِ .

(٦) هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ النِّجْمَتَيْنِ * * * مَقُولَةٌ عَنْ ص .

(١) هو المبتدئ بذلك. فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقدّم إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يأذن له في الدخول، حتى يكون الملك يبتدئ ذكره. ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أسقطت مرتبته فلم يطل بساط الملك.

وكان شيرويه بن أبرويز يقول: "إنما تُعذرُ الطائفة برفع حوائجها إلى الملوك عند ضيقة تكون، أو عند جفوة تتألم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تنابح أزمة. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسدّ خللتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراة العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذى حداه على ذلك الشره والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديراً أن تُترع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُنقل إلى الطبقة الخسيسة، فيلزم أذئاب البقر وحراثة الأرض."



ومن أخلاق الملك أن لا يمين بأحسن سبق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن



من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط

(١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فردا الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في مجلسي بنير أمرى!" (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع بمصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة مع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه عبد الملك بن مروان "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٢ "وعلى هذا النظام جرى خلقاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي دؤاد المتوفى سنة ٢٤٠ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يكلمون حتى يشكوا. (أنظر آين خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

(٢) سه: عقوبة.

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بإحسانه إليه، ويَذْكُرُه بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه.

* وحدثني محمد بن الجهم^(١) وداود بن أبي داود قالا: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقدمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(٢)

++

عدم المعاينة
في حال الغضب

ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان. لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التعدي والتجاوز لحد العقوبة. فإذا سَكَنَ غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة وثقلته الملة^(٤). فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب وليتها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال. فاما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٥)

(١) كثيراً ما يروى الجاهل عن هذا الإنسان في كتاب "الحيان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في مئة المأمون حينما أرسله إلى مرأبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من

قواده ورجال دولته حينما أفضت إليه الخلافة. (طبري سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢)

(٣) هذه الجملة المحصورة بين النحمتين * منقولة عن صـ. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥)

(٤) سـ: الأئمة.

(٥) سـ: "فاما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". وهذه الرواية أيضاً وجه وجهه. والضمير

راجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

وليس الذنب بحضرة الملك كالذنب بحضرة السُّوقَة، ولا الذنب بحضرة الحَاكِمِ^(١) كالذنب بحضرة الجَاهِل. لأن الملك هو بين الله وبين عباده. فإذا وجب بحضرة الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزجر الرعايا عن العيَاثَة والتَّأْيِيعِ^(٢) في الفساد.



ومن حقّ الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تُسَبِّقَهُ بِطَانَتُهُ وخاصته بذلك. فإن أوما إليهم أن لا يبرحوا، لا يقعد واحدٌ منهم حتى يتوارى عن أعينهم. فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام. فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك.

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملةً. بل تقعد الطبقة الأولى أولاً. فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية. فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة. وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً. فمن الواجب أن يقعد من كلّ طبقة رأسها ثم هلمَّ جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً.



ومن حقّ الملك أن لا يدنو منه أحدٌ - صَغُرَ أو كَبُرَ - حتى يَمَسَّ ثوبه ثوبه. إلا وهو معروف الأبوين، في مُرَكَّبٍ^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول.

(١) هكذا في سه، صه. ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم".

(٢) التأيع بالمتناة التعية: التهاقت، الإسراع في الشر (قاموس).

(٣) المركب كمعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خامل أو وضع رأسه على رجليه، إما لنصيحة يسرها إليه أو لأمر يسأله عنه، فمن حق الملك أن لا يمتلي أحدا يدنو منه حتى يفتش أولا، ثم يأخذ بضيقه آثان، أحدهما من يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ما عنده وقبل منه الملك ما جاء به، فمن بقاء على الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر في حاجته - إن كان له - ليرغب ذور النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتترتب بها إليهم.

++

الاستماع
لحديث الملك

ومن حق الملك، إذا حدث بحديث أن يصرف من حضره فكره وذهنه نحوه. فإن كان يعرف الحديث الذي يحدث به الملك، أسمعته استماع من لم يدر في حاسة سمعه قط ولم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطي الملك حقه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالنفس إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقرب وأشبه^(٢) منها إلى فوائد السوق ومن أشبههم.

وإنما مدار الأمر والفاية التي إليها يُجرى، الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أمثلهم: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودأبتي

(١) في س: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فلنفس". وقد أكلت موضع اليأس وصححت العبارة بناء على ما في ص. وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة وشقان، واضطراب في التقسيم، وقال إنها مما قاله حكما اليونان. لعله نقلها هو والجاحظ عن كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد مما. [حاشية في ص. ١٠ رواية س: "أقرب"، وهي بعيدة عن الصواب].

ما حملت رَحْلِي^(١)، وذكرا لشعبي ناساً، فقال: "مارأيتُ مثلهم أشدَّ تناقداً في مجلس ولا أحسنَ فهماً عن محدثٍ".

وقال سعيد بن سالم [الباهلي] لأُمير المؤمنين المأمون: "لو لم أشكر الله إلا على أحسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية". قال المأمون: "لأن أمير المؤمنين والله يجده عندك من حسن الإفهام إذا تحدّثت، وحسن الفهم إذا تحدّثت ما لم يجده عند أحدٍ فيما مضى ولا يظنُّ أنه يجده فيما بقي^(٢)".

(ما حصل لرحل
كان أنوشروان،
يساره)

وفيما يُحكى عن أنوشروان أنه بيّنا هو في مسيره له (وكان لا يساره أحد من انطاق مبتدئاً وأهل المراتب العالية خَلَفَ ظهره على مراتبهم، فإن آلتفت يمينا، دنا منه صاحب الحرس، وإن آلتفت شمالاً، دنا منه المؤنذ، فأمره بالاضمار من أراد مساريته)، قال: فألتفت في مسيره هذا [يمينا]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فلان^(٣)، فأحضره. فقال: حدثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة، فأستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فآتاه أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيرهما على شاطئ نهر، وترك الرجل - لإقباله على حديثه - النظر إلى مواطئ حافر دابته، فزِلَّت إحدى قوائم الدابة، فمالت بالرجل إلى الهر فوق في الماء ونفرت دابته، فابتدرها حاشية الملك وغلماؤه، فآزالوها عن الرجل، وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه. فأغتم لذلك أنوشروان ونزل عن دابته، وبُسط له هالك. فأقام حتى

٤٣

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في "كامل" المبرّد (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المحصورتان بين نجمين * منقولتان عن ص ٥٠

(٣) هو بفتح الحاء والزاي اسم جيل (قاروس)، المتعارف الآن عند الفرنج ضم الحاء. وأما "موت" ٢

تغذى في موضعه ذلك. ودعا بتياب من خاص كسوته، فألقيت على الرجل، وأكل معه. وقال له: كيف أغفلت النظر إلى موطئ حافر دأبتك؟ قال: "أيها الملك! إن الله إذا أنعم على عبده بنعمة، قابلها بحجة وعارضها ببليّة. وعلى قدر النعم تكون المحنة. وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين، هما: إقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم؛ وهذه الفائدة وتدير هذه الحرب التي حدثت فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب، كنت فيه رابحاً. فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت [واحدة]، قابلتهما هذه المحنة. ولولا أساورة الملك وخدمته [وحسن جده]، كنت بمعرض هلكة. وعلى ذلك، فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض، كان قد أبى لي الملك ذكراً مثلاً مخلداً، ما بقي الضياء والظلام.

فسر الملك وقال: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه!

(٤)

فخشا قمه جوهرها ودّرا رائعا ثميناً، وأستبطنه حتى غلب على أكثر أمره.

(٥)

وهكذا يحكى عن [أبي شجرة] يزيد بن شجرة الرهاوى، أنه بينا هو يسير معاوية

(ما وقع لأن شجرة الرهاوى حيناً حادته معاوية)

(١) في سه، ص: "منها" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٢) في سه، ص: "ومن هنا هذه" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٣) الزيادة عن المسعودي.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية بتمامها وبحرفها، إلا في كلمات قليلة. وقال إنه وجدها في كتب سيرة الملوك

من الأعاجم. ونسبها إلى شيرويه بن أبرويز، وقال إن الرجل هو بئدار بن خرشيد (جزء ٦ ص ١٢٤-١٢٦).

ونقلها أيضاً صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" (ص ٢٧ - ٢٩). وأخبرها صاحب "محاسن

الملوك" (ص ٨١ - ٨٢). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) من أركان دولة معاوية. أرسله إلى مكة سنة ٣٩ ليقم للناس الحج وليأخذ له البيعة ويطرد عامل على

عنها. ثم أرسله بعد ذلك لغزو الروم في البحرمره أو مرتين (سنة ٤٩ وسنة ٥٦). وهو منسوب إلى قبيلة

من العرب (أنظر تاج العروس في مادة ره و). وأما النسبة إلى المدينة المشهورة بأسبانيا الصغرى فهي

الرهاوى، بضم الراء.

آبن أبي سفيان، ومعاوية يحدثه عن يوم نزاعة وبنى مخزوم وقريش^(١). وكان هذا قبل
الحجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الهلكة حتى جاءهم أبو سفيان فأرتفع
ببيعه على رابية ثم أومأ بكميه^(٢) إلى الفريقين، فأنصرفوا^(٣).

قال: فبينما معاوية يحلث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجه يزيد حجر^(٤)
عائر فادماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما يمسح وجهه.

فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟
قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك^(٥)، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدثه عن جرمان يوم كان لبني مخزوم وغيرهم من قريش". وفي بعض نسخه: "جرمان". [والصواب نزاعة كما هو وارد في س، صه، ح].

(٢) س: "بكمه" صبه: "بكفه". [والصحيح عن "محاسن الملوك"].

(٣) هذه القصة لم نجدها لغير الجاحظ والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تنبيه الملوك".
وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت
الصحابي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق
سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٢ طبع العلامة وستفيلد في مدينة ليك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) في سه غاير. وفي صه عاير. [وهذه الكلمة كثيرا ما يصحفها النساخون والطابعون. فتارة يضعون
"عاير" وأخرى "غاير" وأخرى "عاير". والصواب "عائر" بالعين المهملة والياء التحتية المثناة الممهوزة.
قال صاحب تاج العروس في مادة (ع و ر): والعائر من السهام ما لا يدري راميها وكذا من الجبارة . . .
والجمع العوائر].

(٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن سه أقرد بجعل الضمير للغائب على سبيل الحكاية لئلا تقع
اليمين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "عتق ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب.
وذلك من باب التشدد في التأثم والتخرج. وإذا كان قائل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في اليمين من يروي
مجرد كلام لغيره؟ ولعلهم أرادوا عدم جريان اللسان بمثل هذه الآيات

أمير المؤمنين أَلَمَّانِي حَتَّى غَمِرَ فِكْرِي وَغَطَّى عَلَى قَلْبِي، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَبَهَنِي
 أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك مَنْ جعلك في أَلْفٍ من العطاء، وأخرجك
 من عطاء أبناء المهاجرين، وَكُفَّةِ أَهْلِ صِفِّينَ^(١)! فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده
 في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه.^(٢)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاوية ممن لا يُخَادَع ولا يُجَارَى.^(٣)
 ولئن كان بلغ من بلاد يزيد بن شجرة وقلة يحسُّ ما وصف به نفسه، ما كان
 يجدير بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خَفِيَ عن معاوية، ولكنه
 تغافل على معرفة، لَمَّا وَقَّاه حَقُّ رِيَّاسَتِهِ.^(٤)

[ويروي عن معاوية أنه كان يقول: "السُّرُورُ التَّغَاوُلُ"^(٥)]

(١) صه : حماة.

(٢) روى هذه القصة في "تبيين الملوك" بألفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك"
 باختصار (ص ٢٠). وأوردتها صاحب "المحاسن والمساوي" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) صه : يجارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمَّ كاجرت عاداته. ولكنه حينما اضْطُرَّ
 لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة . . ."، لم يجد بُدًّا من الإشارة إليه بطريق
 الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"
 ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أرفق مواضعها. (مروج الذهب جزء ٦
 ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات صه. [ومعنى السُّرُورِ السَّخَاءُ في مروة. فيكون المراد من هذه
 المقولة أن الظاهر بالنقلة هو من دلائل السخاء المزوج بالمروة. وسترد هذه المقولة أيضا
 صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

(ما وقع لأبي بكر
الهدلي حينما حدثه
السفاح)

❦

وكذلك حكى عن أبي بكر الهدلي^(١) أنه بينما هو يسامر أبا العباس إذ تحدث أبو العباس
بحديث من أحاديث الفرس . فعصفت الريح ، فأذرت طسا^(٢) من سطح إلى مجلس
أبي العباس ، فأرتاع ومن حضره . ولم يتحرك أبو بكر لذلك ، ولم تزل عينه متطلعة لعين
أبي العباس . فقال له : ما أعجب شأنك ، يا هدلي ! لم تُرْعَ مما راعنا ! قال : يا أمير المؤمنين ،
إن الله عز وجل يقول : **”مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ“** . وإنما للرجل قلب^(٣)
واحد . فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين ، لم يكن فيه لحادث بحال . وإن الله ،
إذا أنفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها ، جعل تلك الكرامة على لسان
نبيه أو خليفته . وهذه كرامة^(٤) خصصت بها ، مال إليها ذهني وشغل بها فكري .
فلو أنقلبت الخضراء على الغبراء ، ما حسست بها ولا وجمت لها إلا بما يلزمني في نفسي^(٥)

١٠ (١) اسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق النفيسة لأبن رسته ص ٢١٣) . وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح ، وله بحضرته مناظرة بديعة في تفضيل البصرة على
الكوفة وأهلها وكان مناظره آبن عباس المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وما شئت في الصفحة التالية)
أوردها آبن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكملتها في ص ١٩٠) . وهو من الضعفاء
في الحديث ، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣) .

١٥ (٢) أى أوقعت الريح طسا . وفي ص : **”فأوردت طسا“** ، وقد رواها صاحب **”مطالع البدور“**
(ج ١ ص ١٩٢) . والذي في المسعودي : **”فأذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس“** .
وأظن **”شذرات الذهب“** (ج ١ ص ٢١٧) . وقد روى الرافعي الأصفهاني في **”محاضراته“** (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه ، فقال : كان أبو القاسم الكعبي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طست فتزلزلت منه عرصة الدار . فلم يلتفت أبو القاسم عن الأمير . فقال الأمير لا يصلح
لوزاري إلا هو .

(٣) في المسعودي : **”بحادثة“** .

(٤) ص : **”اليضاء“** .

(٥) ص : **”توجهت“** .

لأمير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك بالأرفعن منك ضُبْعاً لا تطيف به السباع ولا تتحط عليه العقبان .^(٢)

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المتوفى يقول : لم يتقرب العامة إلى الملوك بمثل الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل ^(٣) الجُحش الاستماع .^(٤)

(كلمة ابن عيَّاش المتوفى)

(١) الضَّبْع (بضم الباء) العضد . والجملة هنا تكميلية ، بمعنى لا نوهن بآسبك . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) . وفي المسعودي : "صعباً" . [وهو تحريف ظاهر] .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتبديل في الألفاظ وزيادة وقصائد (فروج الذهب ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب "محاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بـتحريف يسير صاحب "المحاسن والمسائر" (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجالات المنصور العباسي ، وكان من النساين . ويعرف بالمتوفى لأنه كان ينف ليثته . (ابن قتيبة في كتاب "المعارف" ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سنتي ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المنصور معه يوماً ، فقال له : تعرف ثلاثة حلفاء أسماؤهم على العين ، قتل ثلاثة خوارج مبدأ أسماؤهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العامة إن علياً قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . [وكان المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ، سجن عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملح ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فأت .] فقال المنصور : إذا سقط عليه ، فماذا نبي ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنباً . وقد روى المسعودي هذه المحادثة بتفصيل أوفى (ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته باللفظ سباق (ج ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صحيح الأعمش (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول اسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور (وأسمه عبد الله) قتل أبا مسلم الخراساني (وأسمه عبد الرحمن) ، وعمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان . [وأنظر ص ١١٤ من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

- (١) وكان [أبو زُرعة] رَوْح بن زَيْبَاع [بن رَوْح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردت أن يَمَكِّنَكَ الْمَلِكُ مِنْ أَدْنَاهُ، فَأَمَكِّنْ أَدْنَكَ مِنَ الْإِصْفَاءِ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ. (كلمة روح بن زيباع) (٤٧)
- (٢) وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصنني إلى حديثي. (كلمة أسماء بن خارجة الفزاري)
- (٣) وكان معاوية يقول: يُغَلِّبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكِّبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحَلَمِ عِنْدَ سَوْرَتِهِ، وَالْإِصْفَاءِ إِلَى حَدِيثِهِ. (كلمة معاوية)

- (١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمي "رَوْح" من المحدثين فهو بالفتح، إلا رَوْح بن القاسم، فإنه بالضم. وروح بن زيباع الجُدَامِي من رجالات بني أمية. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين للخليفة مروان بن الحكم، فوثب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فأخرجه، وباع لابن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رَوْح واليا عليها، بعد أن أُلْقِيَ خطابه جذب بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبد الله بن عمر بن الخطاب ودون عبد الله بن الزبير. (أنظرها في ابن الأثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند ابنه عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأنيبه ونديمه وصميره ومشيره حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصايل لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (المقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية طريفة أوردها في "الحاسن والمساوي" (ص ٤١٩). [وأنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب].
- ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية طريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بُشَيْرِ أُمَيِّ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ واليا. أوردها في "مرجع الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢).
- (٢) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).
- (٣) أسماء بن خارجة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أسياء الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "فوات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يَلِ أسماء بن خارجة شيئا للسلطان (المقد الفريد ج ١ ص ٤١).

++

آداب أهل الزلفى
بعد المضاحكة

ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنسانا أو أنس به حتى يهزله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يحير بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.

++

تنكر أخلاق الملوك

ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حمايته، والرجل من حمايته ويطأنته؛ إما بلحناية في صلب مال، أو لحيسانة حرمة الملك، فيؤثر عقوبته دهرًا طويلًا، ثم لا يظهر له ما يؤجش حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الحنايات وعند أول بوادر الغضب.

٤٨

صبر الملوك على
مضض الحقد حتى
تجيب الفرصة

فاما الملوك وأبناؤهم، فليست تقاس أخلاقهم ولا يُعأر عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سميره ونجيره. فتطول بذلك المدة وتمتر به الأزمنة. وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعثر لم يكن

(١) المصروع والأيادي. وفي "الأغاني": أنت تخضع لهذا، هذا الخضر وتستعدي له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صبر: تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرنة. والمراد به هنا ما يغازيه، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها): "مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين سمري ونجري." تعني بين صدرها ونجرتها. والمقصود شدة الاقتراب والاتفاق، كما نقول أيضا: بين سمه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صبر: وهوله. صبر: ويقولون.

بين هذه القِتلة وبين الأُخرى بعدها بعشرين سنة فرق. إذ كان لا يخاف ثأراً، ولا في الملك وَهناً.

(معاقة أنوشروان
لمن خافه في حريمه)

ولما يُذكر عن سيرة أنوشروان أن رجلاً من خاصّ خدمه جنى جناية أطلع عليها أنوشروان، والرجل غافل عنه، وكانت عقوبة تلك الجناية توجب القتل في الشريعة، فلم يدرك كيف يقتله : لا هو وجدّ أمراً ظاهراً يقتل بمثله الحكمُ فيسفك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على الملك والمملكة، ولا وجد لنفسه عنذراً في قتله غيلةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه سلفهم. فدعا به بعد جنايته بسنة فاستغلاه وقال: قد عزبني أمرٌ من أسرار ملك الروم، وبى حاجة إلى أن أعلمها، وما أجدني أسكن إلى أحد سكوني إليك، إذ حلت من قلبي الهل الذي أنت به. وقد رأيت أن أدفع إليك مالاً لتحمل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك. فإذا بعث ما معك، حملت منى في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إلى. وفي خلال ذلك تُصنّي إلى أحبارهم وتطليح طلع ما بنا حاجة إليه من أموالهم وأسرارهم.

فقال الرجل: أفعل أيها الملك، وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه. فامر له بمال، وتجهز الرجل وخرج تجارة. فاقام ببلاد الروم حتى باع واشترى ولقن من كلامهم ولقنهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم. ثم أنصرف إلى

(١) سزبه الأمر اشتد عليه، أصابه منه غم.

(٢) أى: راعى أمراً الذي يحسن في حاجة إل معرفته.

(٣) أى فهم وحفظ بسرعة.

(٤) صه: أسرارهم.

أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدومه وزاد في برّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول
المقام بها والتربّص بتجارته ، ففعل حتّى عُرف واستفاض ذكره . فلم تزل تلك حاله
ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل
في جام من جاماته التي يَشْرَبُ فيها ، ويُجَعَلُ صورته بإزاء صورة الملك ، ويُجَعَلُ مخاطباً
للك ومشيئاً إليه من بين أهل مملكته ، ويُذَنى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
يُسِرُّ إليه .^(١) ثم وهب ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوك ترغب في هذا
الجلام . فإن أردت بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
باعه من الملك نفسه ، نفعت ؛ وإن لم يُمكّنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
بعض حاقته . " بفاء غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غُرْزِ^(٢) ركابه ،
فسأله أن يبيع جلامه من الملك ، وأن يَتَّخِذَ بذلك عنده يدّاً . وكان الملك يقدّم ذلك
الغلام ، وكان من خاصّ غلمانته وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى
صاحب خزانته ، وقال : "احفظه ! فإذا صرّت إلى باب الملك ، فليكن فيما عرضه
عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض
على الملك . فلما وقع الجلام في يدي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى
صورة الرجل وتركيبه : عُضْوًا عُضْوًا وجارحةً جارحةً . فقال : "أخبرني ، هل يُصوّر
مع الملك صورة رجل خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آنية الملك
صورة لا أصل لها ولا علة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك آثنان يتشابهان

(١) ص : يساره .

(٢) الفرز هو الركاب من جلد مخروز .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كانه هذا في الصورة، وكلاهما نديماً الملك؟ قال:
لا أعرفه. فقال: قم! ققام. فتأملته قائماً، فوجد صورته قائماً في الحمام. ثم قال: أذيراً!
فأذبراً، فتأمل صورته في الحمام مذبذباً. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الحمام مقبلاً.
فوجدتها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يحترئ الرجل أن يسأله
عن سبب ضحكك، إجلالاً له وإعظماً. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان
إذ كانت تأخذ بمديتها فتدفعها، وأنت أهديت إلينا مديتك بيدك! ثم قال له: تغديت؟
قال: لا. قال: قاربوا له طعاماً. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد
لا يأكل بمحضرة الملك. فقال: أنت عبد ما كنت عند ملك الروم متطلعاً على أموره
متبعاً لأسراره، بل أنت ملك وتديم ملك إذا قدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم
وسقى الخمر حتى إذا تميل، قال: إن من سنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعاً ولا عطشاناً. فأمر أن يصعد به إلى صرح
كان يُشرف منه على كل من في المدينة، إذا صعد. فضربت عنقه هناك، وألقيت
جثته من ذلك الصرح، ونُصب رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المغرّد بصوت الحراسة
— إذا ضربَ بأجراس الذهب — أن يقول، إذا مر على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سه: تبحي.

(٢) روى المقرئ من ابن عبد الظاهر "أن خادماً رأى من مشرف عال ذباحاً، وقد أخذ رأسين من الغنم
فطبخ أحدهما ورمى سكينته ومضى ليقضي حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفيه ورمها في البالوعة.
بلغا الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطولع بهذه القضية أهل
القصر، فأمروا بعمله جامعاً" (المخطوط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني.

(٣) سه: يأمر بالعود يضرب.

«كُلُّ نَفْسٍ وَجِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ فِي الْأَرْضِ يُقْتَلُ، إِلَّا مَنْ تَعَرَّضَ لِحَرَمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي السَّمَاءِ.»

فلم يدر أحدٌ من أهل مملكته ماذا أراد بذلك حتى مات.^(١)

فليس في الأرض نفسٌ تصبر على مَقْضُ الحَقْدِ ومطاولَةِ الأيام بها صبرَ الملوك.^(٢) ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووجهت آراء ذوى الجأ والتَّمييز في العمل عليها والمقابلة بها حتى تخرج على وزنٍ واحدٍ وبنظمٍ مؤتلفٍ.

وكذلك يُحكى عن عبد الملك بن مروان وعمر بن سعيد الأشدق، أنه أقام^(٣)

(٥٣)
تكملة عبد الملك بن
مروان بن
نازعه الملك

(١) روى صاحب "تنبيه الملوك" هذه القصة عن الجاحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في "المحاسن والأضداد" (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) في "الأشتاق" لابن دريد (ص ٤٩) مانه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشفاق، وهو الذي يلقب بلعيم الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا ذئبان قتل لعلم الشيطان "وكذلك قُتِلَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ". قتله عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، مثل المسعودي (ج ٥ ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (في حوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لا تدل على تردد عبد الملك في شأنه بضع سنين كما يصرِّح به الجاحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لا نهاية لها. سعى في حمل الناس على مبايعة مروان، بعد أن اتفق معه على أن يجعله ولياً بعده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، قضى الشرط وجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمر وليَّ بعده. ولكن عبد الملك تخلص من خالد بأيسر سبب، وحزبه أمر عمرو وهو يصايره. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: "إنك لتطلع نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل". فأجابه عمرو: "إستدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة القدرة أوردتكم الغفلة. زحرت عما وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله. ولو كان ضعف الإنسان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولا ذلٌ عزيز. ومن قريب يتبين من صريع بني وأسير غفلة". قال في المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله ^(١) . فمرة يرجئه ، وأخرى يهيم به ، ومرة يحجم ، وأخرى يقسدهم ، حتى قتله ، على أخبث حالاته .

وحديثي قثم بن جعفر بن سليمان ^(٢) ، قال : حدثني مسرور الخسادم ^(٣) : قال : أشهد بالله ! لَكُنْتُ من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ، ثوبه ، وهو يقول في مناجاته ربه : " اللهم ! إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى . " ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست ^(٥) .

(تكملة الرشيد
بالبرامكة)

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبعطائه رأسه إلى حرمة له ، صبغوت أم كبريت ، فكم من فيل قد وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه ، وكم من

مراعاة حرم الملك

١٠ = (ج ٢ ص ٤٤) إنه سُمي بالأشدق لأنه كان مائل الشدق . وأظن النفاصيل في المواطن التي نبها عليها .
[وأظن الأقوال الأخرى التي رواها الجاحظ في سبب تسميته بالأشدق وأنه كان خطيباً مفوهاً "اليان واليبين"
ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ وأظن أيضاً ص ١٨٤ - ١٨٥ مه] .
(١) سمه : وارد .

(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن عباس . كان عاملاً على المدينة ، وأميراً على البصرة . وله فيها مجالس علم وأدب . (أنظر البلاذري والأغانى في فهارسها)
١٥ (٣) في الأصل : "حسين" . ولانعلم أن الرشيد خادماً خاصاً بهذا الاسم . ولذلك أبدلناه بحادمه المشهور وهو : "مسرور" . يؤيد ذلك أيضاً رواية "تنبيه الملوك والمكاييد" الواردة في الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة .
(٤) سمه : مع .

(٥) في "تنبيه الملوك والمكاييد" مانعه : "كان الرشيد أدهى الناس وأكثهم لسه . وما يدأ على ذلك ما حدث به مسرور خادمه ، قال : كنت مع الرشيد في بعض سني حجّه ، فسمعتُ وقد ألتمز المستجار من الكعبة وهو يلتفت يمينا وشمالاً ، وكنت بين أستار الكعبة لم يرفى . وهو يقول : " اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى ! " مراراً كثيرة . فلما سمعته ، طار عقلي ونخشت أن يعطى بي ، فيكون ذلك سبب هلاكى . فاقبلت أتعوذ ، ولم أزل أحتال حتى استلكت من الأستار . قال أبو هاشم مسرور الخسادم : فكان بين الوقت الذي استخار الله فيه في قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين " . (صفحة ١٩٧ - ١٩٨)

شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته^(١)، وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناديتها قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء، وكم من جمجمة كانت تُصان وتُعل بالمسك والبان^(٢) قد أُلقيت^(٣) بالعراء، ونُجيت^(٤) جثتها في الثرى بسبب الحرم والنساء، والخدم، والأولياء! ولم يأت الشيطان أحدا من باب قط حتى يراه بحيث يهوى^(٥) متقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب، إذ كان من أطف مكايده وأدق وساوسه وأحلى تربيته^(٦)!

(١) أى تمشّت عظمه . وفى سه : "تمزقه السباع وتمششته" . وفى صه : "تمزقه السباع وتمششته" . وفى "المحاسن والأضداد" : ونهشته .

(٢) أى تُعلّب مرة بعد أخرى بالمسك الخ ، ملة بالخاء يعله ويعلّه "الكامل للبرد" . والعيلة المرأة المعطوبة طيبا بعد طيب "قاموس" . وفى صه : تعل . وفى نسخ "المحاسن والأضداد" : تفل ، تعل ، تغدا . [وأقلر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والملاحية ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب اسم البان على شجرتين مختلفتين . فالأولى هى المساة أيضا بشجرة الخلاف ، وهى التى يسم بها الشعراء ويشبهون قوام المحبوب بقضبانها . وهى كثيرة بمصر . والخلاف نوع من الصفصاف (Saulo) أو هو غيره . ويطلقون اسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يُسم رطباً ويُستقَطَر مثل الورد والنسرين والنيلوفر (نهاية الأرب ، فى الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع ؛ وحسن المحاضرة) . وفى "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣" أن البان والخلاف من الفواكه المشهورة وأنهما نوعان .

أما اسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca* . والشجرة الثانية هى التى عتاها الجاحظ . تشبه الأثل ولها ثمر كأنه الجوز فيه حب كالفسق ، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط . وهذا الثمر يسمى بالشوع أيضا . ودهنه يدخل فى تركيب نفّاس الطيب والأعطار والنوال . وتوجد شجرته ببلاد العرب . واسمه العلمى (*Guilandina moringa*) واسمه العامى المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية . (راجع ابن البيطار وترجمته إلى الفرنسية فى الكلمات التى ذكرناها)

(٤) صه : نبذت .

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط .

(٦) فى نسخ "المحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل تربيته ، أجل بوائقه .

فعلی الحکیم المحبّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق^(١)، أن يطلب
دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلا؛ ويدفع مفارقتها لكل شيء يقع فيه^(٢)
التأويل بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَطِبَ^(٣) يُتلف؛ ولا يتكَلَّ على خيانة خَفِيتْ
أو جَهرَ حَظَى بها أحدٌ من أهل السفه والبطالة. فإنَّ تلك لا تُسمي سلامة، بل
إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكم من قعدة قد ظهَر عليها بعد مرور الأيام
وطول الأزمدة بها، فَرَدَّتْ^(٤) من كان قد أحسن بها الظنَّ حتى تركته كأمس^(٥) الذهاب،
كأن لم يكن في العالم!

++

ومن حقّ الملك - إذا أيسر بإنسانٍ حتى يضاحكه ويهازله ويُفَضِّلَ إليه بستره
ويُخصِّصه دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أن لا يرفع إليه طرفه،
إعظاما وإكراما، وتجيلا وتوقيرا؛ ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
وليكن غرضه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغضاء البصر
بمحضرة الملك

❦

- (١) يُكنى بالنسيم الدقيق عن النفس؛ وبالماء الرقيق عن الدم.
- (٢) سم : مفارقتها بكل . صه : مفارقتها بكل . [وربما كان الأصوب ما وضعناه في من الكتاب :
- ١٥ "ويدفع مفارقتها لكل شيء الخ" أي يحول دون ارتكابها لأي شيء تكون عاقبته مشكوكا فيها بين السلامة والهلاك] . قال في تاج العروس : "قارنه مقارنة وقرافا : قاربه . ولا تكون المقارنة إلا في الأشياء الدينية ."
- (٣) صه : غضب .
- (٤) سم : تسي .
- (٥) الفعل ما هوردي مثل أردى ، بمعنى أهلك . وفي صه : فأوردت .
- ٢٠ (٦) أمس الذهاب ، وأمس الدابر ، وخبر كان : كلها بمعنى واحد . (أنظر لسان العرب في دبر)

غض الصوت
بحضرة الملك

تأديب الله
للمصاحبة

ومن حق الملك أن لا يرفع أحدُ صوته بحضرة . لأن من تعظيم الملك وتجييله
خَفَضَ الأصوات بحضرة ، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزّه وسلطانه .

وبهذا أدب الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال عز من قائل :
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ“ . فأخبر أن من رفع صوته
فوق صوت النبي فقد آذاه ، ومن آذاه فقد آذى الله ، ومن آذى الله فقد حبط عمله .
وكان قوم من سفهاء بني تميم أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : يا محمد !
أُتْرَجَ إلينا نكلمك . فقام ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء
أدبهم ، فأنزل الله عز وجل : ”إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ“^(١) .

ثم أتى على من غَضَّ صوته بحضرة رسوله ، فقال جل اسمه : ”إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ لِلتَّقْوَى“^(٢) .

فمن تعظيم الملك وتجييله خَفَضَ الأصوات بحضرة ، وإذا قام عن مجلسه :
حتى لا يدخل الملاء ، ومن لا خلل ولا تقصير ، في صغير أمر ولا جليله .

حرمة مجلس الملك
في شيعه

وكانت ملوك الأعاجم تقول : إن حرمة مجلس الملك إذا غاب كُرمته إذا حضر .

(١) أنظر قصة هذا الوفد في كتب السيرة النبوية ، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦) .
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩) .

(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧) .

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها . فمن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن الفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سُمي ذا وجه . ومن خالف أخلاقه وشيئيه وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سُمي ذا وجهين، وكان عند الملك متقوصاً متصنعاً^(٢).

الرقباء على مجالس
ملوك المعجم عند
غيابهم

++

ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصة نفسه وإما في توكيد ملكه . فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقه على الملك أن يخلع عليه خلعة في قرار داره، وبحضرة بطائنته وخاصته . وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقه أن يخلع عليه بحضرة العاقبة، لينشر له بذلك الذكر ويحسِّن به الأحداث وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه .

مواطن المكافآت

٥٧

وليس من العدل أن يُفرد المحسِنُ بخلعة فقط، إلا أن تكون الخلعة على شرب أو هوى . فاما إذا كانت لأحد المعنيتين اللذين قدما ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل خيالات أو قضاء دين أو إحسان، كائناً ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها .

بيان المكافآت
ونصوصها
وعموها

(١) أ، رقباء .

١٥

(٢) ص : مقصيا . [وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيغته هنا "مَقْصِي" إذ لا يقال "مَقْصيا" في اسم المفعول . وأنظر القاموس وشرحه في مادة ق ص و]

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح
والأخلاق، لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بولّه
وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضجّره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد
مزاجه . فإما الدموي^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذ كان بالبدن إليه^(٢)
حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.



٥٨
آداب النديم في
المزاملة، وعلومه.

ومن حقّ الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفاً بمنازل الطريق
وقطع المسافة، دليلاً بهدايته وأعلامه ومياهه، قليل^(٣) التثاؤب والنّعاس، قليل السّعال
والنّطاس، معتدل المزاج، صحيح البنية، طيب^(٤) المفاكهة والمُحَادثة، قصير المياومة
والملايلة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالماً بالنادر من الشعر والسائر
من المثل، متطرفاً من كلّ فنٍّ، آخذاً من الخير والشر بنصيب . إن ذكر الآخرة ونعيم
أهل الجنة، حدّثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛
وإن ذكر النار، حدّثه ما قرب إليها . فزهده مرّة، ورغبه أخرى . فإن بالملك أعظم

(١) ص : الدين .

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموي"

(٣) ص : ومناره .

(٤) ص : قصير الملايلة .

(٥) ص : منصرفاً .

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالحرّاً إذا أصاب هذا، أن لا يفارقه إلا عن أمرٍ
تقطع به العصمة وتجب به النعمة^(٢).

++

ومن حقّ الملك، إذا خرج لسفراً أو نُزْهة، أن لا يفارقه خلعٌ للكساء، وأمّوالٌ
للصلّات، وسيّاطٌ للأدب، وقيودٌ للعصاة، وسلاحٌ للأعداء، وحماةٌ يكونون من
ورائه وبين يديه، ومؤنّسٌ يفضي إليه بسرّه، وعالمٌ يسأله عن حوادث أمره وسُنّة
شريعته، ومُلهٍ يقصر ليله ويكثر فوائده.

مدة الملك في خروجه
لسفراً أو نُزْهة

⑤

وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم، أوّلها وآخرها.

وأيضاً فإن ملوك العرب، لم تزل تتمثل هذا وتفعله.

ولنسدّماء الملك ويطانته خلالٌ يُساوون فيها الملك ضرورةً. ليس فيها تقصن على
الملك، ولا ضعةٌ في الملك. منها: اللّعبُ بالكُرّة، وطلب الصيد، والرّمي في الأغراض،
واللّعب بالشطرنج، وما أشبه ذلك.

خلال الدماء

ومن الحقّ على الملك أن لا يمنع ملاعبه ما يجب له من طلب النّصفّة في هذه
الأقسام التي عدّدنا.

مساواة الملك
للملاعبه

ومن حقّ الملاعب له المشاحة والمكآلة والمساواة والممانعة وترك الإغضاء والأخذ^(٣)

حق الملاعب
على الملك

(١) في "القاموس": "الحرّ الخلق". ومنه: بالحرّ أن يكون ذلك. وفي "الصحيح": ويحدث الرجلُ
الرجل فيقول: بالحرّ أنت يكون. [والمعنى هنا أن الملك إذا أصاب رجلاً تفرّقت فيه هذه الصفات
فالأخرى والأجدر بالخلق به أن لا يفارقه إلا في الحالة التي نصّ عليها المؤلف.]

(٢) سره: "القيمة".

(٣) صره: المماقة.

من الحق بأقصى حدوده، غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلام رقيق ولا معارضة بما يُزيل حق الملك ولا صياح يعلو كلامه ولا نخير^(١) ولا قذف ولا ما هو خارج عن ميزان العدل.

٦٠
ملاعبة سابور
على أمر مجهول

وفيا يُحكى عن سابور أنه لاعب تريا، كان له بالشطرنج إمرة مطاعة^(٢)، فقامه تريبه، فقال له سابور: ما إمرتك؟ فقال: أربك حتى أخرج بك إلى باب العامة، فقال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فريد غير هذا، فقال: بهذا جرى لفظي. فأيسف لذلك سابور وقام فدعا يبرقع، فتبرقع. ثم جثا لتريبه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً، فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعبن أحد لعبة على حكم غائب، فمن فعل قدمه هدر^(٣).

فأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعري، وتوبيخ في مثلي ونادير من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُخاطب به الملك ويُعارض فيه. فأما إذا خرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل تريب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.

٦١
آداب الملاعب
بالكرة وفيرده

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدأته على دابة

(١) النخير: مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا التريب كانت عادته وديته أن لا يلعب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الاحتكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

الملك ، وصوب لجأه على صولجان الملك ، وأن يعمل جهده في أن لا يُخس حظه ولا يفتر^(١) في مسا بقة ولا مرا كضية ولا آلتفاف كرية ولا سبق إلى حد ونهاية وما أشبه ذلك . وكذلك القول في الرماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج .

سمعت محمد بن الحسن بن مُصعب^(٢) يقول : " كان لي صديق من بني مخزوم ، وكان لاعبا بالشطرنج . فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر ، فقال : أحضره . فقلت للمخزومي : تبياً للقاء أبي العباس . وكان متصرفاً كثير الأدب . فغدوت به ، فدخل . فلما وقعت عين أبي العباس عليه ، وقف . فراه من بعيد ، ثم أنصرف من غير أن يكلمه . فقال : هذا رجل من أهل الأدب ، فأغد به ولاعبه الشطرنج بحضرتي

لعبة الشطرنج
بمحبرة عبد الله
أبي طاهر

(١) صـ : ولا يعين .

(٢) اضطرب أسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب . فورد في صـ : "الحسين" وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصر وفي "المحاسن والمساوي" ص ٢١٧ . ورد في صـ : "الحسن" وكذلك في الأضاني وفي صـ في موضع آخر [أي في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب] . أما الطبري فأورد الاسمين ، وفرق بينهما صاحب فهرسته بجعل "محمد بن الحسين" راوياً . ولا أدري من أين له هذه التفرقة ، فإن متن الطبري لا يفيدها . والظاهر عندي أنهما شخص واحد .

أولاً — لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقاً ، ولو كان راوياً — كما يزعم صاحب فهرست الطبري — لكان من الراجح وقوع اسمه في كتاب الأغاني ؟

ثانياً — لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذي اليمينين الذي فتح بغداد بأسم المأمون . ومعلوم أن طاهراً هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف . فيكون صاحبنا الذي أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب ، وإلا لكان عمه . ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذي أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمين بعد قتله ببغداد . فهو من مصبة عبد الله بن طاهر الذي وقعت الحكاية في مجلسه . وقد كان بصيراً بالغناء والنغم ، وكان من الملحنين . وذلك لأن أبا الفرج الإصفهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان ، وبعثه بلقب الأمير . (ابن الأثير ج ٦ ص ٢٠١ و ٢٥٦) و (الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٥٣ و ١٠٢ و ج ٩ ص ٦٢ و ج ١٠ ص ٩١)

حَتَّى أَبُورِهِ وَعَاشِيَهُ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَالشَّيْمَةِ ^(٢) . فَلَمَّا قَعَدْنَا ، دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً ، فَقُلْتُ : خُذْهَا ، وَأَنَا الْغَلَامُ الْبُوشَنجِيُّ ^(٣) ! وَهُوَ سَاكِتٌ . ثُمَّ دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَقُلْتُ : خُذْهَا ، وَأَنَا مَوْلَى مَخْزُومٍ ! فَسَكَتَ . ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِ ضَرْبَةً ، فَقُلْتُ : خُذْهَا يَا ابْنَ مَخْزُومٍ ، فِي حَرِّمٍ مَخْزُومٍ ^(٤) ! فَسَكَتَ . وَأَسْتُوْذِنُ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ صَالِحٍ ، وَكَانَ خَاصًّا بِأَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَمَرَ بِالِإِذْنِ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ الْمَاشِمِيَّ وَقَعْدَ ، قَالَ [لِي] الْمَخْزُومِيُّ : لَيْسَ فَيْكَ مَوْضِعُ شَرَفٍ وَلَا عِزٍّ ، فَأَفْأَنْرُكَ ! أَنْتَ بُوشَنجِيٌّ تَمْنِي دَانِقُ ! وَلَكِنْ قُلْ لِهَذَا الْمَاشِمِيِّ يَفْأَنْرُنِي حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ حَالُهُ . فَأَمَّا أَنْتَ ، فَمَنْ أَنْتَ نَحْنُ أَفْأَنْرُكَ ؟ فَضَحَكَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَتَّى خَفَصَ بِرِجْلَيْهِ ^(٥) ، وَأَمَرَهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَقَرْبِهِ وَأَنَسَهُ .

١٢

آداب الندماء إذا
أخذت الملك سنة
من النوم

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ ، إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ ، أَنْ يَنْهَضَ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ ، بِمَحْرَكَةٍ لَيْسَتْ خَفِيفَةً ، حَتَّى يَتَوَارَى عَنْ قَرَارِ مَجْلِسِهِ ، وَيَكُونُ بِمِثِّ يَقْرُبُ مِنْهُ إِذَا أَنْتَبَهَ . وَلَا يَقُولَنَّ إِنْسَانٌ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ هَبَّ مِنْ سِنَّتِهِ لَا يَسْأَلُ عَنِّي ، أَوَّلَعَلَّهُ أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ النَّوْمُ أَوْ يَعْرِضَ لَهُ شُغْلٌ . فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْخَطَا .

وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ رُجُلًا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ .

(١) الْبُورُ الْإِخْتِبَارُ وَالْأَمْتَحَانُ كَالْإِخْتِبَارِ . قَالَ فِي تَقَائِصِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ (ص ٣٥٤) : " وَهَذَا كُلُّهُ إِبْتِيَارٌ مِنْهُ لِلنَّاسِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى خُلَعِهِ " .

(٢) يَظُنُّ بَعْضُ الْجُهَلَةِ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُتَحَذِّقِينَ مَالُوا إِلَى الشِّمِّ لَفْظًا وَمَعْنَى ، دُونَ أَنْ يَنْفَعْتَنُوا إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمَصْدَرِ . وَالْقَامُوسُ وَشَرْحُهُ وَكُلُّ مَتُونِ اللَّفْظِ وَالْجَاحِظُ وَأَمثالُهُ شُهُودٌ عَدُولٌ . وَأَنْظُرْ أَيْضًا شَرْحَ الْقَامُوسِ فِي مَادَّةِ هُزْلٍ فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهُمْ اشْتَقَوْا الشَّيْمَةَ مِنَ الشِّمِّ | وَأَنْظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ج ٢ ص ٦ |

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى نَشَأِ بَمْدِيَّةِ بُوشَنجٍ مِنْ خُرَاسَانَ .

(٤) كَلِمَةٌ مَرَكَّةٌ تَرْكِبًا إِصْافِيًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ . وَحُذِفَ حَرْفُ الْأَلْفِ مِنَ الثَّانِيَةِ . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ . وَهُوَ شَيْمَةٌ . وَبِضَارِعِ ذَلِكَ فِي حَذْفِ الْأَلْفِ ، قَوْلُ الْعَرَبِ : "لَابَّ لَكَ" أَيْ لَا أَبْ لَكَ ، وَقَوْلُهُمْ : "وَيْلَهُ" (أَنْظُرْ تَاجُ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ وَ ي ل) . | وَأَنْظُرْ صَفْحَةَ ١٣٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ | .

(٥) أَيْ ضَرْبَ الْأَرْضِ بِرِجْلَيْهِ كَثِيرًا حَتَّى كَانَهُ يَبْحَثُ فِيهَا .

١٠

١٥

٢٠

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقا، وهو وإن سلم من عدل الملك ولائحته لكرم الملك وشيئته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطن عليه. وبالحرى أن لا يهلم من عدل^(١) وتأنيب.



٥. ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصاله: منها - أنه الإمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة في قرار داره وموطئ بساطه، ولو حضر مجلسه أزهى الخلق وأعلمهم.
١٠. فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع، وأن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا سجود ولا قيام.
- فهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوما من صغير أو كبير أو شريف أو وضيع، فهو للملك أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائما، فإنهم لا يدرون أريد تنفلا أو دخولا أو قعودا في مجلسه.

٥. فإن قام لناقلة، فليس من حقه أن يتنفلوا. لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع صلاته يلدت، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصلون بإزائه، وهو قاعد.
- ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يعلموا ما الذي يفعل. فإن قعد، انحرفوا إلى حيث لا يراهم، فصلوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، صلوا على مكاناتهم.

(١) أنه تأنيب: عطفه ولامه. (حاشية في صـ)

(٢) صـ: بالإقامة.

(٣) في صـ: "تنفلا" بالقاف، ولكن بقية الباق تدل على أنه بالقاف.

(٤) المكانة المنزل عند ملك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن

الملوك" (ص ٧٨)

آداب مسaire
الملك

٦٤

وقد قلنا إن من حقِّ الملك أن لا يتدنه أحدٌ بمسيرة. وإن طلب ذلك منه من
يستحقُّ المسيرة، فالذي يُجزئه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فإن أوماً
إليه، سايره، وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسيرته.
ومن حقه، إذا سايره أن لا يمسَّ ثوبه ثوب الملك، ولا يذني دابته من دابته،
ويتوشى أن يكون رأس دابته بإزاء سرج الملك، غير أنه لا يكلفه أن يلتفت إليه.
ولا ينبغي له أن يتدنه بكلام.

وإن كان لا يثق ببلين عنان دابته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأي له
أن لا يسيره. فإن في مسيرته وخيمة عليه وعلى الملك. أما عليه، فإنه يحتاج إلى
حركة متواترة تُشعب بها نفسه ودابته، ويخرج بها عن حد أهل الأدب والمرورة
والشرف. وأما في خلال ذلك أيضاً أن لا يبلغ ما يريد. وأما على الملك، فإنه ومن
في المملكة. لأن الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابته، كان إنما يسير عند
ذلك بسيره. وليس في آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

سنة أكابر العجم
عند تهيئهم للمسيرة

٦٥

ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأساورة والديريذ وموبدان موبذ ومن أشبه
هؤلاء من خاصة الملك، إذا هم الملك بالمسير في نزهة أو لبعض أموره، معرضوا دوابهم

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (النيه والإشراف للسعدي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب
الكتاب المقدس عند المجوس. وربما كان الضواب في هذا المقام: "ديريذ" من كلمتين الأولى فارسية
والثانية عربية بمعنى "كاتب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه
السعدي، اللهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التثقيف. [أنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبذ فهو القاضي، وموبدان موبذ هو قاضي القضاة. وموبذ من أعاظم الفهلوية، وهي اللغة
الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جزء ٦ ص ٧٥).

على راضية الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك
للسايرة والمحاذنة ، فيحتاج إلى معانة دابته لبلاية أو كثرة نفور أو عثار أو جماج .
فيكون على الملك من ذلك بعض ما يكره . وكان الراضى يمتحن دابة دابة من دواب
هؤلاء العظماء . فما اختار منها ركب ، وما نفى أريجى .

وأىضا إن من حق الملك ، إذا سايه واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تتحصن^(١)
ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذاة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

وفىما يُحكى عن ملوك الأعاجم أن قبادة^(٢) بيتا هو يسير والموبذ يسايه ، إذ راثت
دابة الموبذ وفطن لذلك قبادة . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له فى كلام بينهما : ما أول
ما يُستدل به على سُخف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أنت يعلف دابته فى الليلة
التي يركب فى صبيحتها الملك . فضحك قبادة حتى أفتر عن نواجذه . وقال : لله أنت !
ما أحسن ما ضمنت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزيمة^(٣)
أحكامهم فى يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن
ظهر هذا الجانى عليك إلى ظهر هذا الطائع لك .

ما حصل للموبذ
أثناء مساييرته لقبادة

١١

(١) تحصن الفرس صار حصانا أى إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تثب على الدابة التى تكون
قدأما كما يفعل الفحل . لئلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباى إذ ركب فى محرم سنة ٨٧٦ ومعه
الأتابكى أزبك (منشئ الأذربكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . وفى أثناء الطريق شبّ فرس
الأتابكى على فرس السلطان ورفسه . بلحات الرفة فى قصبة ساق السلطان فأنكسرت ، فنزل بشيبين وهو فى غاية
الأم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (وأظن التفصيل فى آين إياس ج ٢ ص ١٢٨)
(٢) معرب قبادة . وفى كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتى حلوان وغازرون . وأقول إن حلوان هذه
هى غير التى بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة فى العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد
وسمرقند رأى . [وأظن صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .

(٣) رواها فى "محاسن الملوك" باختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف فى "المحاسن
والمسارى" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ما حصل لشرحيل
أثناء مسيرته لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السَّمِطِ^(١) يسيره، إذ راثت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة. فقطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمت، دلت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هامت فإنها عظيمة، وعقلي ضعيف ناقص. فتبسم معاوية، وقال: كيف ذلك، والله أنت! قال: لا طعامي هذا النائل أمه البارحة مكوتني شعير. فضحك معاوية، وقال: أَلَحَشْتِ، وما كنت قاحشا! وحمله على دابة من مراكبه.^(٢)

(١) هو أبو السمع الكندي. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص للقاء أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان المعدودين، واشترك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية وبيسان وأجنادين. وقد طلب من علي عليه السلام أن يدفع إليهم قتلة عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذي فتح حصن ثم تولاه معاوية، وهو الذي قسم منازلها بين أهلها. وبما يحسن ذكره للتعريف بجلائله في نفسه وقومه أنه اعتزل مع ولده بني معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقالوا لهم: "إنه لقيح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليلزمون الشبهة فيكرمون أن ينتقلوا إلى أوضع منها، مخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لآئمان قومنا على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لأبْنِ دُرَيْدٍ ص ٢١٨. وتاج العروس في باب الباء وفي باب اللام)

(٢) إقنيت في هذا الموضع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. وأنظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب.

(٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

فَلْيَتَنَكَّبْ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوكَ مَا يَقْضِي أَعْيُنُهُمْ بِكُلِّ جُهْدِهِ . فَإِنَّ لِمَسَايِرَتِهِمْ شُرُوطًا يَجِبُ عَلَى مَنْ طَلَبَهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا وَيَتَحَفَّظَ فِيهَا . وَقَلَمًا حِطِّي أَحَدُ بِمَسَايِرَةِ مَلِكٍ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا مَقْدَمَاتٌ يَجِبُ بِهَا الْحُظُوءَةُ .

تعديل

(١٧)

فَمَا مَا نَفْسُ الْمَسَايِرَةِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَإِنَّ الْأَعَاجِمَ كُلَّهَا كَانَتْ تَتَطَيَّرُ مِنْهَا وَتَكْرَهُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَثَابِرُ عَلَى مَسَايِرَةِ أَحَدٍ مِنْ بَطَانَتِهِ بَعِيْنِهِ ، لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ طَيْرَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

تعليق المجمع من
مسيرة الملك
المتصلة

وَيُقَالُ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ ، بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مُوسَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

ما حصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
الحادي

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ بْنُ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمِ الْبَاهَلِيِّ . كَانَ بِمَنْزِلَةِ عَظِيْمَةٍ مِنَ الْهَادِي وَمِنْ الرَّشِيْدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ فِي قُبَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الرَّشِيْدُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ عَلَى الْخَزِيرَةِ ، ثُمَّ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ . فَخَرَجَ الْخَزِرَاطِيُّ لَهُ فُهَزِمُوهُ وَفَعَلُوا بِالْأَقَاعِيلِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهَا النَّاسُ . فَأَرْسَلَ الرَّشِيْدُ رَجُلَيْنِ فَأَصْلَحَا مَا أَفْسَدَهُ . ثُمَّ وَلَاهُ تَرَعَشَ فَأُثَارَتِ الرُّومُ عَلَيْهَا وَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ سَعِيدٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩١ .

قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَعْرَابِيًّا مَدَحَهُ يَبْتَيْنُ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمَا :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ ، لَا تَنْتَشِ ضِلَّةً ! * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ .

لَنَا مُقَرَّمٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ مُقَرَّمٍ ، * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ .

فَأَخْضَلَ مَلِكُهُ فَهَجَاهُ بَيِّنِينَ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمَا :

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٌ ثَوَابٌ عَلَيْهِ ، * وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهَلِيِّ ثَوَابٌ .

مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ ، وَالْمَدْحُ مَهْزَةٌ ، * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ .

(إِيْتِ الْأَثَرِ ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ ؛ و " الْأَغْنَى " ج ١٧ ص ٣٢)

وَج ٢١ ص ٢٣٤ ؛ و " عِيُونُ الْأَنْبَاءِ " ج ١ ص ١٥٤ ؛ و " أُمَالِي الْقَالِ " ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمانة، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُشيرُه دابة عبد الله في وجه موسى، وعبدُ الله لا يشعر بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضِعَه، فيطلب أن يحاذيه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتى إذا كثُر ذلك من عبد الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قَصَرَ في الإجتهد، ولكنه حَرَّمَ حَظَّ التوفيق.^(٢)

وفيما يذكر عن عبد الله بن حسن أنه بيّنّا هو يساير أبا العباس [السفاح] بظاهر مدينة الحسن لله بن الحسن للسفاح

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وأتت بتصالهما على يد أحد الزورين من حيث لا يعلمان ولا يعلم (ساقها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة أشتكاه:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلَمَةٌ * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ رُعِكَ.

بَالَيْتَ مَا بَكَ بِي، وَإِنْ تَلَقَّيْتُ * نَفْسِي لَذَاكَ! وَقُلْ ذَاكَ لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤ و أنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ج ٨ ص ١٠٥ و ج ١٦ ص ١٦٧). [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب].

(٢) يستفاد من كلام الجائحظ هنا مصافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة ولى عهده أن يسير قائد بحربة بين يدي كل منها.

(٣) كذا في نسخة، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعل الأصل: "المائق".

(٤) نقل ابن عبد ربه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يشر إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦) ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح اجتهد في ترؤسبه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمدًا والنفس الزكية وإبراهيم نرجسا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري والكاميل للبرد بمقتضى فهرسهما).

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه، إذ أنشد عيسى:

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت، * وما حل في أكناف عادٍ وجهم،
ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً، * وأنهد^(٢) بالجيش اللهم العرمم.

فقال أبو مسلم: هذا مع الأمان الذي أُعطيْتُ؟ قال عيسى: أعتق ما أملك إن

كان هذا شيء من أمرك! وما هو إلا خاطر أبداه لساني. قال: فبئس الخاطر والله إذنت^(٣)!

+

عدم تسمية الملك
أو تكتيته

ومن حق الملك أن لا يُسمّى ولا يُكنّى في جدّ ولا هنزٍ ولا أنيس ولا غيره.
ولولا أن القدماء من الشعراء كنّ الملوك وسمّتهم في أشعارها وأجازت ذلك
وأصطلحت عليه، ما كان جزاء من كنّى ملكاً أو خليفة إلا العقوبة. على أن ملوك
آل ساسان لم يكنّا أحداً من رعاياها قط ولا سمّاها في شعرٍ ولا خطبة ولا تقرير
ولا غيره. وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة.^(٤)

ما قاله الها
مسلم أنا

(١) ص: أدنى.

(٢) كثير النود أو النهوض بأمر الجيش والقيام بأعبائه

(٣) نقلها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٨).

(٤) أطلب يا قوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأساطيرها في الجاهلية، ولم يذكر لنا شيئاً عنها في أيام
عظمتها على عهد الإسلام. وإنما استفدنا منه أنها بقرب النجف. ولذلك رأينا أن نشبت هنا ما جاء عنها
في الأغاني (ج ٨ ص ١٢٥) ليعرف القارئ مكاتبتها التي دخلت الآن في خبر كان. قال:

« كان بعض ولاية الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية. فقال له رجل من أهلها، وكان ماقلاً ظريفاً:

— أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام؟

— وبما ذا تُمدح؟ =

١٥

٢٠

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المنشور مَلِكًا

== بصحة هوائها ، وطيب مائها ، ونزعة ظاهرها . تصلح للحنف والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارعهم ، ومسكنهم ومشاوهم . وقد قدمتها — أصلحك الله — مُخَفَّفًا فرجعت مُثَقَّلًا ، ووردتها مُثَقَّلًا فأصارتك مُكْتَرًا .

— فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟

— بأن تعير إلى ، ثم أدع ماشئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !

— فأصنع لنا صنيعة [Une partie de plaisir] ، وأنرج من قولك .

— أفعل !

فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وممكها وما صيد من وحشها : من ظباء ونعام وأراب وحبارى . وسقام مائها في قلالها ، ونعزها في آنيها . وأجلسهم على رُقها ، وكان يُخَفِّد بها من الفراش أشياء ظريفة . ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عبدًا إلا من مولديها ومولداتها ، من خديم ووصائف كأنهم اللؤلؤ ، لغتهم لغة أهلها . ثم غنّاهم سَنِينَ وأصحابه في شعر عديّ بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى همدان لم يتجاوزهما . وحياهم بر ياحينا . وقتلهم على نعمرها — وقد شربوا — بفواكهها . ثم قال :

— هل رأيتني أسننتُ على شيء ، مما رأيت وأكلت وشربت وأقترشت وشممت وسمعت ، بغير ما في الحيرة ؟

— لا ، والله ! ولقد أحسنت صفة بلدك ، ونصرتُه فأحسنت نصرتُه والخروج مما تضمنته . فبارك الله لكم

في بلدكم ! »

وكان ابن شبرمة يقول : ” يوم ليلة بالحيرة خير من دراهم سنين “ . (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) . وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في فجر الإسلام (الأعلام النفيسة لابن رُسْتَه ص ١٩٢ و ٢١٧) .

وكانت عمارة الكوفة سببا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط وُسرَّ من رأى . وأنت عليم بما صارت إليه البصرة وبغداد . وهذه الستة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين . وناهيك بها من أمصار رعت للحضارة أعلى منار ! فسبحان من يسده ملكوت الأرض والسماء ! يتصرف بالبلاد والعباد كما يشاء !

أو خليفة وهو يُخاطب به باسمه، كان جاهلا ضعيما خارجا من باب الأدب.
(١) ولولا أن الاصطلاح معنا إيجاب المنع من ذلك، كان من أول ما يجب.

ولا أدري لِمَ فعل القدماء ذلك، كما أني لا أدري لِمَ أجازته ملوكها ورضيت به، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شيء وترقى عنه.

وكانت الخفاة من العرب بسوء أدبها وغِلظ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) - مخاطبه ودَعَوْهُ باسمه وكُنْيَتِهِ. فأما أصحابه، فكانت مخاطبتهم إياه: "يا رسول الله!" و"يا نبي الله!"

(١) ص: "الاضطلاع" وبجانبها "الاصطلاح". وفي س: "الاصلاح".

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة. فهو أول من منع الناس أن ينادوه باسمه. (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). ولكن يظهر أن ذلك الأمر ترانح بتطاول العهد، فعاد القوم إلى ما كانوا عليه.

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يحررون عند إتشاد القصائد على أحد الخلفاء والأُمراء، فيخبرونها من التي لا يكون فيها اسم معشوقة يشابه اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة (الأنفاني ج ٥ ص ١٧٤). وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال: كنت عند الرشيد، فأهديت له أطباق ومعه رُقعة. فلما قرأها، استغزاه الطرب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما الذي أطربك؟ فقال: هذه هدية عبد الملك بن صالح. ثم نبذ إلي الرقعة، فإذا فيها بعد البسملة: "دخلت، يا أمير المؤمنين، بسنا فاعمرته بنعمتك، وقد أينعت أثماره وفاكهته. فأخذت من كل شيء (وعدد أنواعا من الفاكهة) وصيرته في أطلاق القضبان ووجهته لأمر المؤمنين، ليصل إلى من بركة دعاته، ما وصل إلى من برّه ونعمائه". قلت: يا أمير المؤمنين، وما في هذا يقتضي هذا السرور؟ فقال: ألا ترى إلى ظره، كيف قال: "القضبان"؟ فكنت به عن الخيران؛ إذ كان يجري به اسم أمنا.

وهكذا يجب للولك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! ^(١) ويا أمين الله! ^(٢) ويا أمير المؤمنين! ^(٣)

(١) لم يرخص أبو بكر الصديق بأن يُسمى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣٧) فضلا عن أن يُسمى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى آد إطلاقهم على خلاف ذلك. قال الزجاج: حازان يقال للأئمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُستسقى به المطر". وقال بشار (وإن كان من باب التهنئة):

ضاعت خلافتكم، يا قوم، فآتمسوا * خليفة الله بين الرق والهرد!

وقد قال صاحب محاضرة الاوائل إن المعتصم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. فلعل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا. (٢) قال حسان بن ثابت يرقى عثمان بن عفان.

إني رأيت أمين الله مضطهدا * عثمان رهنا لدى الاحداث والكفن.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصه:

«وإنما يُتساح بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسان:

تَجَسَّوَتْ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْحِزَاءُ.

وكقول المرأة تخاطبه:

أحمد، وَلَدْتُكَ ضَنْ كَرِيمَةٍ * فِي قَوْمِهَا وَالْفَعْلُ فَعْلٌ مُعْرِقُ!

رَوَى أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ صَبِيَّةٌ لَهُ وَأَهْلُهُ، فَقَالَ يُخَاطِبُهُ:

يَا عُمرَ الْخَيْرِ جُزَيْتَ الْجَنَّةَ * أَكُسُ بُنْيَانِي وَأُمَهِّنْهُ

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهُ

فقال عُمر: يكون ماذا؟ فقال:

يَكُونُ عَنْ حَالِي لَتَسْأَلَنَّهُ =

الادب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكان اسمُ ذلك الرجل الداخل أحدَ صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يُكَنِّي عنه ويُجيبَ باسم أبيه. كما فعل سعيدُ.

== فقال عمر: متى؟ قال:

يوم تكون الأعطياتُ جنة * والوائفُ المسوّلُ يَنهَنُ
إِنا إلى نارٍ إنا جنة.

فبذ عمر رضى الله عنه قيصه، وقال: هذا جنة ذلك اليوم!

وروى أن الرشيدَ جلس يوماً للظالم فرأى في الناس شيئاً حسن الهيئة. فلما تقوَّض المجلس، قام الشيخ ويده قصته، فأمر بأخذها. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في قراءتها، فإنّي أحسنُ تعبيراً نلتُ. قال: أقرأ! قال: يا أمير المؤمنين، إني شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ، والمقامُ عظيمٌ. فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في الجلوس؟ فقال: اجلس! اجلس. ثم قال:

يا خيرَ مَنْ جَدَّتْ لِرِحْلَتِهِ * تُجِبُّ الرّكابَ بِهَمِّهِ جَلْسٍ!

يقول فيها:

لما رأيتُك الشمسُ طالعةً، * سمعتُ لوجهك طلعةَ الشمسِ.
خيرُ السّيرةِ أنتَ كلِّهم * في يومك القادى رقى أَمْسِ،
وكذلك لم تنفكْ خيرهم * تُنمى، وتُصبح فوق ما تُنمى.
لله يا هرونُ من ملك * عَفَّ السّيرة طاهر النّفسِ!
نمتَ عليه لربه نعم * تَرَدَّادُ جِسَدِهَا على اللّبسِ.

(أردتُ قوله "لله يا هارون")

وبقية الشعر:

من عِرة طابت أرومتها، * أهلُ العفافِ ومثبىّ القُدسِ.

مُتَلَبِّينَ على إسرَتهم * ولدى الهياجِ مصابِ نَمْسِ =

ابن مرة الكندي، حين أتى معاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مرة^(١)!

وكما قال السيد بن أنس الأزدي^(٢) - وقد سأله المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس^(٣)!

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنوايه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله^(٤)!

إني بلغت إليك من قريبي * قد كان شردني من الأنس.

لما استخرت الله مجتهداً، * يمتن نحرك رحلة العنس.

وأحررت حملك لا أجازه * حتى أغيب في ثرى الرمس.

فلما أتى على آخرها، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
وأمر له بخمسة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المنيرة لعمري رضي الله عنهما: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذاك نبي الله داود! قال: يا خليفة رسول

الله! قال: ذاك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذاك أمر يطول! قال:
يا عمر! قال: لا تجنس مقامى شرفه! أتم المؤمنون، وأنا أميركم. فقال المنيرة: يا أمير المؤمنين! «

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)
وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة بعبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد"
(ص ٢١) و"المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

ألا تراه (رحمة الله) كيف تخلّص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فاستعمله؟
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة،
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



ومن حقّ الملك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن
يشركه فيها.

الأمور التي يتفرد
بها الملك في عاصمته

(١) ربما يدخل في هذا الباب ما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ
مرجوليوث) أن "أبا زيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أزل دثولته عليه - سأله عن اسمه . فقال : أبوزيد .
فمجبب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته ، وعد ذلك من سقعاته . فلما خرج ، ترك
خاتمه في مجلسه عنده . فأبصره أحمد بن سهل ، فأزداد تعجباً من فقلته . فأخذه بيده ونظر في نقش قصده ،
فاذا عليه : أحمد بن سهل . فلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة الواقعة بينه وبين اسمه ، وأنه أخذ
بحسن الأدب رواعي جد الاحتشام ، واختار وصمة التزام الخطأ في الوقت والحال ، على أن يتعاطى اسم الأمير
الاستعمال والابتدال ."

وروى ابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي رائل : أيكأ أكبر ، أنت
أم الربيع بن خثيم؟ قال : أنا أكبر منه سناً ، وهو أكبر مني عقلاً .

وقال معاوية لأبي الجهم المدوني : أنا أكبر أم أنت؟ فقال : لقد أكلت في عرس أمك ، يا أمير المؤمنين .
قال : عند أي أزواجها؟ قال : عند حفص بن المغيرة . قال : يا أبا الجهم ، إياك والسلطان ! فانه ينضب غضب
الصبي ويأخذ أخذ الأسد . (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢) . قال الججاج للهلب : أنا أطول أم أنت؟ فقال :
الأمير أطول ، وأنا أبسط قامته . (المحاسن والأضداد ص ٢٢ ، والمحاسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأول به أن يقتدى بطويس المغني المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن عفان : أينا أسن؟ فقال :
"بأبي وأمي أنت ! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . " لتلا يومهم أمراً . (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣ ؛ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١١٧) . وأورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلق
عليها تعليقا لطيفا ، فقال : فأنظر إلى حذقه وإلى معرفته بخارج الكلام ! كيف لم يقل " بزفاف أمك الطيبة
إلى أبيك المبارك " (أظن البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤)

(٢) ص : " كانت صيغتهم غير صيغ العامة . "

فمنها الحجامة، والفصد، وشرب الدواء، فليس لأحد من الخاصة والعامة ممن
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك
دمه، فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله؛ بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشاغل بطلب سلامته، وظهور عافيته،
وكيف وجد عاقبة ما يعالج به."

وليس الاقتفاء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعل من تمت طاعته وصحت
نيتته وحسنت معونته، لأن في ذلك آستهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بدءاً، بالمهل
المبسوطة والأيام الممدودة، فهو عاصٍ مفارق للشرعية.

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت، وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم ترك الحجامة
في هذا اليوم على ذكر! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنسائكم وغسل ثيابكم!"
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.

(٧٢)

١٥

++

ومن حق الملك - إذا عطس - أن لا يسمت؛ وإذا دعا، لم يؤمن على دعائه.
وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة،
وليس بتحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح: لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء
الملك الصالح."

عدم تسميت الملك
وعدم التأمين
على دعائه

ومن حقّ الملك أن لا يُعزّيه أحدٌ من حاشيته وحامته وأهل بيته وقرايته؛
وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة، أو لمن قارب الملك في العزّ والسلطان^(١)
والبهاء والقدرة. فأما من دون هؤلاء، فيُنهَوْنَ عن التعزية أشدّ النهي.

عدم تعزية الملك

وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيه وهو صغير، فجاءه الوليد
فعزّاه، فقال: يا بُنَيَّ! مصيبتى فيك أقدم في بدنى من مصيبتى بأخيك! ومتى رأيت
أبنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين! أمي أمرتني بذلك. قال: ذاك يا بُنَيَّ
أهونٌ عليّ! وهذا العمري من مشورة النساء!^(٢)

٧٣

سرعة الغضب
وربطه الرضا

ومن أخلاقه سرعة الغضب، وليس من أخلاقه سرعة الرضا.
فأما سرعة الغضب، فإنما تأتي الملك من جهة دوام الطاعة. وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره. فإذا ألفت النفس هذا العز الدائم، صار أحد صفاتها.
فتقرع حس النفس ما لا تعرفه في خلقها، تفرّت منه نفورا سريعا، فظهر الغضب،
أنفة وحية.

وأما رضا الملك فبطيء جدًا. لأنه شيء يمانعه النفس أن يفعله، وتدفعه عن
نفسها. إذ كان في ذلك جنس من أجناس الاستخذاء، وخلق من أخلاق العامة.

(١) ص: والقراية.

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوي" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ٣٤) ونحتها بأن عبد الملك قال لأبيه: "والله لتعزيتك إياي أهون عليّ من قبولك
مشورة النساء!" [وهي أحسن من روايتنا. ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز
رعيهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأساً."]

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره
ليلة من الليالي. فقال له بعض سُمَّاره: يا أمير المؤمنين! فلان لو رآه أعدى خلق الله
له، لرحمه وأنصر له قلبه. قال: ولِمَ ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال:
ماله من الذنب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فَمَنْ عليه، يا أمير المؤمنين،
برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلتُ إنك يا أمير المؤمنين لما صغرت ذنبه،
طِيعتُ في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يَحْسُنْ
أن يغضب ولا يرضى.

غضب السفاح
على أحد رجاله

٧٤

وعلى هذا أخلاق الملوك وصنيعهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخزاعي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله
وحشَمَه وجميع قرابته أن يحتبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه
وبدنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يَدُنْ منه أحدٌ ولم يَطْفُ به.
بغاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له:
يا أبا العباس! إنَّ لك عندي يداً لا أنساها ومعروفا ما أكفُّره. وقد علمتُ ما تقدم به
أمير المؤمنين في أمرك. وما أنا ذا بين يديك ونُصِبَ عينيكَ! فمرني بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

(١) يقال في اللغة عَصَرَ العنب ونحوه فأنعصر. وفي المفضليات:

وَهِيَ لَوْ يُعَصَّرُ مِنْ أَوْدَانِهَا * عَبُّ الْمِسْكِ، لَكَانَتْ تَنْعَصِرُ.

ومن شواهد النحاة:

نَوْدٌ يَفْعَلُ الْفَرْعُ مِنْهَا الْمُؤَيَّرُ * لَوْ عَصَرَهَا الْبَانُ وَالْمِسْكَ، أَنْعَصَرَ.

وكنتُ الجاحظ بأنعصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان"

أي يابس عطشا.

٢٠

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب].

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الليل.

- ٧٥ (١) لأجعلن نفسي وقايةً نفسك، أو أسوقها في كل ما نكأها أو جرحها. فقال له عبد الله خيرا، وأثنى عليه، وأخبره بعذره في موقعة أمير المؤمنين عليه. فوعده محمد أن يكلم أمير المؤمنين ويخبره باعتذاره. فلما أصبح محمد واقاه رسول أمير المؤمنين، فركب. فلما دخل عليه، قال: من أتيت في هذه الليلة؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين، عبد الله بن مالك، وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق ماله وصدقة ماله مع عشرين نذرا يهديها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا، والبراءة من ولاية أمير المؤمنين إن كان ما بلغ أمير المؤمنين سمعه الله من عبد الله بن مالك، أو أطلع عليه أو هم به أو أضمره أو أظهره. قال: فاطرق الرشيد مليا مفكرا. وجعل محمد يلحظه، ووجهه يسير ويشرق حتى زال ما وجدته. وكان قد حال لونه حين دخل عليه. ثم رفع رأسه فقال: أحسبه صادقا، يا محمد. قره بالروح إلى الباب. قال: وأكون معه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فأنصرف محمد إلى عبد الله، فبشره بجبل أمره، وأمره بالركوب رواحا. فدخل جميعا. فلما بصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة فخر ساجدا، ثم رفع رأسه فاستدناه الرشيد. فدنا وعيناه تهملان. فأكب عليه قبل رجلاه وبساطه وموطئ قدميه، ثم طلب أن يأذن له في الاعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر، إذ عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله بعد، إذا دخل على الرشيد، رأى فيه بعض الإعراض والانتباض. فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم. فقال محمد: يا أمير المؤمنين! إن عبد الله يشكو أثرا باقيا من تلك النبوة التي كانت من أمير المؤمنين، ويسأل الزيادة
- ١٥

(١) أوجب وقوع النكاح بها.

(٢) أصابها بجراحة.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معشر الملوك ، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا ثم رضينا عنه بعد ذلك ، بقي لتلك الغضبنة أثر لا يخرجها ليل ولا نهار .^(١)

✱✱

ومن حق الملك أن يكتم أسرارَه عن الأب والأم والأخ والزوجة والصديق .
فإن الملك يحتمل كل متبوص ومأنوف ، ولا يحتمل ثلاثة : صفة أحدهم أن^(٢)
يطعن في ملكه ، وصفة الآخر أن يدعي أسرارَه ، وصفة الآخر أن يحونه في حرمه .^(٣)

﴿٧٧﴾

فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تلبس خاصتها ومن قرب منها على ما فيهم ، وأن تستمع منهم إذا سألوا من هذه الصفات الثلاث .
وكان كسرى أبرويز يقول : " يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كله في آمتحان^(٤)
أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه " .

فكانت محنته في إذاعة السر عجيبة . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب العدل ، داخله في باب الظلم والجور ، ولأنه يقول إنها بمن الحكماء من الملوك .
وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته التحاب والألفة والاتفاق في كل شيء وعلى كل شيء ، خلا بأحدهما فأفضى إليه سر في الآخر ، وأعلمه أنه عازم على قتله ، وأمره بكتان ذلك عن نفسه ، فضلا عن غيره . وتقدم إليه في ذلك بوعيده .

إمتحان أبرويز
رحاله في حفظ السر

(١) نقل هذه القصة في " المحاسن والمساوي " (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكروه . وهذه الكلمة ساقطة في ص .

(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة مسروبة بلفظ آخر لابي

جعفر المنصور العباسي . (انظرها في المحاسن والأضداد ص ٢٨ ، والمحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

(٤) في " محاسن الملوك " (ص ٥٤) مانعه : وأما كتمان سر السلطان فهو ملاك الأمر ونظام المملكة وسبب بقاء الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وماحب سره ، لم يفارقه في شيء حتى لا يبق عنده أحد . فإذا لم يبق أحد ، أمر أن ترفع الستائر عن ليله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فافوضه بسرّه .

ثم جعل يُخْتَبِئُهُ فِي إِذَاعَةِ سِرِّهِ مِلَاحِظَةً صَدِيقَهُ فِي دُخُولِهِ عَلَيْهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ عِنْدِهِ،
وَفِي إِسْفَارِ وَجْهِهِ وَلِقَائِهِ لِلْمَلِكِ. فَإِنْ وَجَدَ آخِرَ أَمْرِهِ كَأَوَّلِهِ فِي أَحْوَالِهِ، عِلْمٌ أَنَّ
الْآخِرَ لَمْ يُفِضْ إِلَيْهِ سِرَّهُ وَلَمْ يُظْهِرْهُ عَلَيْهِ، فَقَرَّبَهُ وَاجْتَبَاهُ وَرَفَعَ مَرْتَبَتَهُ وَجَبَاهُ،
ثُمَّ خَلَا بِهِ، فَقَالَ: "إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ قَتْلَ فَلَانٍ لَشَيْءٍ بَلَغَنِي عَنْهُ. فَبَحِثْتُ عَنْ أَمْرِهِ
فَوَجَدْتُهُ بِاطْلَاقٍ." (١)

وَأِنْ رَأَى مِنْ صَاحِبِهِ تَقَوُّرَ نَفْسٍ وَأَزْوَارَ جَانِبٍ وَإِعْرَاضَ وَجْهِهِ، عِلْمٌ أَنَّهُ قَدْ
أَذَاعَ سِرَّهُ، فَأَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ وَجَفَاهُ، وَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ أَنَّهُ أَرَادَ يُخْتَبِئُهُ بِمَا أَوْدَعَهُ مِنْ
سِرِّهِ. فَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ، وَضَعِ مَرْتَبَتَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ النَّدَمَاءِ، أَمْرٌ
أَنْ يُتَجَبَّ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ، أَمْرٌ أَنْ [لَا] يُسْتَعَانَ بِهِ، وَإِنْ
كَانَ مِنْ سَدَنَةِ بَيْوتِ النِّيرَانِ، أَمْرٌ بِعِزْلِهِ وَإِسْقَاطِ أَرْزَاقِهِ. وَيَقُولُ: "مَنْ لَمْ يَصْلُحْ
لِمَلِكِهِ، لَا يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ، فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ." وَيَقُولُ: "إِنَّ الْقَلْبَ
أَعْدَلُ عَلَى الْقَلْبِ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ، وَقَلُّ شَيْءٍ يُكُونُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا ظَهَرَ فِي الْعَيْنَيْنِ:
إِذَا كَانَتِ الْأَعْضَاءُ مُشْتَرِكَةً يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ." (٢)

إِمْتِنَانُهُ لِرِجَالِهِ
فِي حِفْظِ الْحَرَمِ

فَأَمَّا مَحْتَهُ فِي الْحَرَمِ، فَكَانَ إِذَا خَفَّ الرَّجُلُ عَلَى قَلْبِهِ وَقَرَّبَ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَانَ عَلِيمًا
يُظْهِرُ التَّأَلُّهُ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْأَمَانَةِ فِي الدَّمَاءِ وَالْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ عَلَى ظَاهِرِهِ،
أَحَبُّ أَنْ يَمْتَحِنَهُ بِمِخْنَةٍ بَاطِنَةٍ. فَيَأْمُرُ بِهِ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَى قَصْرِهِ وَيُفَرِّغَ لَهُ بَعْضُ الْحَجَرِ
الَّتِي تَقْرُبُ مِنْهُ، وَلَا يُحَوَّلَ إِلَيْهَا أَمْرَاءٌ وَلَا جَارِيَةٌ وَلَا حُرْمَةٌ وَيَقُولُ لَهُ: "إِنِّي أَحِبُّ
الْأَنْسَ بِكَ فِي لَيْلٍ وَنَهَارٍ. وَمَتَى كَانَ مَعَكَ بَعْضُ حَرَمِكَ، قَطَعْتُكَ عَنِّي وَقَطَعَنِي عَنْكَ."

(١) رَوَى صَاحِبُ "مِحَاسِنِ الْمُلُوكِ" هَذِهِ الْعِبَارَةَ بِإِخْتِصَارٍ. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سَمَهُ: إِنَّ الْقَلْبَ لِيُظْهِرُ مَا فِيهِ فِي الْعَيْنَيْنِ.

فَأَجْعَلْ مُنْصَرَفَكَ إِلَى مَنْزِلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ نَحْسٍ لَيْالٍ لَيْلَةً. “ فإذا تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَخَلَا بِهِ وَآنَسَهُ وَكَانَ آخِرَ مَنْ يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهُرًا.

- فَأَمْتَحَنَ رُجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْمِحْنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّائِفِ وَهَدَايَا. وَأَمَرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تُاتِيهِ.
- فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّائِفِ الْمَلِكِ، قَامَتْ. فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ. حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَيْئَةً. وَأَنْ تُبْدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا. فَفَعَلَتْ وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتُعَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ. فَفَعَلَتْ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُجِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرُّ بِمَحَدِثِهَا. وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ. فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ: “ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْثَرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي أَدْبُرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا. “ ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا. فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَثَقَاتِهِنَّ بِالطَّائِفِ وَهَدَايَاهُ. فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا: مَا فَعَلْتَ فُلَانَةً؟ قَالَتْ: أَصَلَّيْتُ. فَأَرَبَدُّ لَوْنُ الرَّجُلِ. ثُمَّ لَمْ تُطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأُولَى فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا. وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودَ وَالْمُضَاحِكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ. فَدَعَاَهَا إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ. فَقَالَتْ: “ إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى خُطَى يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؛ وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَى بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعٍ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ. فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُ، فَأُظْهِرْ أَنَّكَ عَلِيلٌ، وَتَمَارِضُ. فَإِنْ

خبرك بين الأنصراف إلى دور نسائك أو المقام ههنا إلى رجوعه، فأختر المقام وأخبره
 أن الحركة تصعب عليك. فإذا أجابك إلى ذلك، جئت في أول الليل ولبثت عندك
 إلى آخره. فسكن الرقيع^(١) إلى هذه الأنسة، وأنصرفت الجارية إلى الملك فأخبرته
 بكل ما دار بينها وبينه. فلما كان الوقت الذي وعده أن يخرج الملك فيه، دعاه الملك.
 فقال للرسول: أخبره أني عليل. فلما جاءه الرسول وأخبره، تبسم أبرويز، وقال: هذا
 أول الشر. فوجه إليه بمحقة، فحمل فيها حتى أتاه، وهو معصب الرأس. فلما بصر به
 من بعيد، قال: والعصاة الشر الثاني. وتبسم. فلما دنا من الملك، سجد. فقال له أبرويز:
 متى حدثت بك هذه العلة؟ قال: في هذه الليلة. قال: فأي الأمرين أحب إليك؟
 ألا أنصرف إلى منزلك ونسائك ليمرضنك أو المقام ههنا إلى وقت رجوعي؟ قال: ههنا
 أيها الملك أرفق بي، لقلة الحركة. فتبسم أبرويز، وقال: ما صدقت! حركتك ههنا،
 إن خلقتك، أكثر من حركتك في منزلك.

ثم أمر أن تُخرج له عصا الزناة التي كان يؤسم بها من زنى. فأيقن الرجل بالشر.
 وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفاً حرفاً، فيقرأ على الناس إذا حضروا، وأن
 ينفي إلى أقصى حد المملكة، ويجعل العصا في رأس رُيح تكون معه حيث كان،
 ليحذر منه من لا يعرفه. فلما أُخرج بالرجل عن المداين، متوجهاً به نحو فارس
 أخذ مذيّة كانت مع بعض الأعوان الذين وكلوا به، بغب بها ذكره، وقال: من
 أطاع عضواً من أعضائه صغيراً، أفسد عليه أعضائه كلها، صغارها وكبارها.
 فمات من ساعته.^(٢)

(١) الرقيع والمرقمان الأحق وهو الذي في عقله مَرَمَةٌ (صحاح) [حاشية في صـ]. والمرمة

معناها هنا الاحتياج إلى الترقيع والترميم. (أنظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) روى هذه القصة في "المحاسن والأضداد" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

استعان به فيمن
يطعن في الملكة

وكان قد نصب رجلاً يمتحن به من فسدت نيته وطعن في الملكة. فكان
الرجل يظهر التأله والدعاء إلى التخلي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب
الملوك. وكان يقص على الناس ويكيهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض
بذم الملك وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آبائه. وكان هذا الرجل الذي
نصبه لهذا أخاه من الرضاة وتربه في الصبا. فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي
قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتحن بذلك خاصته، أخبر به. فيضحك لذلك
أبرويز، ويقول: "فلان في عقله ضعف، وأنا أعلم به. وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني
بسوء، ولا الملكة بما يؤهئها"، فيظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه.
ثم يوجه إليه في خلال ذلك من يدعو به إليه، فيأبى أن يجيبه، ويقول: لا ينبغي لمن
يخاف الله أن يخاف أحداً سواه. فكان الطاعن على الملك والملكة يكثر
الخلوة بهذا الرجل في الزيارة له والأنس به. فإذا خلوا، تذاكروا أمر الملك، وأبتدا
الناسك يطعن على الملك وفي صلب الملكة. فأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشايعة
عليه، فيقول له الناسك: "إياك أن تظهر هذا الجبار على كلامك! فإنه لا يحتمل لك
ما يحتمله لي. فخص من دمعك!." فيزداد الانحراف إليه استنامة وبه ثقة. فإذا علم
الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة، قال له:
إني عاقد غداً مجلساً للناس أقص عليهم، فأحضروه! فإنك رجل رقيق القلب عند
الذكر، حسن النية، ساكن الريح، بعيد الصوت. وإن الناس إذا رأوك قد حضرت
مجلسي، زادت نياتهم خيراً، وسارعوا إلى استجابتي. فيقول له الرجل: إني أخاف
هذا الجبار، فلا تذكره إن حضرت مجلسك.

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
 ابتدأ في قصة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوننا تحضر مجلس الناسك، متى جلس.
 فبكر الناسك وقص على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن. فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فإذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فأظهر به والأُنس به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فاقتله قتلة تُخفي بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار^(١). فإنه من فسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعله^(٢)."

٨٥

تغافل الملك
الصغار

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يجرح المال ولا يضع من
 العز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء القرن بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. ومنه شرح وافي
 في باقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراسد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "وشفاء الغليل" (ص ٢٠٣). وأظن Dictionnaire géographique de la Perse, par
 Barbier de Meynard, pp. 122, 569.

(٢) ص: "لغير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 ونقصها جدًا صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمسار" (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) ص: في القلب ولا يخرج.

تقابل بهرام جور
عن سرقة اللجام

وفيا يحكى عن بهرام جور أنه خرج يوما لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى راي تحت شجيرة، وهو حاقن^(٢). فقال للراعي: احفظ على عنان دابتي، حتى أبول. فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان الفرس. وكان بلامه ملبسا ذهباً، فوجد الراعي غفلة من بهرام فأنرج من حقه سكيناً فقطع بعض أطراف اللجام. فرفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستعجا، ورمى بطرفه إلى الأرض، وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاسته من اللجام، قام فقال: يا راعي! قدم إلى فرسي، فإنه قد دخل في عيني مما في هذه الريح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤلمه أنه يتفقد حلية اللجام. فقرب الراعي فرسه فركبه. فلما ولي، قال له الراعي: أيها العظيم! كيف أخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (الموضع بعيد). قال بهرام: وما سؤالك عن هذا الموضع؟ قال: هنالك منزلي، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومى هذا، ولا أراى أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وفطن لما أراد. فقال: أنا رجل مسافر، وأنا أحق بأن لا أعود إلى هاهنا أبداً. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابه ومراكمه: إن معاليق اللجام قد وهبت لسايل مرري، فلا تهنن بها أحداً^(٥).

١٥ (١) عار الفرس أى ذهب هاهنا وهاهنا، وذهب على وجهه كأنه منقلبت. وفي سره. معاوته فرسه. [وفي هامشه: صح: عاره يعوره ويعيره أى أمخذه وذهب به]. وأنت ترى أنت رواية صحه عارية عن الصواب، وأن حاشيته في الهامش لا محل لها في هذا المقام.

(٢) أى اجتمع البول فيه، فهو في حاجة شديدة إلى تصريفه. ومنه الحديث: «لا راى لحاقب ولا لحاقن» أى لمن تشد به الحاجة للإخراج من أحد السيلين. ويكون مضطراً لحبسهما.

٢٠ (٣) [أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب]

(٤) سره: طلبه.

(٥) روى هذه الحكاية بحرفها في «المحاسن والمساوى» (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجان^(١)، ووضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى بحيث يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما أنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب^(٢) فأخفاه في قبائه، وأنوشروان يلاحظه. فصرف وجهه عنه. وأفتقد صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش. فقال كسرى: لا تتعرض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إننا قد فقدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا ينم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام^(٣).

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووضعت الموائد، وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعده على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسرهما، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجريانه على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة درزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (قباي) في اللسان الفارسي فنقلوه إل لغتهم وقالوا (Kabnai) للدلالة على الثوب الذي يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير جدًا صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي صم: وبذر.

فقال: دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ آتَيْتُمْ بِهِ الْمَجْلِسَ. فَأَخَذَ كَيْسًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَحُجْرَةِ سِرَاوِيلِهِ، وَقَامَ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ. فَقَالَ الْخَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ قَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسُ دَنَانِيرَ. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مَحْسُوبٌ لَكَ^(٢).

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم.



وإنما يتفقد مثل هذا من هو دون الملك. فأما الملك، فيجمل عن كل شيء ويصغر عنده كل شيء.

والعاقبة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه. وإنما هو شيء ألقاه الشيطان في قلوبهم وأجراه على ألسنتهم، حتى قالوا في نحو من هذا في البائع والمشتري: "المغبون لا محمود ولا مأجور". فحملوا الجمل على المنازعة للباعة، والمشاتمة للسفلة والسوقة، والمقاذفة للرعاع والأوضاع^(٣)، والنظر في قيمة حبة، والأطلاع في لسان الميزان، وأخذ المعايير بالأيدي^(٤).

الرد على قولهم:
المغبون لا محمود
ولا مأجور

وبالحري أن يكون المغبون محموداً ومأجوراً. اللهم إلا أن يكون قال له: اغني. بل لو قالها، كانت أكرامة وفضيلة^(٥)، وفعلة جميلة تدل على كرم عنصير القائل وطيب مرگيه.

(١) وضع النكته من السراويل.

(٢) رواها باختصار صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦)

(٣) ص: "والمقازفة للزعازع والأوضاع".

(٤) جمع معيار.

(٥) ص: "مكرمة". | رها بمعنى واحد.

ولذلك قالت العرب: "السُّرُ والتَّافُلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التقصّي إذا بُحِثَ، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ما تقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يرحمُ الله سَهْلَ الشِّراءِ، سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ القِضاءِ، سَهْلَ التَّقاضي!"^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجُرُ ذيلي على الخلدائِ."

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكاساً."

كلمة معاوية

كلمة الحسن

سليمان بن عبد الملك
والأمرأى الذي
أخذ رداً

وفيما يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حبة أبيه لِمَتْرَهه، فَبَسِطَ له في صحراء، فتغذى مع أصحابه. فلما حان أنصرافه، تشاغل غلمانته بالترحال، وجاء أعرابي فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُؤَاجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في س: "السرو والتافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور من السجاح قوله: "التغافل من مجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الغيُّ بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتناهي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) ص: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً

سهماً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لِمَتْرَهه.


(٥) الدُؤَاج هو الخفاف الذي يُلَسّ. ولعل شبيهه بالملحفة المسماة الآن بالمُضْرِبِيَّة. وأنظر ما كتبه عليه

دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدور: مُجَدِّد لَأَمِّ

المعز ثلاثة دوايح كانت تستعملهن، هُؤُوم الدُؤَاج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألقِ ما عليك ! فقال الأعرابي : " لا لعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته " . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فزكاته إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن عليّ بالأمس ، وقد عُثرَ برجل سرق دُرّةً رائعة ، أخذها من بين يديه . فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وُجِلَ إلى جعفر فلما بَصُرَ به ، استَحيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدُرّة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لا تعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدُرّة




ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وبرّهم والاستئمان إليهم .^(٢) "تقدمة لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحدٍ منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكّر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمنّ دونه .^(٣) فإن كان الملك

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [وضعت حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضد :

في السياق .]

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألقِ ما عليك ! فقال الأعرابي : " لا لعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته " . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فتركانه إعصار الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عُثِرَ برجل سرق دُرَّةَ رائعة ، أخذها من بين يديه ، فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وحمل إلى جعفر فلما بصر به ، استجيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لا تعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدرة
٩٠



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وبرهم والاستئمان إليهم .^(٢) لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحد منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمن دونه . فإن كان الملك^(٢)

(١) رواها في " المحاسن والمساوي " (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : " إن " صه : " وإن " . [ووضعت حرف العاء لمنع التشويش في الجملة ، والأخذ

في السياق .]

ولذلك قالت العرب: "السُّرُّوُ التَّغافلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبدًا أحدًا يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُين، وعن التقصّي إذا بُحِث، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحَمُ اللهُ سَهْلَ الشِّراءِ، سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ الْقِضاءِ، سَهْلَ التَّقاضِي!"^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجرؤ ذلي على الخلدائع."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكاسًا."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

وفيما يضحك عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لِمُنْزَهه^(٤)، فبُسطَ له في صحراء، فتغشّى مع أصحابه، فلما حان أنصرافه، تشاغل غلماناه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُواجَ سليمان فرمى به على طائفه، وسليمان ينظر

(١) في سه: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "التغافل من مجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الغيُّ بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغاي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) سه: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً

سُمِعَ إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) سه: لمنزله.

(٥) الدواج هو الخفاف الذي يلبس. ولعل شبهه بالملحفة المسماة الآن بالمُصْرِيَّة. وأنظر ما كتبه عليه

دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدور: هو عهد لأم

المعز ثلاثة دوايح كانت تستعملهن، هُؤُم الدواج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

فيه سِيِّئَةُ الرَّأْيِ ، فليس من الوفاء أن يُعِينَهُ عَلَى سُوءِ رَأْيِهِ . فَإِنْ خَافَ سَوَاطِطَ الْمَلِكِ
وسيفه ، فَأَحْسَنُ صِفَاتِهِ أَنْ يُمَسِّكَ عَنْ ذِكْرِهِ بِخَيْرٍ أَوْشَرٍ .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والنعل بالنعل
والثوب بالثوب .

ومنها - الحفظ له في خلفه وعباله ، ما كان في الدنيا ، حتى يجعلهم إسوة عياله
في الجذب والجذب .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أولها وآخرها ، لا تمنع أحدا من خاصتها وعامتها شكر من
أنعم عليها أو على أحد منها وتقريظه وذكر نعمه وإحسانه ، وإن كانت الشريعة قد
قتله والمالك قد سخط عليه . بل كانوا يعرفون فضيلة من ظهر ذلك منه ويأمرون
بصلته وتعهدده .

ويقال إن قُبَاذَ أَمْرٍ بقتل رجل كان من الطاعنين على المملكة . فُقْتِلَ . فَوَقَفَ عَلَى
رَأْسِهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ جِيرَانِهِ فَقَالَ : ” رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - لَتُكْرِمَ الْجَارَ
وَتَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُ ، وَتُوَاسِيَ أَهْلَ الْحَاجَةِ ، وَتَقُومَ بِالنَّائِبَةِ ! وَالْعَجَبُ كَيْفَ وَجَدَ
الشَّيْطَانُ فِيكَ مَسَاغَا حَتَّى حَمَلَكَ عَلَى عَصِيَانِ مَلِكِكَ ، فَفَرَجْتَ مِنْ طَاعَتِهِ الْمَفْرُوضَةِ
إِلَى مَعْصِيَتِهِ ! وَقَدِيمًا مَا تَتَكَّنْ مِنْهُ أَوْ أَشَدَّ مِنْكَ قُوَّةً وَأَثْبَتَ عَزْمًا . “ فَأَخَذَ الرَّجُلَ

قُبَاذَ وَمَادِحَ الْجَنَانِ
عَلَى الْمَلِكَةِ

صاحب الشرطة فبسه . وأتته كلامه إلى قُبَادَ، فوقع قُبَادُ: يُحَسِّنُ إلى هذا الذي شكر إحساناً فِعْلَ به، وُتْرِفَعُ مرتبته، ويزاد في عطائه. (١)

* وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ بن هَيْبَةَ [المنزومي] (٢)، حين حُمِلَ رأس مَرَّوَان [الجعدى] (٣) إلى أبي العباس [السفاح] بالكوفة، فعقد له مجلساً وجاءوا بالرأس، فقام سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ فأكب عليه قياماً طويلاً، ثم قال: هذا رأس. ٥

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ١١٤).

(٢) كان من دجالات مروان الجعدى، وأشترك معه في وقعة الزاب. (الطبري سلسلة ٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٤ والأثنى ج ١١ ص ٧٥؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥).

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق.

- ١٠ رُلْدَ سَنة ٧٢ وقيل سنة ٧٦. تولى هشام وورثه من الخلفاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لغاية سنة ١٢٦. وفي هذه السنة الأخيرة أظهر الخلاف على يزيد بن الوليد. ثم سار في سنة ١٢٧ إلى الشام وحارب سايان بن هشام ودعا الناس إلى ما بعثه. وتمت له البيعة بدمشق في تلك السنة. وهو الذي سُمِّيَ يزيد ابن الوليد الناقص. وكانت وفاته بأرض مصر في سنة ١٣٢ هجرية. [أنظر صفحة ١٧٥ من هذا الكتاب].
- وهو المعروف في كتب التاريخ بمروان القُفَرَس، ومروان الحمار، ومروان الجعدى. سماه العباسيون الذين خرجوا عليه وقلبوا دولته بالحمار في نظير تسميته بالقُفَرَس. وقيل إنه لُقِّبَ بالحمار لأنه كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجين عليه. (كان يصل السير بالسير ويصبر على مكروه الحروب. ويقال في المثل: "فلان أصبر من حمار في الحروب" فلذلك لقب به). وقيل إن العرب سُمِّيَ كُلُّ مائة سنة حماراً. (فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك). وربما كان ذلك لفراره على حمار (يدلُّ على ذلك قول رؤمة ابن العجاج في مدح النعمان:

ما زال يأتي الأمر من أقطاره * عن اليمى وعلى يساره،

منشراً لا يضل على يساره * حتى أقر الملك في فصراره

= وفر مروان على حماره.)

(١١)
أبي عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فطعن في
وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه، فلامه بنوه وأهله،

== وأما تسميته بالجمدى فتسبب إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتعاليم مؤدبه الجعد بن
سويد بن ققلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيو
نسبوا إلى الجعد ما رأوه من سعة علمه. وكان الناس يذمون مروان بنسبته إلى الجعد. وكان الجعد
المعتزلة وأظهر مقالاته بخلق القرآن والقدر والاستطاعة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا
يتولد منه الولد، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله، لا فاعل له غيرى، وإنما يقال إن الله خلقه مجازا لا.
ومن قوله: "إن كان النظر الذى يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها". وقيل إنه كان
وعظه ميمون بن مهران، فقال: "لأداء قباذ أحب إلى مما تدين به! فقال له مهران: فلتك الله، وهو
وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراق
بقتله. فحبسه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاما فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأنم
من الحبس فى وثاقه. فلما صل العيد يوم الاضحى قال فى آخر خطبته: "انصرفوا وتمسوا يقبل الله.
أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن دوهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلا! تعالى الله
الجعد علوا كبيرا!" ثم نزل وذبحه.

أقتر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأنظ
(ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧)؛ وأنظر "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والمصن
والأهواء والنحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١)؛ وابن الأثير (ج ٥ ص
١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب (ص ٨٤)؛ والفرق بين الفرق لعبد
البغدادى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجعدى، باسم أبه.

(٢) أى فى حقه.

عَرَضْتَنَا وَنَفْسَكَ لِلْبَوَارِ ! فَقَالَ : أَسْكُتُوا ، قَبِّحَ اللَّهُ ! أَلَسْتُمْ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيَّ
بِالْأَمْسِ بِحِزَانٍ بِالتَّخَلُّفِ عَنْ مَرْوَانَ ، فَفَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ؟
وَمَا كَانَ لِي غَسِيلٌ عَنِّي عَارِ تِلْكَ الْقَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ . فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ ^(١) ، فَإِنْ نَجَوْتُ يَوْمَ
هَذَا مِنَ الْقَتْلِ ، مُتُّ غَدًا . قَالَ : بِفَعْلٍ بَنُوهُ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ . فَأَصْبَحُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ . وَغَدَا الشَّيْخُ فَإِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ . فَلَمَّا
بُصِّرَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَبْنُ جَعْدَةَ ! أَلَا أَبْشُرُكَ بِجَيْلٍ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ
الَّيْلَةِ مَا كَانَ مِنْكَ ، فَقَالَ : ” وَاللَّهِ ! مَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ . وَلَهُوَ
أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً ، وَأَمْسُ بَنَا رَحِمًا مِنْهُ بِمَرْوَانَ ، إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ ! “ قَالَ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ ! ^(٢)

(١) تقول العرب : فلان هامة ، أى يمير في قبره . ومنه قول كثير :

فَإِنْ لَمْ تُلْغِ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعِ الْهَوَى ، بِالْأَمْسِ تَسْأَلُ عَنْكَ ، لَا مَالِ تَحْلِدِ .
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فَهُوَ قَاتِلٌ ، مِنْ أَحْلِكَ هَذَا هَامَةً الْيَوْمَ أَوْغَدِ .

يقال : فلان هامة اليوم أو غدا ، أى يموت في يومه أو غده . ويقال ذلك للشَّيْخِ إِذَا سَنَّ ، وَالْمَرْءُ يَنْسُ إِذَا طَالَتْ
عِلَّتُهُ ، وَالْمُخْتَصِرُ لِمُدَّةِ الْأَجَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا حذيفة بن اليمان قال لثابت بن وقش الأصبهاني وقد تخلف
معه في غزوة أحد : ” إِنَهُضْ بَنَا نَصْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْغَدِ “ .
(وكان قد أسنَّ) . ومراجع ذلك لاعتقاد العرب في مسألة الهامة . (راجع ” الكامل “ للبرد ص ٢١١ و ٣٨٧ ؛
وأظن ” الأغاني “ ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة من صـهـ . وقد رواها في ” المحاسن والمساوي “

(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
أبن عبادة إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأنصاري] بمعاوية بن أبي سفيان، حين دعاه إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد: "يا وثن ابن وثن! تكتب إلي تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك وتخونني بتفرق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفاهم إليك! فوالله الذي لا إله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره، ما سألتك أبدا، وأنت حرب، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدو الله علي وليه، ولا حرب الشيطان علي حرب الله. والسلام!"

الإسكندر
والمقتربون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم، يتمتزون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رغيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شيرة وماده
على قتل أبرويز
(١٢)

وفيما يحكي عن شيرة أن رجلا من الرعية وقف له يوما، وقد رجع من الميدان، فقال: "الحمد لله الذي قتل أبرويز على يدك، وملكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعتوه وبخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة،

(١) أنظر في المسمى مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) [أنظر حاشية ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب.]

(٣) ص: «جبروته». والخبرية القهر والغلبة. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد. وفي حطبة عتبة بن غزوان: "وإنه لم تكن سوء إلا تناسختها حبرية". أي ملك غالب وعضوض. [أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٧٢.]

(٤) ص: بالإحنة.

ويقتل بالظن، ويُخيف البريء، ويعمل بالهوى“، فقال شبرويه للحاجب: إحمِلْهُ
إلى . فحُمِلَ . فقال له :-

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنتُ في كفاية من العيش .

- فكم زيدَ في أرزاقك اليوم؟

- ما زيدَ في رزقي شيءٌ .

- فهل وتركَ أبرويزُ، فأنتصرتَ منه بما سمعتُ من كلامك؟

- لا .

قال - فما دعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك؟

وما للعامة والوقوع في الملوك، وهم رعية؟

فأمر أن يُترَع لسانُه من قفاه، وقال: ”بحق ما يقال إن الخرس خيرٌ من البيان
فما لا يجبُ.“^(٢)

وحدثني صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وتره حقه أي قصه . (صحيح) [حاشية في صـ]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في ”الحاسن والمساوي“ (ص ٤١١) .

(٣) هو صباح بن خاقان المنقري . كان نديماً لمصعب الزيري، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب .

وكان متعصباً للفرزدق وجرير بفضلهما على الأختل (أغانى ج ٧ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠) .

وكان هو ومصعب جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠) .

وقد أمتدحه إسماعيل النديم (المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠) .

(١) إبراهيم بن عبد الله فوضع بين يديه، جاء بعض أولئك الرويذية فضرب الرأس بعمود
كان في يده. فقال المنصور للمسيب: ^(٣) دُق وجهه! ^(٤) فدق المسيب أنفه. ثم قال [المنصور]
له: يا ابن الخناء! تبيء إلى رأس ابن عمي (وقد صار إلى حال لا يدفع ولا ينفع) تضربه
بعمودك، كأنك رأيته وهو يريد نفسى فدفعته عني. أخرج إلى لعنة الله وأليم عذابه!

المنصور وما دح
هشام الأموي

ويقال إن أبا جعفر وجه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله
عن تدبير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: "فعل
(رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا." فقال المنصور: قم، عليك لعنة الله! تطأ
يساطي، وترحم على عدوي؟ فقام الرجل، فقال وهو مؤل: إن نعمة عدوك لقلادة
في عنقي لا يترعها إلا غاسلي. فقال له المنصور: ارجع يا شيخ! فرجع. فقال له: أشهد

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرقة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور
في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتله في سنة ١٤٥. ولم أتمكن بعد شدة البحث وكثرة التنقيب
في كتب التواريخ واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور
من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لابسى الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن
الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل
بأنه من السیافة (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

(٣) هو المسيب بن زهير الضبي وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضنة). كان على شرطة
أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة مومى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه هارون والأمين
والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: سو.

أنك نهيض حرة وغراس شريف! جُدْ إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا فرغ، دعا له بمال ليأخذه فقال: "والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجة إليه! ولقد مات عني من كنت في ذكره آنفاً، فما أحوَجني إلى وقوف على باب أحدٍ بعده." ولولا جلالة عز أمير المؤمنين وإيثار طاعته ما لبست لأحدٍ بعده نعمة." فقال المنصور: "مُتْ إذا شئت، فله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك، لكنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً". ويقال إن الرجل كان من شيبان^(١).



ومن حق الملك - إذا حضره سماره أو محدثوه - أن لا يُحرَّك أحدٌ منهم شفتيه مبتدئاً، ولا يقطع حديثه بالاعتراض فيه، وإن كان نادراً شيئاً، وأن يكون غرضهم حُسن الاستماع، وإشغال الجوارح بحديثه. فإذا فرغ من الحديث فنظر إلى بعضهم، فقد أذن له أن يُحدثه بنظير ذلك الجنس من الحديث. وليس له أن يأخذ في غير جنس حديثه.

الأدب عند ما يتكلم
الملك

وليس لمن حدث الملك أن يُفسد ألفاظه وكلامه، بأن يقول في حديثه: "فأسمع مني"، أو "إفهم عني"، أو "يا هذا"، أو "الآخرى". فإن هذا وما أشبهه عي من قائله وحشوه في كلامه وخروج من بسط اللسان^(٢) ودليل على القدامة^(٣) والفتاة^(٤). وليكن كلامه

الأدب في تحديث
الملك

(١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أموره وتديره وسياسته متبعاً لهشام في أفعاله، لكثرة ما يستحسنه من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)

(٢) سه: ونروج من بسط الزمان، سه: ونروج يربط اللسان.

(٣) القدامة التي عن اللمعة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٤) هي سوء الخلق. ويعبر عنها العامة في أيامنا هذه بقولهم: الفتاة. ومنها فلان غتوت.

كلامًا سهلًا، والفاظه عذبة متصلة، وسقط تلامه قليلًا. فإذا فرغ من الحديث، فليس له أن يصله بحديث آخر، وإن كان شبيها بالحديث الأول، حتى يرى أن الملك قد أقبل عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه. [فإن أعرض] لشغل يرض له، [فليس له] أن يمر في حديثه وأن يصل كلامه، فيحتاج الملك إلى الإصغاء إليه ويحتاج إلى التشاغل بما عرض له، فيجمع عليه أمرين. فإن هذا يخفف من فاعله ونحروجه من الأدب. ولكن لينصت مطرقًا: فإن اتصل شغل الملك، ترك الحديث، وإن أنقطع فنظر إليه، فقد أذن له في إتمامه وإعادةه.



ومن حق الملك أن لا يضحك من حديثه إذا حدث، لأن الضحك يحضرة الملك جرة عليه، ولا يظهر التعجب بفائدة حديثه. وإنما هذا إلى الملك، فإن ضحك الملك من الحديث وأظهر السرور به، فذاك غرض حديثه، وإليه قصد. وإن سكت، فلم يكن في الحديث ما يلهيه ويطر به أو يستفيد منه فائدة، كان قد سلم من العيب، إذ لم يضحك ولم يعجب.



ومن حق الملك أن لا يعاد عليه الحديث مرتين، وإن طال بينهما الدهر وغبرت بينهما الأيام، إلا أن يذكره الملك. فإن ذكره، فهو إذن منه في إعادةه.

وكان رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ يَقُولُ: أَقَمْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ، مَا أَعَدْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا.

(٩٧) كلمة روح بن زنباع في المعنى

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

- (١) وكان الشَّعْبِيُّ يَقُولُ : مَا حَدَّثْتُ بِحَدِيثٍ مَرَّتَيْنِ لِرَجُلٍ بَعَيْنَهُ قَطُّ . كَلِمَةُ الشَّعْبِيِّ فِي الْمَعْنَى
- (٢) وكان أَبُو الْعَبَّاسِ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَغْزَرَ عَلَمًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ ، لَمْ يُعَذِّ بِمِثْلِ حَدِيثِ قَطُّ . كَلِمَةُ السَّفَاحِ
- (٣) وكان أَبُو عِيَّاشٍ يَقُولُ : حَدَّثْتُ الْمَنْصُورَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ حَدِيثٍ . قَوْلُهُ
- (٤) لِي لَيْلَةً ، وَقَدْ حَدَّثْتُهُ عَنْ يَوْمِ ذِي قَارٍ : قَدْ أَضْطَرَّرْتُ إِلَى التَّكْرَارِ ، يَا أَبُو عِيَّاشٍ ! كَلِمَةُ أَبِي عِيَّاشٍ فِي الْمَعْنَى
- (٥) قُلْتُ : مَا هَذَا مِنْهَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَمَّا تَذَكُّرُ لَيْلَةِ الرِّعْدِ وَالْأَمْطَارِ ، وَأَنْتَ تَحَدَّثُ عَنْ يَوْمِ ذِي قَارٍ ، فَقُلْتُ لَكَ : مَا يَوْمُ ذِي قَارٍ بِأَصْعَبَ مِنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ؟

- (١) هو فقيه العراق وأشهر من أن يذكر .
- (٢) يعني السفاح رأس الدولة العباسية .
- (٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب .
- (٤) ذو قار هو اسم ما لبني بكر بن وائل ، القرد من الكوفة . حدثت فيه معركة هائلة بين الدريب والمجم قبل البعثة النبوية ، وقيل بين غزو قتيبة وأحده . انتصر فيها العرب على المجم أنصارا باهرا تغش به شعراؤهم وتحدث به أنصار يومهم . ويسمى هذا اليوم أيضا يوم الحيو ، ويوم حيو ذي قار ، ويوم حيو القرائر . ويوم بطحاء ذي قار ، ويوم قرائر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذات المعجم . وكان من مواضع حول ذي قار . ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال .
- (٥) القار (بتخفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الوقت) الذي تطلُّ به السفن ، وهو شجر مر أيضا (عن تاج العروس) . وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عندهم من أسماء الأعداد) ؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزيت بسبب لونيهما . وليس يستمد من الحكاية التي أوردناها (لما حفظت مع ملاحظة المنصور على جلوسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء ، ولأنه ربما كان لتسميتها بيوم ذي قار ، لأنه ينزل الثلج وأن الموضع ربما سمي بهذا الاسم لهذه المناسبة . وبالحقيقة أن اللفظ عربي صميم لأنه اسم ماء .

مواطن إعادة
الحديث على الملوك

وكان الشَّرْقِيُّ بْنُ الْفُطَايِمِيِّ يُعِيدُ الْحَدِيثَ مَرَارًا. وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ أَحَادِيثِهِ
مُضَاهِيكَ، وَكَانَتْ تُعِيبُ الْمَهْدِيَّ فَيَسْتَعِيدُهُ.

== لَبَنِي بَكْر بن وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظر إلى الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض
هذا المكان مما لا يقع فيه الثلج. فوق ذلك فالمعلومات التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام
القيظ. يدل على ذلك قول الثعلبي الذي يريد هلاك بكر بن وائل، حينما استشاره كسرى أبرويز في أمرهم:
”أَمَهْلِهِمْ حَتَّى يَبْغُضُوا وَيَسَاقُطُوا عَلَى ذِي قَارٍ، تَسَاقُطَ الْقَرَّاشُ فِي النَّارِ. فَتَأْخُذَهُمْ كَيْفَ شِئْتَ“ (ابن الأثير
ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد
حديث الثعلبي مع كسرى هكذا:

”— يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ! أَلَا أَذْكَ عَلَى غِرَّةٍ بِكَ؟

— بَلَى!

— أَقْرَاهَا، وَأُظْهِرَ الْإِضْرَابَ عَنْهَا حَتَّى يُجْلِيَهَا الْقَيْظُ وَيُدْنِيَهَا مِنْكَ. فَإِنَّهُمْ لَوْ قَاطَعُوا، تَسَاقَطُوا عَلَيْكَ بِمَا لَمْ
فِي رَأْيٍ يُقَالُ لَهُ ذُو قَارٍ، تَسَاقُطَ الْقَرَّاشُ فِي النَّارِ.“
وإنما الذي أشار إليه المنصور هو اشتداد الأمر وخرج الحال وأصطلام الحرب، كما كانت ليلته شديدة
برعدها ومطرها.

(أنظر التفصيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠—١٢؛ “والأغاني” ج ٢٠
ص ١٣١—١٤٠؛ “العقد الفريد” ج ٣ ص ١١٣—١١٦؛ “وآين الأثير” ج ١ ص ٣٥٢—
٣٥٨؛ وأنظر “صبح الأعشى” ج ١ ص ٢٣٦؛ “وتاج العروس” في ق و ر.)

(١) سماه في القاموس شرق بن القطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللغة أنه بفتح الراء. والقطامي بفتح
القاف في لغة قيس وعند سائر العرب بالضم.

وهو الوليد بن الحُصَيْن الكَلْبِي. والشرق لقبه، كما أن القطامي لقب أبيه. كوفي وأبو العسلم والأدب؛
وأشهر بمعرفة الأنساب ورواية الأخبار والدواوين. ولكنه في الحديث معدود بن الضعفاء. كان ==

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يُسأَمِر الخلفاء أحدٌ كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا اتم صنعة ولا أحسن الفاظا ولا أفكّه مجنسا ولا أعظم أبهة وقدرا منه. وكان عيسى بن دأب يتكئ في مجلس أمير المؤمنين.

== صاحب ستر. أقدمه أبو جعفر المنصور ليُعلم ولده المهدي. وقد سأله: "علام يرقى المرء؟" فقال: أصلح الله الخليفة! على معروف قد سلف، أو مثله يرقى، أو قديم شرف، أو علم مطرف. "ضمه المنصور إلى المهدي حين خلقه بالرقي، وله معه هناك حديث ظريف عن الغريين (سأله في "مررج الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأنساب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله قصيدة في الغريب. سأله رجل ذات يوم عما كانت تقرأه العرب في صلاتها على موتائها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤن:

ما كنت وكواكا ولا بزرك * رؤيدك حتى يبعث الخلق ناءته

لحدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦؛ و "نزهة الألباء" ص ٤٢ - ٤٣ وأمن قتيبة في "المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زرك، وكلك).

(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه رديده وعادته ودينه أي فعله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من البلقاء بأخبار العرب رؤساء بهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الجرازيل ومعاصريه أدبا وعلمًا وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن الاقتراع له. وهو من قلة الأخبار وتقاد الأشعار. حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تيمه على الخليفة أنه كان يبادمه ولا يتفدى معه. فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتفدى في مكان لا أغسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتند! فكان الناس إذا تغدرا تنحوا لغسل أيديهم، وابن دأب ينسل يديه بحضرة الخليفة. وبلغ من تيمه ودأته عليه أيضا أن الخليفة كان يدعو له بما يتكئ عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك بغيره ولم يكن عنده أحد يطعم منه بذلك) . ==

ولم يكن هذا لأحد غير أنه يُحكى أن رّوح بن زُبَاع مَرِض فكان يدعو له
عبد الملك بن مروان بِمُتَّكَ^(١).

✱✱

الادب في تحديث
الملك

وعلى المحدث لَلْكَ أن لا يعجل في كلامه، وأن يُدجج ألفاظه، ولا يُشير بيده،

== وكان يقول له: "ما استطلت بك يوما ولا ليلا، ولا غبت عن عيني إلا تميت أن لا أرى غيرك".
أمر له مرة بثلاثين ألف دينار. فعاكسه الحاجب في قبضها، فتركها. ثم رآه الهادي، وليس معه إلا غلام
واحد، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه. فلما دخل إليه مرض له بذلك وقال له: "أرى ثوبك ضيلا، وهذا
شئ يحتاج إلى الجديد". فقال: يا مقيصير. فقال: وكيف، وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك؟ فقال:
ما وصل إلى. فدعا صاحب بيت المال واستحضر الثلاثين ألف دينار وحملها بين يديه.

وكان كثيرا ما يدعو ويسأله إنشاد الأبيات من أشعر ما قالت العرب. وكان يروى له الأخبار (منها حديث عن
غلام سسدي مع مولاه، ساقه المسعودي في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ وصاحب "المحاسن والمساري"
(ص ٦١٣ - ٦١٤)، والأبشهي في "المستطرف" (ج ٢ ص ٦٥)، وصاحب "تنبيه الملوك والمكاييد"
(ص ١١٦ - ١١٧). ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة، ساقه المسعودي أيضا
في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧). وقد أخذ عليه خلف الأحمر هفوة فقال فيه: "العجب

من أن دأب! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه". وقد هجاه ابن مناذر الشاعر الفصيح
المقدم في العلم باللغة، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً. وكان حلف الأحمر ينسب إليه الكذب. وقالوا إنه كان يتشيع
ويضع أخباراً لبني هاشم. (أنظر "كتاب الفهرست" (ص ٩١)؛ و"الأغانى" (ج ٥ ص ١٥٨ و ج ٨ ص ١٠٤

و ١٠٦ و ج ١١ ص ٦٩ و ج ١٧ ص ٢٤ و ج ١٩ ص ٤٨)؛ وأنظر ابن الأثير ج ٦ (ص ٧٢ - ٧٣)؛
وأنظر أيضاً "مروج الذهب" (ج ٥ ص ١١٨ و ج ٦ ص ١٢٨ و ٢٦٣)؛ وأنظر "المعارف" لابن قتيبة
(ص ٢٦٧)؛ و"كتاب الأشتقاق" لابن دريد (ص ١٠٦)؛ و"كامل المبرّد" (ص ١٨٦ و ٢١٢)؛
و"المحاسن والمساري" (ص ٢٠٧ - ٢٠٨)؛ والطبري سلسلة ٣ (ص ٥٨٩)؛ و"شرح الحماسة"
(ص ٢٠٠)؛ و"البيان والتبيين" ج ١ ص ٢٤ و"تاج العروس" في دأب. وله ترجمة رافية في "معجم الأدباء" لباقوت
روى هذه الأحوال صاحب "محاسن الملوك" بالحرف الواحد عن الجاحظ دون أن يسميه (ص ٢٤).

(١) دخل محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة، فجعل يأمره وينهاه، ثم دعا له بِمُتَّكَ، فقال: أعبدك
يا لله، يا أمير المؤمنين! ما كنت لأتّيك في مجلسك! فقال له: إن على قلبك من ذلك ثقلاً وموؤنة، فأردنا
أن يستريح بدلك ليفرح لنا قلبك. ("مطالع البدور" ج ١ ص ١٠)

(٢) من قولهم: أدجج الحبل أجاد فتله، وقيل: أحكم فتله في رقة. (عن تاج العروس)

ولا يُحرِّك رأسه، ولا يزحف من مجلسه، ولا يراوح بين قعدته، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا يقبل على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.

✱✱

- ٥ ومن حقّ الملك - إذا تناب أو ألقى المروحة أو مدّ رجله أو تمطى أو أتكا أو كان في حال فصار إلى غيرها مما يدلّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كل من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطى، قام سُمّاره.
- وكان الأزدوان الأحمر له وقت من الليل وساعات تُحصى^(١). فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره.

أمارات الملوك
للجساة بالانصراف

- ١٠ * وكان يُستأسف إذا ذلك عينه، قام من حضره.
- وكان يزجج الأئيم إذا قال: "شَبَّ بُسْدٌ"^(٢)، قام سُمّاره.
- وكان بهرام جور إذا قال: "نُحْمٌ خَفْتَارٌ"^(٣)، قام سُمّاره.
- وكان قباد إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُمّاره^(٤).
- وكان سابور إذا قال: "خسبك يا إنسان!"، قام سُمّاره.

❦

(١) ص: كلة. (بمضى كلاله)

(٢) لعل الصواب: "الاصفر". [رأى الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ و صفحة ١٥١ من هذا الكتاب]

(٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش ص: يقول ذهب الليل.

(٤) جملة فارسية معناها: نام مسرورا (٩)

(٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين النجمتين * مقولة عن ص.

وكان أنوشروان إذا قال: "قوت أعينكم!" قام سُمَّارُه.^(١)
وكان عمر بن الخطاب إذا قال: "الضلاة!" قام سُمَّارُه، وكان ينهى عن السمر بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" قام سُمَّارُه.
وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُه ومن حضره.^(٣)
وكان عبد الملك إذا ألقى المِخَصْرَةَ، قام من حضره.^(٤)
* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام من حضره.^(٦)
وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام من حضره.
وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك!" قام سُمَّارُه.^(٧)

- ١٠ (١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ فيزدجرد يقول: شب بشد (أي مضى الليل)؛ وبهرام يقول: نثم شوش باد (أي كُنْ مسروراً)؛ وأبرويزيمد رجله؛ وقباز يرفع رأسه إلى السماء. (عن "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربي الأول عن المرحوم محمد عارف باشا في حاشية "المحاضرات")
- (٢) إذا قال قانت الصلاة. (في "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)
- (٣) قال أصحابنا: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شتم!" وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!" وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)
- (٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.
- (٥) في المسعودي (ج ٥ ص ٢٥٧) وفي الراغب في الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شتم" وكانت سادات العرب يقولون بجليسهم: "إذا شئت فقم!" وهذه الجملة استعملها مصعب بن الزبير، كما في الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)
- ٢٠ (٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص. .
- (٧) سببحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.
 وكان الواثق إذا مس عارضيه وتشاءب، قام ستماره.
 وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره.^(١)
 غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإنما
 أضفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.^(٢)



ومن حق الملك أن لا يُعابَ عنده أحدٌ، صغراً أو كبراً.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالعيب في حضرة
الملك

تحريش الملك بين
رجال



فمن الملوك من يُدبر في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قلّ أثنان
 آستويا في منزلة عند الملك وإبلاه والتبع والعزّ والحظوة عند السلطان فاتفقا، إلا كان
 ذلك الاتفاق وهناً على المملكة والملك، وفساداً في تديره. وذلك أنهما إذا آتفقا، وهما
 وزير الملك، كانا متى شاآ أن ينقضا، أكرم الملك ويحلاً ما عقد ويؤهياً ما أكّد -
 قدراً على ذلك للاتفاق والمجامعة. ومتى انفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في صـ . وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين .

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمائه أمانة ينصرفون
 بها من مجلسه إذا أراد، كبرى . وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون . وتبعه الملوك .
 فكان فيروز الأصغر يدلك عينيه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء . وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول :
 العزة لله ! ، وعبد الملك يلقى المروحة من يده . وحدث بهذا الحديث عند بعض البحلاء، وسئل ما أمارته، فقال :
 إذا قلت "يا غلام، هات الطعام !" وأنظر أيضاً "محاضرات الراغب" (ح ١ ص ١٢١)

أُثِّتَ في نظام الملك وأؤكد في عزِّ المملكة. وكان متى أراد هذا شيئا، أراد الآخر خلافاً. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعاً على نصيحة الملك، شاء أم أبيّا، وآثرها كلّ واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم للملك تديره وتمَّ له أمره^(١).

ومن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه العلّة، بل ليعرف معايب كلّ واحد منهما. فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الانبساط في حوائجه والتسحب على ملكه.



أدب الصغير

ومن الحقّ على الملك أن يكون رسوله صحيح العطرة والمزاج، ذا بيان وعِبارة، بهيراً بمخارج الكلام وأجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوق اللّهجة، لا يميل إلى طمع ولا طبع^(٢)، حافظاً لما حُمل.

وعلى الملك أن يمتحن رسوله بحنة طويلة، قبل أن يجعله رسولا.

(١) كاد السفاح، إذ اتحدى رجلاً من أصحابه وطلّته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله، وإن كان القائل عنده عدل في شهادته. وإذا أصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه. ويقول إن الصنعة القديمة تولّد العداوة المحضة وتعمل على إظهار المسألة وتحمي الأمل التي إذا استمكنت لم تبقى. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطّبع: الشين والعيب. ومنه الحديث: "استعينوا بالله من طبع يهدي إلى طمع". أخذه عمرو بن أذينة شاعر قريش فقال:

لا خير في طمع يهدي إلى طمع * وعمة من قوام العيش تكفيني.

(عن تاج العروس)

والعمة البلفة من العيش.

سنة ملوك العجم
في أخبار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيّتها من تجعله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تختزنه أولا، بأن توجّهه رسولا إلى بعض خاضة الملك ومن في قرار داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه؛ فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن اتفقت أو اتفقت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم يرفعها إلى الملك. فإن اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتردد عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

وكان أردشير بن بابك يقول: "نم من دم قد منفكّ الرسول بغير حله! وكم من جيوش قد قُتِلَتْ وعساكر قد هُزِمَتْ وحرمة قد أتهكّت ومال قد آتُهب وعهد قد نُقض بخيانة الرسول وأكاذيبه!"

كلمة أردشير
في حق السفير

وكان يقول: على الملك، إذا وجّه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بأخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ، [فعل]. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له ما في كتابة الأول حرفا حرفا، ومعنى معنى. فإن الرسول ربما حرم بعض ما أمل، فافتعل الكتب وحرّض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به وكذب عليه.

كلمة ثانية له

(١) أورد الفلقشندي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الأعشى" ببعض تصرف في الألفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تتية الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسفير كذب عايه

١٠٣

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . فجاءه برسالة شك
في حرف منها : فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومستند ،
إذا مالت : وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنت فيها حرفاً
ينقضها . أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل على
يقين أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظه حرفاً حرفاً ويعاد إلى الملك مع رسول
آخر ، فيقرأ عليه ويترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره .
فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعها . فأمر أن يقطع ذلك الحرف
بسكين^(١) ، فقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس^(٢) الملكة صحيحة فطرة
الملك ، ورأس^(٢) الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يودى .
وقد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجذ إلى قطع لسان رسولك سبيلاً .
فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة
أردت بها فساد ملكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه .
فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سعت ، لالنا ! فلما فأتك بعض ما أملت ، جعلت
ذلك ثأراً في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من قفاه .^(٣)

١٠٤

(١) المديّة يسميها العرب سكيناً وسكيناً . والأسم الاقوال أشهروا كثر شيوعاً ، والسكين يذكرو يؤنث ؛ وقال بعضهم إن السكين خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصيح أنها لغة قوم من بني ببيعة ، وأوردوها الفراء وأبن سيده . قال الشاعر :
سكين من طبع سيف عمرو * نصائبها من قريب تيس بري .

وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : إئتني بالسكين (أنظر "تاج العروس" في سكين ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) سه : أس .

(٣) انظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "محاسن الملوك" (ص ٦١) وأبتم عمل ألفاظ الجاحظ نفسها .



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لنامه في ليل ولا نهار موضع يعرف به، ولا حاي يقصد إليه. إذ كانت أنفس الملوك هي المطلوب غرتها، والموكل برعاية سنتها وساعة غفلتها.

إحتياط الملك
في نامه ومقبله

ويقال إن ملوك آل ساسان لم يعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقبله.

فأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا]. ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الاتفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة [وأنه نائم فيه]. ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم وصيائته عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كلالته إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام). فأنامه على فراشه، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه على، أنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم



(١) في صـ، سـ: "حوى" [وأخترت الحارَى لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الحيز]

(٢) صـ، عزتها.

(٣) ضبطه في سـ: "سنتها" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) سـ: إلا ومن ورائه من بعيد على الاتفراد فراش لا يشك التـ.

ففي هذا التكميل الأدلة وأوضح المجبة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي الأتقى
الخطيرة الرفيعة التي تؤزن بينفوس كل من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء.^(١)^(٢)

إطلاع الوالدين
فقط على منام الملك

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يطلع على موضع منامه إلا الوالدان^(٣)
فقط، فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم، وأؤكد
في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهوينا.^(٤)^(٥)

++

ومن حق الملك أن يعامله ابنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا
عن إذنه، وأن يكون الجواب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك
وخدمه، لئلا تجعله الدالة على غير ميزان الحق.^(٦)

فلأنه يقال: يزدجرد رأى بهرام ابنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟
قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأتخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً،
وتجبه عن الستر، ووكّل بالحجابة أراد مرده. ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث
عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،
فما فعله يزدجرد مع
ابنه بهرام

❦

(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك" باختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣)

(٤) سه: رافع.

(٥) التودة والرفق.

(٦) سه: مراد.

(٧) لم أعر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"

سماء "فلاناً".

دفع أراد مِرْدُ في صدره دَفْعَةً وَقَدَهُ^(١) منها، وقال: إن رأيتك بهذا الموضع ثانية، ضربتك ستين سوطاً، ثلاثين منها لحنائتك على الحاجب بالأس، وثلاثين لثلاث تطمّع في الحناية على^(٢). فبلغ ذلك يزْدِرْدُ، فدعا أراد مِرْدُ، فخلج عليه وأحسن إليه^(٣).

ويقال إن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب. فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جارية! أنظري هل تحرك أمير المؤمنين؟ فجاءت الجارية [مرة] حتى فتحت الباب. فإذا معاوية قاعد، وفي حجره مصحف، وبين يديه جارية تصفح عليه. فأخبرت يزيد بذلك. فجاء يزيد فدخل على معاوية. فقال له: أي بني! إني إنما جعلت بيني وبينك باباً، كما بيني وبين العاتكة. فهل ترى أحداً يدخل من الباب إلا بإذن؟ قال: لا. قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قُرِعَ عليك فهو إذْكَ^(٤).

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وهكذا ذكّرنا أن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي^(٥) فزبره وقال: إياك أن تعود إلى مثلها إلا أن يفتح بابك!

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وذكرنا أن المأمون لما استعر به الوجع، سأل بعض بني الحاجب أن يدخله عليه ليراه. فقال: لا والله! ما إلى ذلك سبيل، ولكن إن شئت أن تراه من

ما فعله الحاجب
بولد المأمون
١٠٧

(١) أي أوجعته وآلمته كثيراً. والوقد شدة الضرب. وفي "محاسن الملوك": فدعه دفعة أوقعه بها

(٢) في "محاسن الملوك": وثلاثين على استمرار جنائتك.

(٣) روى هذه الحكاية بتلخيص خفيف صاحب "محاسن الملوك" (ص ٨٦ - ٨٧)

(٤) إتهره.

(٥) نقلها في "محاسن الملوك" (ص ٨٧).

(٦) أي أشبّه عليه، تشبيهاً باستجار النار. وفي صدره: استفرقه. [ولعل جواب الرواية: استمر]

وفي "المحاسن والمساوي": اشتد.

بجيت لايراك، فأطلع عليه من يُقْبِ في ذلك الباب، فناء حتى أطلع عليه وتأمله ثم أنصرف.

وذكر لنا أن إيتاخ بصّر بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزّبره وقال: تَنَحَّ! فوالله لولا أني لم أتقدم إليك في ذلك، لضربتك مائة عَصاً. (١) (٢) (٣) (٤)

وليس لابن الملك من الملك إلا ما لعبده من الاستيكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يُظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في النبط الأوسط من الناس ثم الذين يَلُونَهُمْ. فاما الملوك فترقى عن كل شيء يمت به. (٥)

وليس لابن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكه وجاءت الملة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الباء (إيتاخ) كما في سـه ركا في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب تقديم الباء التحتية - ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبّاخاً ثم ترقّت به الأحوال إلى أن صار مقدّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابل إن المعتصم لم يبق لديه أحداً إلا وجهه به إليه، حتى طبّاهه. ويثبت بذلك المعنى إلى ملك الروم، يُفريه بالخليفة حينما ضايقه وأخذ بخنائه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر اليمن والكوفة والجزائر وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر. وأتته أمره بأن خاله المتوكل وأعمال الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤. (أنظر "النجوم الزاهرة" وابن الأثير في فهارسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سـه: أني أتقدم.

(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "المحسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) صـه: الجنوح.

(٥) في سـه: "تمت". وأملت هو التوسل والتوصل بقراءة أرحمة أردالة أو نحو ذلك. وفي صـه: فترقى عن كل شيء يمت إليه.

به ، إلا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهن على الملك وضعف في المملكة .^(١)

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان
ولي عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعه والملك دار واحدة^(٢) - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن] يشرب
إلا بشربه ولا [أن] ينام إلا بنامه .

وكذا يجب عليه في كل شيء من أموره السارة والضارة أن يكون له تابعا وحركته
تالبا .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر رعيته ، لأن ابن الملك عضو
من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والآب فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عن سخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه
لاذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالي من والى الملك ، ويعادى
من عاداه ، ولا ينظر في هذا إلى حفظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك
ما إن وجد إلى غيابه سبيلا أن يقتله^(٣) . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .

(١) ص : وضعة .

(٢) الواو هنا واو المعية .

(٣) الضير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي ص : حيلته .



شهوة الاستبدال

وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَائِكَةً لَشَهْوَةِ الاستبدال فقط . فليس لصاحب الملك ، إذا أحدث الملكُ خُلُقًا ، أن يعارضه بمثله ؛ ولا إذا رأى نبوةً وأزورارةً ، أن يُحَدِّثَ مثله . فإنه متى فعل ذلك فَسَدَتْ نِيَّتُهُ . وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ ، عَادَتْ طَاعَتُهُ مَعْصِيَةً وَوَلَايَتُهُ عِدَاوَةً . وَمَنْ عَادَى الْمَلِكَ ، فَتَنَسَّهَ عَادَى وَإِيَاهَا أَهَانَ .



الحيلة في معالجتها

ولكن عليه ، إذا أَحْدَثَ الْمَلِكُ الْخُلُقَ الَّذِي عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ أَكْثَرُ الْمُلُوكِ ، أَنْ يَحْتَالَ فِي صَرْفِ قَلْبِهِ إِلَيْهِ . وَالْحِيلَةُ فِي ذَلِكَ يَسِيرَةٌ : إِنَّمَا هُوَ أَنْ يَطْلُبَ خَلَوَتَهُ فَيُلْهِمَهُ بِنَادِرَةٍ مُضْحِكَةٍ أَوْ ضَرْبِ مَثَلٍ نَادِرٍ أَوْ خَبِيرٍ كَانَ عَنْهُ مُغَطًى ، فَيَكْشِفُهُ لَهُ .

ما صنعه ما زيار
المضحك مع أحد
ملوك الديلم

كما فعل بعض سُمَّارِ مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ . أَظْهَرَ الْمَلِكُ لَهُ جَفَوَةَ الْمَلَائِكَةِ فَقَطَّ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، تَعَلَّمَ نُبَّاحَ الْكَلَابِ وَعُوَاءَ الذَّنَابِ وَنَهْيَاقَ الْحَمِيرِ وَصِيَاخَ الدِّيُوكِ وَشَجِيحَ الْبُغَالِ وَصَهِيلَ الْخَيْلِ . ثُمَّ آحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ مَوْضِعًا يَقْرُبُ مِنْ مَجْلِسِ الْمَلِكِ وَفِرَاشِهِ يُخْفَى أَمْرُهُ . فَنَبَّاحَ الْكَلَابِ ، فَلَمْ يَشْكُ الْمَلِكُ أَنَّهُ كَلْبٌ وَأَبْنُ كَلْبٍ ، فَقَالَ : أَنْظَرُوا مَا هَذَا ! فَعَوَّى عُوَاءَ الذَّنَابِ ، فَتَزَلَّ الْمَلِكُ عَنْ سَرِيرِهِ . فَنَهَقَ نَهْيَاقَ الْحَمَارِ ، وَمَرَّ الْمَلِكُ هَارِبًا . وَجَاءَ غُلَامَانَهُ يَتَّبِعُونَ الصَّوْتِ . فَكَلِمَا دَنَوْا مِنْهُ ، أَحْدَثَ مَعْنَى آخَرَ ، فَأَجْجَمُوا عَنْهُ . ثُمَّ أَجْتَمَعُوا فَأَقْتَحَمُوا عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجُوهُ وَهُوَ عُرْيَانٌ مُخْتَبِئٌ . فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ ، قَالُوا لِلْمَلِكِ

(١) سه : الاستبدال .

(٢) في المسعودي طبع باريس : "رقاء" ؛ وفي طبعة بولاق : "زقاء" . وهذا هو الصواب ، ومعناه صياح الديك . (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي : "وأخفى أثره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره" . وفي صله : من مجلس

الملك وموضع منامه .

هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟^(١)
قال: إن الله مسخني كلبا وذئبا وحمارا، لما غضب علي الملك. فأمر أن يخلع عليه^(٢)
ويؤد إلى موضعه.^(٣)

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يشبه أقدارهم.

* كما فعل رّوح بن زنياع، وكان أحد ذُهاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضا، فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواهها نحوي، وأهوت بمخالبها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احتل في حديث يضحكه! فقال رّوح: إذا أطأ بنا المجلس، فسلني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحا؟ فقال الوليد: أفعل.
وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رّوح. فلما أطأ بكاهم المجلس، قال الوليد لروح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: لا. فبني ابن أبي عتيق أن امرأته جاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماه في المسعودي: "مرزبان" وكرره.

(٢) ص: ويحك.

(٣) نقل المسعودي هذه الحكاية - (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورعه وتقواه أشهر من ناره على علم. (وترجمته في "الطبقات
الكبرى" لابن سعد. وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحابة)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة. كان من نسله قريش وطرفاتهم
بل قد بذهم ظرفا. وله أخبار كثيرة. في الخلاصة بغير رقت وفي المجرى تفسير فسوق. وقا. غلبت عليه
الدعابة وأشهر بها. (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢٣٨؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغانى"
و"الكامل" لابن الأثير - بمقتضى فهارسها)

ذهب الإله بما تعيش به * وقمرت ليلك أيما قسراً

أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فأخذ هذين البيتين - وهما في رقعة - فخرج بهما، فإذا هو بعبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه الرقعة، وأشر على رأيك فيها. فلما قرأها، استرجع عبد الله. فقال: ما ترى فيمن هجاني بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تعفو وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيت قائلها لأنيلنه نيلاً جيداً! فأخذ ابن عمر أفكلاً^(٢)، وأربد لونه وقال: ويلك! أما تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأفترقا، فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: بالتقبر ومن فيه، إلا ما سمعت كلامي! فتحوب عبد الله، فوقف وأعرض عنه بوجهه. فقال: علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر فنتلته؟ فصعق ابن عمر ولبط به. فلما رأى ما حل به، دنا من أذنه فقال: إنها أمرأتى! فقام ابن عمر فقبل يمين عينيه. فضحك عبد الملك حتى خص برجله وقال: قاتلك الله ياروخ! ما أطيب حديثك! ومد إليه يديه فقام روخ فأكب عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، الذنب فاعتذر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل ورعدة"، من باب يحلف التفسير.

(٣) أقسم عليه بالبرصة الشريفة والمدينون فيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فتحوب أي وجد في عدم

الوقوف أيما، فوقف ولكن معرضاً عنه بوجهه.

(١) أم لملالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا من شيء نكرهه. ثم عاد له أحسن حالا^(١)
 ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الحطفي^(٢)، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده
 إليه الججاج بن يوسف، فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل.
 فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الحطفي، مَدْحُك وشاعرك!
 قال: بل مَدْحُ الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأيت أمير المؤمنين أن يأذن
 لي في إنشاد مديحه؟ قال هاتِ بالججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال:
 هاتِ في الججاج! فأنشدته قولي في الججاج:

صَبَرَتِ النَّفْسُ يَا أَبْنَ أَبِي عَقِيلٍ * مُحَافَظَةً، فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا؟
 وَلَوْ لَمْ تُرِضْ رَبِّكَ، لَمْ يُنَزَّلْ * مَعَ النَّصِيرِ الْمَلَأَكَةَ الْغَضَابَا.
 إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ، * رَأَى الْجَجَّاجَ أَثْقَبَهَا شَهَابَا.
 ١٠

فقال: صدقت، هو كذلك! ثم قال للأخطل^(٣)، وهو خلفي وأنا لا أراه: قُمْ فَهَاتِ

- (١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صـ. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"
 هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريبا (ص ٧٦ - ٧٧). أما السعدي فقد أوردتها بالفاظ أخرى وزيادة
 ونقص في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"
 (في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح). ولكن عبارتهم
 ١٥ كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال الترفيف الذي تراه في عبارة الجاحظ.
- (٢) سماه في "الصباح" الخيطفي. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو
 الأسلاب. وهو لقب جدّه، لبيت قاله في شعره. ولكن الاسم المخفف الذي استعمله الجاحظ هو الأكثر
 شيوعا، وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "تاج العروس"، "كتاب الاشتقاق" لابن دريد (ص ١٤١)،
 ٢٠ "ديوان الأخطل" الذي نشره الأب الفاضل أنطون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دراويش الأدب)
- (٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين تما كماله فأقسم أنهما لثيان، هما وأمهما وهو نفسه أيضا. فقليل له إن هذا
 نَحْلٌ من قواك. فسمي الأخطل. (أمالى القال ج ٢ ص ٢٣٤)

مديحنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأنت مديحنا. ثم فاركبته! قال:
 فالتقى النصراني ثوبه، وقال: جَبَّ! ^(١) يا ابن المراجعة. ^(٢) قال: وساء ذلك من حضر من
 المضريّة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، لأبركت الحنيف المسلم، ولا يُظهر عليه. فاستحيا
 عبد الملك، وقال: دَعُهُ! قال: فأنصرفت أخرى خلق الله حالا، لما رأيت من
 إعراض أمير المؤمنين عني، وإقباله على عدوّي. حتى إذا كان يوم الرواح للوداع،
 دخلت لأودّعه، فكنت آخر من دخل عليه. فقال له محمد بن الحجاج: يا أمير المؤمنين،
 هذا جرير، وله مديح في أمير المؤمنين. فقال: لا، هذا شاعر الحجاج! قلت: وشاعرك
 يا أمير المؤمنين! قال: لا. فلما رأيت سوء رأيه، أنشأت أقول:
 أتصحو أم فؤادك غير صالح؟ ...

فقال: ذاك فؤادك!

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سرّه، وهو قولي:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ۖ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحٍ؟

فأستوى جالسا، وكان متكىئا، فقال: بلى نحن كذلك، أعد! فأعدت. فأسفر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبتيه أو على الأرض لينمّكن من ركوبه. و"جَبَّ" فعل أمر من التجية بمعنى
 الانحناء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانعه: وجهي الرجل وضع يديه على ركبتيه في الصلاة
 أو على الأرض. "وهو أيضا أنكبأه على وجهه". والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام:
 "طاطى البصلة" ويعنون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

(٢) هذا "أسم أم جرير". وقيل إن الفرزدق والأحطل سمياها كذلك في هجاء كل منهما له. وقيل إن
 ذلك تعبير له يعني كليب لأنهم أصحاب حمير. وروى جرير على عبد الملك مذكورا في كثير من كتب الأدب مثل
 "الأنغانى" و"العقد الريد" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الجاحظ هي أوفى وأحسن ما رأيت.

﴿١١٢﴾

وذهب ما كان في قلبه، ثم ألقت إلى محمد بن الجحاج [فقال: ترى أم حزرة تُرويهما مائة من الإبل؟ قلت: نعم يلأمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كلب فلم تُروها، فلا أروها الله! قال: فأمرني بمائة فريضة. ومددت يدي - وبين يديه صحائف أربع من فضة قد أُهديت إليه - فقلت: المِكلَب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة. فقال: خذها، لا بُورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه. (٤)

وهكذا فعل بالأمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر (٦) قد جفاه. فأتاه يوما في قائم الظهيرة، والهجرة تقذ (٧) فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مره يُسلم قائمًا ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف. فدخل فسلم قائمًا ثم قال: أصلح الله الأمير! إني آنصرفت بالأمس نحو منزلي، و [قد] (٨)

(١) حزرة هي بنت جرير. وكان يُكنى بها. قال في "تاج العروس" ما نصه: "وأبو حزرة كنية سيدنا جرير رضى الله عنه". ولا أدري لماذا لقبه بالسيادة ثم رضى عنه (٩)! ويظهر أنه فهم أنها كنية جرير بن عبد الله البجلي الصمعي، وليس كذلك.

(٢) ص: كلاب.

(٣) ص: رواها.

(٤) روى صاحب "الأغانى" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (حز: ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأظهر القصة بعينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القائل" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها باختصار ألفاظ الجاهل في "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص: عبد الملك بن هلال الهامى. وقد صححت حسبما في المسعودى طبع باريس وبولاق

(٦) هو سليمان بن أبي جعفر المنصور، وكان من قواد موسى الهامى. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أى كانت شدة الحر تنوقد. وفي مروج الذهب: وأخذت الهجير.

(٨) ص: "أعلمه موضعي". وقد اخترت رواية المسعودى.

أَمْسَيْتُ : فِينَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ ثَوَّبَ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عَلَى فُسْتَجْدٍ مُغْلَقٍ^(٢) .
فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ . . . قَالَ سَلِيَانُ : لَبِغْتَ السَّمَاءَ ، فَكَانَ مَاذَا ؟ قَالَ :
فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ ، إِمَّا كُرَّيْجِيٌّ^(٣) وَإِمَّا سُنَيْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ^(٤) . فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ
[وَلُغَةٍ مَا أَعْرِفُهَا] ، فَقَالَ : ”وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمًّا مَالًا وَعَدْدَهُ“ يَرِيدُ ”وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا رَعَدَدَهُ“ . قَالَ : وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانٌ مَا يَعْقِلُ سُكَرًا ، فَلَمَّا سَمِعَ
قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ ”إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي !
فِي حَرِيمٍ قَارِيكِ !“^(٥) فَضَحَكَ سَلِيَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ جَلِيًّا فَرَاشَهُ ، وَقَالَ : أَدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدَ ،
فَأَنْتَ أَطِيبُ أُمَّةٍ مُحَمَّدًا ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِجِلْعَةٍ وَقَالَ : ”إِزِمِ الْبَابَ وَأَعْدُدْ فِي كُلِّ يَوْمٍ .“
وَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ حَالَاتِهِ عِنْدَهُ *^(٥)

وَهَذِهِ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ لِمَنْ فِيهِمَا . وَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَتَلَوْنَ أَخْلَاقَهُمْ ، إِذْ كُنَّا نَرَى
أَخْلَاقَ الْقَرِينِ الْمَسَاوِي وَالشَّرِيكِ وَالْإِلَافِ تَتَلَوْنَ وَلَا تَسْتَوِي ، وَلَعَلَّهُ يَجِدُ عَنِ الْفَقْهِ

(١ - ٢) ثَوَّبَ : دَعَا إِلَى الصَّلَاةِ . [وَفِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيسَ وَبُؤْلَاقَ : ”فَلَدَنُوتٌ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى مَسْجِدٍ
مُغْلَقٍ“ . وَظَاهِرٌ أَنَّ رَوَايَةَ صَحَّ أَوْقَعُ وَأَقْعَدُ وَأَتَمُّ] .

(٣) فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيسَ ”إِمَّا كُرْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ“ وَفِي طَبْعِ بُولَاقَ : ”إِمَّا كُرْدِيٌّ أَوْ طُمَطَانِيٌّ“

(٤) أَنْظَرَ الرُّوَايَاتِ الْآخَرَى فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيسَ وَبُولَاقَ . وَكُلُّهَا مَحَرَّقَةٌ مِنَ النَّسَاحِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ مُتَرَجِّمُ الْمَسْعُودِيِّ . [وَأَنْظُرْ خَاشِئَةً ٤ صَفْحَةً ٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ]

(٥) هَذِهِ الْفَقْرَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ نَجْمَتَيْنِ * * مَقُولَةٌ عَنْ نَحْوِهِ . وَالْحِكَايَةُ أَوْرَدَهَا الْمَسْعُودِيُّ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ

تَقْرِيْبًا عَنِ الْمَحَافِظِ دُونَ أَنْ يُشِيرَ إِلَيْهِ (رَاجِعٌ ”مَرْوَجُ الذَّهَبِ“ طَبْعُ بَارِيسَ ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ،

وَطَبْعُ بُولَاقَ ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صَحَّ : إِنْ فَهَمْتُمَا :

وقرينه وشكله مندوحة . فكيف بمن ملك الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،^(١)
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



ثمرات
التأديب بالحقوة

وعلى أنه ربما كانت جفوة الملك أصلح في تأديب صاحب من اتصاله بالأنس ،
وإن كان ذلك لا يقع بموافقة الجفوة . لأن فيها فراغ الجفوة لنفسه وتخلصه لأمره^(٢)
ولما كان لا يمكنه الفراغ له من مهم أمره . وفيها أيضا أنه إن كان الجفوة من
أهل السر وأصحاب الفكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الحقوة علما طريقا محدثا
له بالكتب ودراستها أو بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جفوة الملك ربما أدبت صاحب الأدب الكبير . وذلك أنه
كل من أنفس الملك مجلسه وطلال معه قعوده وبه أنسه ، تمني الفراغ وطلبت منه^(٣)
نفسه التخلص والراحة والخلوة لإرادة نفسه . كما أنه من كثرة فراغه وقل أناسه ، جفني
وأطرح ، وطلب الشغل والأنس وما أشبه ذلك .

فهذه الأخلاق ركبت الفطر وجعلت النفوس .

فإذا جاءه الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذي يملّه والشغل الذي كان يهرب منه .

١٥

(١) سم : الأحمر .

(٢) سم : وتخلص أمره عليه . صم : وخاص أمره عليه . وقد صححت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجلسه ويجلسه معه نفيسا . وفي سم ، صم : "نفس" . [ولامعنى لها . ولذلك

صححت المتن بما وصل إليه أجهادي .]

ومنها أنه كان في عِزٍّ ومَنَّةٍ وأمرٍ ونهيٍّ، وكان مرغوباً إليه مرهوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكر ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحدثُ رقةً على العائمة ورافة بهم، وتُحدثُ للجفوة حَسَنَ نِيَّةٍ. ٥

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وَجَبَ على المجفوق شكر الله تعالى على ما أَلَهَمَ الملك فيه فتصتق وأعطى وصام وصلّى.

فكلُّ شئ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخْطِ، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والسرّاء والضراء. غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يَجْتَهِدَ بكلِّ وَسْعِ طاقته أن يكون من الملك بالمتزلة بين المتزلتين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، وأستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة. ١٠



وليس من أخلاق المملك أن يُذِنَ من عَظُمِ قدره وأتسَعِ علمه وطاب مسرّجه، ١٥
أو ظهرت أمانته أو كَلَّتْ آدابه.

(١) أي رحمة. ١٥

(٢) في سه: "مسارعة". وفي صه: "مشاغبة".

(٣) كذلك في سه، صه. نعم إن بقية الكلام ربما تنفي النفي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورة يدلُّ على أن تقرّبهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التقريب للقرناء والمختلئين كانا من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جلست آخر يحتاج الملك إلى أمثاله ضرورة: لحاجته من
القضاة إلى الفقه والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحسنى بالفضاعة والرئاسة،^(١)
وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في النكث،
وما أشبه ذلك. فاما القرناء والمحدثون^(٢) وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكل من دنا
منهم من الملك وعلق به: كائناً من كان ومن حيث كان.

﴿١٥﴾

وكذا وجدنا في كُتب الأعاجم ومبلوكها.

وفيما يذكر عن أنوشروان أنه قال: "صاخبك من علق بشوبك."

كلمة أنوشروان،
وأمثلة كلمة
ودنة

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَة وَدِنَة" أن الملك "مِثْل الْكَرَمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ
الشَّجَرِ، إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا دَنَا مِنْهُ"^(٣). وقد نجد مصداق ذلك عينا في كل دهر وأخبار
كل زمان.

١٠

(١) الزكاة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كانت الأصوب
"الزكاة" وهي الظن الذي يكون بمنزلة اليقين.

(٢) ص: فاما الغرياء والمحدثون.

(٣) نقلت هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة للآن من كتاب "كَلِيلَة وَدِنَة" وهي التي طبعها الأب

الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوساسي الفرنسي سنة ١٨١٦ هكذا: "مثل كرم
الكرم الذي لا يعلق إلا بأكرم الشجر" (ص ٨٥). وهي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق عنها
سنة ١٢٨٥. وهذه الرواية نبوة وتخييل جدا، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، تؤيدها رواية
المساحظ وإن كان الذي نسخها قد مسختها. فهي في ص: "كالشجرة ليس يعلق بأكرم الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي ص: "كالشجرة ليس يعلق بأكرم الأشجار، إنما يعلق بما قرب منها".

٢٠

سَخَاءُ
الْمَلِكِ وَرَحْمَتُهُ

++
(١)

ومن أخلاق الملك السخاء والحياء.

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنها رُكَّبتا في الملوك
كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كما لم نشاهد ولم يُلَفَّنَا عمن
مضى من الملوك، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، القحَّة والبخل.
فأما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان
الملك من أهل التميز. وذلك أنه يُفِيدُ^(٢) أكثر مما يُنْفِقُ. فإذا كانت هذه صفة كل
ملك، فما عليه من اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ وَعَمِّ الْمَنِّ والإحسان إلى مَنْ نَأَى عنه أودنا منه
من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.

وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.^(٤)

وحقيق للملك (إذ كان الراعي) أَنْ يَرْحَمَ رعيته، (وإذ كان الإمام) أَنْ يَرِيقَ عَلَى الْمُؤْتَمِّ^(٥)
به، (وإذ كان المولى) أَنْ يَرْحَمَ عبده.

فقد تخطى العامة وكثير من انخاضة في الملوك حتى يُسَمُّوْنَهُمْ بغير أسمائهم
وَيَصِفُونَهُمْ بغير صفاتهم وَيَتَحَلَوْنَهُم بِالْبُخْلِ والإمسالك، إذا رَأَوْا الْمَلِكَ عَلَى سَنَنِ مِنْ

(١) ص: الملك الكرم والسخاء. ورواية سمع. لأن الكلام التالي منقسم إلى موضوع السخاء وإلى
موضوع الحياء. ولذلك اعتمدتها في المتن.

(٢) أفاده واستفاده وتفيدته بمعنى واحد. (عن القاموس)

(٣) ص: وتسميم.

(٤) زاد في سم هنا: "للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة". وقد سبقت هذه الجملة في الموضع

المناسب لها في السطر السابق، فلا حاجة لتكرارها.

(٥) ص: الايجال.

القصْد وعَدْلٍ من حدِّ الإنفاق، وَيَقْلُون عَمَّا أَدَبَ اللهُ تعالى به نبيه (صلى الله عليه وسلم) بقوله عز وجل: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ"، و بمدحه الصالحين من عباده بالقصد في ذات أيديهم، بعلمهم أن أرضى الأحوال عنده مَادْخَل في باب الاقتصاد، بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا".

وقد ذكر بعض مَنْ لَا يَعْلَم (في كتاب ألفه في البخلاء من الملوك) ^(١) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

الرد على من وصف
المنصور بالبخل

- (١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخلاء عاثة ، وقد طبعه في لندن سنة ١٩٠٠ المشرق الهولندي فان فولتن Van Volten ، ثم قلده التهانوت على سرقة المطبوعات في مصر . وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشام هذا "دخل حائطاً ببستاناً له فيه فاكهة وأشجار وثمار ومعه أصحابه . ففعلوا يا كلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! إقاع هذا ، وأغرس مكانه الزيتون" . فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه ، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضاً على بخله ، حتى إذا جاء حائطه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلاً إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام ، ونعمتها بقول هشام لقيم البستان : "إقاع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئاً" . ولم يذكر الجاحظ شيئاً من هذا القيل عن المنصور في كتابه في البخلاء .

- (٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيراً عن الجاحظ بالحرف الواحد أو بالاختصار ولكنه لم يسته ولم يشر إلى كتابه ، فكان مثله كمثل المسعودي وفكر كثير من المؤرخين والمثاقدين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتبجيله ذكر اسم الجاحظ ، فقال في صفحة ١٠٢ مانصه : "قال الجاحظ : ربما وصف الأغنياء بالمنصور بالبخل ، وليس الأمر كذلك . فإنه لم يسمع عن أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وقرق على أهل بيته في ليلة واحدة ألف ألف" . ثم روى القصة الآتية عن زيد مولى عيسى بن نبيك باختصار وختمها بهذه العبارة : "قال الجاحظ : فهل يجوز أن يُعدَّ من فعل هذا الفعل بخيلاً؟"

(١) احتجنا إلى الإخبار عن جهل هذا، لم يكن لذكره معنى ولا للتشغل بالرد عليه. وكيف يكون المنصور ممن دخل في جملة هذا القول، ولا يعلم أن أحدا من خلفاء الإسلام ولا ملوك الأمم وصل بألف ألف رجل واحد غيره^(٢)! ولقد فرق على جماعة من أهل بيته عشرة آلاف ألف درهم. ذكر ذلك الهيثم بن عدي^(٣) والمدائني. وحدثني بعض أصحابنا عن أبيه عن زيد مولى عيسى بن نهيك^(٤) قال: دعاني المنصور بعد موت مولاي

(١) ص: ولواحتجنا.

(٢) المنصور هو أول خليفة أعطى ألف ألف لكل رجل من عمومه الأربعة (طبرى سلسلة ٣ ص ٤٢١) وما يدخل في مكارم المنصور أن الشمراء دخلوا عليه فأنشدوه من وراء حجاب، فاستحسن أقوال بعضهم، فأمر برفع الحجاب وظهر لهم وأمر لأحدهم بعشرة آلاف دينار وأعطى الباقي ألفين ألفين (ذيل الأمانى للقالى ص ٤١). ودخل عليه رجل من أهل الشام فأعجبه كلامه فقال: يا رب لا يصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم، فحلفت معه (ذيل الأمانى للقالى ص ٢٢٨).

ودخل عليه قى، من جى حرم فذكر له ما عمله بنو أمية بقومه وأنشده شعرا للأحوص كان سببا في حرمانهم من أموالهم منذ ستين سنة. فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم كتب إلى عماله برّد ضياع آل حزم عليهم وإعطائهم غلاتها. في كل سنة من ضياع بنو أمية، وتقسيم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناصح، ومن مات منهم وقر على ورثته. فأنصرف القى بما لم ينصرف به أحد من الناس. (طبرى سلسلة ٣ ص ٤٢١)

(٣) سماء في محاسن الملوك "يزيد".

(٤) كان الأمير عثمان بن نهيك على حرس المنصور. فلما مات سنة ١٤٠ في فتنه الراوندية، استعمل الخليفة أخاه عيسى هذا على حرسه. وكان ذلك بالهاشمية. وهناك ابن نهيك آخر استعمله المهدي وأمره بضرب بشار بن برد حتى قتله. وأما إبراهيم بن عثمان بن نهيك فقد قتله الرشيد لأنه كان يكي على قتل جعفر البرمكي =

فقال : يا يزيد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : كم خلف أبو يزيد من المال ؟ قلت : ألف دينار أو نحوها . قال : فإين هي ؟ قلت : أنفقتها الجيرة في مأتمه . قال : فاستعظم ذلك ، وقال : أنفقت في مأتمه ألف دينار ! يا أنجب هذا ! ثم قال : كم خلف من البنات ؟ قلت : ستا . فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : أغد إلى باب المهدي . فغدوت فقيل لي : معك بنات ؟ فقلت : لم أومر بإحضار بغل ولا غيره ، ولا أدري لِمَ دُعيت . قال : فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار ، وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار . ففعلت . ثم دعاني المنصور فقال : قبضت ما أمرنا به لبنات أبي يزيد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : أغد عليّ با كفائهن حتى أزوجهن .

١٢٨

وعلى ما وقع للبرامكة . فكان إذا أخذته الشراب ، يقول لغلامه : هات سيني ! فيسله ويصيح : واجمعوا ! ثم يقول : لا تجدن ثأرك ، ولا تقتل قاتلك ! ثم عليه أبوه عثمان للفضل بن الربيع فأخبر الرشيد ، فكان ذلك سبب قتله . (ان الأثيرج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "الحاسن والمساوي" رواية أخرى في وشاية الولد بأبيه للرشيد (ص ٥٩٢) . وأما لفظ "نهيك" فهو "مشتق من التهاكة وهي الجرأة والإقدام يقال : انتك فلان فلانا إذا نال من عيرته وشتمه . ومنه : آتباك المحارم ، ونهكتك الخي إذا أخرت به ، وأنتكك عقوبة إذا أوجعه ضربها ."

(الأشعياق لأبن دُرَيْد ص ١٢٨)

١٥

(١) هذا اللقب كان يُعطى عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر . فلما تغلبت الدولة التركية في العراق ، وفي مصر خصوصا ، صار لقب نساء الملوك "خوند" . "خاتون" ، "آدر (جمع دار)" وهذا اللقب الأخير كان خاصا بمصر في زمان المسالك . وفي عصرنا هذا نقول : "حرم" ، "هانم" وهما لقبان يطلقان على نساء الأكابر . (أنظر ص ١٢١ من كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

٢٠

منهم . قال : فغدوت عليه بثلاثة من ولد العتكي^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عتمن .
فزوج كل واحدة منهم على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن يجعل صداقهن من ماله ،
وأمرني أن أشتري بما أمر لهن ضياعا يكون معاشهن منها .^(٢)

فهل سمع هذا الجاهل الخائن^(٣) بمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن
نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطلال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار .

وقلما استعملت العامة وكثير من الخاصة التمييز ، إثارة للتقليد . إذ كان أقل
في الشغل وأدلى على الجهل وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفونا^(٥) والنحيف ذا فضائل ؛ وتفضل الطويل
على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا تدرى ماهو ؛ وتفضل راكب الدابة على
راكب البغل وراكب البغل على راكب الحمار ، اقتصارا على التقليد إذ كان أسهل
في المأني وأهون في الاختيار .



ومن حق الملك - إذا اعتل - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار ،
حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر ؛ وأن لا يرفع إليه الحاجب أسماءهم

الأدب
في اعتلال الملك
ونظام التشریفات

(١) الظاهر أن العتكي المذكور هنا هو مقاتل بن حاتم العتكي الذي استخلفه المنصور على حران ، وقد حاصره

بها عبدالله بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٣ و ٩٤)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حروفا . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل الصواب : المسائن ، بمعنى الكاذب .

(٤) صه : آثرنا .

(٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل . وفي صه : مؤفنا . [أي ذا آلة وعادة] .

مبتدئا حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها ^(١) ، فلم تسلم عليه فتتوجه إلى ردة السلام ، فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيرا موجزا ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدهما الثالثة ، فكان حفظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة لتأمل الملك وتدعوه وتتنظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحة الملك . وبالحري ينبغي أن لا يبرح ^(٢) فناء سيده ومالكة ، أنتظارا لإفاقة من علته ونحضا عن ساعات مرضه .

++

ومن الحق على الملك تعهد بطائفة وخاصته بجوائزهم وصلاحاتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جوائز
البطانة وصلاحاتهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاحاتهم ، ولا يخرج أحدا منهم إلى رفع رقية أو إذكار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك .

(١) صه : يجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ صفحة ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) صه : ومحمى .

سنة ملوك
ساسان في الجوائز

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر الرجل من خاصته ويطانته تقديرًا وسَطًا بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّه كُلّها، وحوائجها خاصّها وعامتها . فإذا كان التقدير على الجهة التي وصفنا به عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة^(١)، أمر أن يُدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنزاله^(٢) ونفقاته وحوائجها . ويقول له الملك: "قد علمنا أن الضيعة التي أفدتنا هي مما تقدم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكر تلك النعمة منك، وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شيء أفدتنا^(٣) بشكر قد تقدم وحرمة قد تأكدت. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهرياً لنواب الزمان وتخرم الأيام وأنقلاب الدول وحوادث الموت. ولتكن مؤنك وكُلّك على خاصّ أموالنا." ١٠

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام . فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه بطلب درهم ولا غيره، منبسطة لزمانه مبتهجا ينعم ملكه مسرورا بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال.^(٧)

١٥ (١) الأنزال (جمع نزل): القوم النازلون على الإنسان، أو ما هي للضيف أن ينزل عليه، كافي تاج العروس .

(٢) صه: أخذتها .

(٣) صه: أخذته .

(٤) صه: وحوادث الأيام والموت . صه: وحوادث المزن .

(٥) صه: وكُلّك .

٢٠ (٦) في صه: "مستشطا". وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام، ولذلك أصلحناها بما اقتضاه الحال . وهي من الكلمات التي تفرّد بها صه .

(٧) صه: بما كفى من التذكار وشكر الحال .



ومن حقَّ الملك هدايا المَهْرَجَانِ والنَّيْرُوزِ^(١).

هدايا المهرجان
والنيروز من
الملك وله

والعلة في ذلك أنَّهما فصلًا السَّنة.

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد، والنَّيْرُوزُ إذنٌ بدخول فصلِ الحرِّ. إلا أن
في النيروز أحوالًا ليست في المهرجان. فمنها آستقبالُ السنة وافتتاحُ الخراج وتوليةُ
العمال والأستبدال وضربُ الدراهم واندنانير وتذكية بيوت النيران وصبُّ الماء وتقريب
القربان وإشادة البليان^(٣) وما أشبه ذلك^(٤).

فهذه فضيلة النيروز على المهرجان.

ومن حقَّ الملك أن يُهدى إليه الخاصَّة والحامَّة.



والسَّنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرَّجُل ما يُحبُّ من مِلْكِهِ، إذا كان في الطبقة
العالية. فإن كان يُحبُّ المِسْك، أهدى مسكًا لا غيره؛ وإن كان يحب العنبر،

(١) كلمتان فارسيتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السنة.

(٣) ص: والأخذ بالاسفند. [والذى فى المعجم الفارسى العربى الإنكليزى لرتشاردسن أن الإسفند
هو اسم اليوم الثالث من الخمسة الأيام التى يضيفها الفرس لآخر الشهر الثانى عشر من السنة. ولما كان الشهر
عندهم ثلاثين يومًا فهم يضيفون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة لجعلوها معادلة للسنة الشمسية. وربما
كان الجاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالقرس فى ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية نقلها الجاحظ عن آيينهم، بنير ملاحظة لما أخذ المسلمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يؤيد ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة.

أهدى عنبا، وإن كان صاحب رزة ولبسة، أهدى كسوة وثيابا، وإن كان الرجل من الشجعاء والفرسان، فالسنة أن يهدى فرسا أو رمحا أو سيفا، وإن كان راميا، فالسنة أن يهدى ثيابا، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة، وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيد للسنة الماضية، جمعها ويصلها في يد حريز صيني وشريعات فضة وخيوط إبريسم وخواتيم عنبر ثم وجهها.

(١) ص: صاحب كسوة وثياب.

(٢) ص: "أصحاب المال"، [ولعلها أصحاب الأعمال].

(٣) وردت هذه الكلمة مهمة في ص: ص: هكذا (مواسد)، فوجدناها في شفاء النليل (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا: "موانيد" ولسرها بقوله "بقايا في شعر الفرزدق - مريب" (ص ٢٠٨) ولكن النسخ أو الطابع جعلها بالناء المثناة الفوقية بدلا من النون، وهي واردة على محبتها في كتاب "المريب من الكلام الأجمعي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألمانية بخار بمدينة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد استشهد عليها بقول الفرزدق.

"نراج موانيد عليهم كثيرة * تشد لها أيديهم بالعواقب"

وقد رأيت هذا البيت في قصيدة طويلة في مدح صهرين هيرة الفزاري، ضمن ديوان الفرزدق الذي طبعه باللغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسير بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠. (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي). وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الأصح في كتابها الدال المهملة بدلا من المعجمة، وظن أنها تعريب كلمة "مانده" الفارسية. وأقول إن العرب يجعلون الدال ذالا عند التعريب (مثل أستاذ، تلميذ، فالودج، فولاذ، بغداد، كلواز، مر والروذ الخ). وأما الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانيدن" بمعنى البقاء. وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجعل الدال ذالا جريا على عادتهم في التعريب.

(٤) ص: بيت.

وكذلك، إنما كان يفعل من العَمَال مَنْ أراد أن يَتَرَيَّنَ بفضله تفقّاته أو بفضله عَمَلَه
أو أداء أمانته.

وكان يُهْدِي الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التَّحفةَ والطَّرْفَةُ والبَا كورةَ
من الخَضِرَاوات.

- ٥ وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يُؤَثِّرُهُ وَيُفَضِّلُهُ كما قدّمنا
في الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تُعَلِّمُ
أن الملك يهواها ويُسرُّ بها - أن تُهْدِيَهَا إليه بأكمل حالاتها وأفضل زينتها وأحسن
هيأتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقّها على الملك أن يُقَدِّمَهَا على نساءه ويخصّها بالمنزلة
ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرتَه على نفسها وبذلت له ما لا تبجود النفس به
وخصّته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به.

١٠

ومن حقّ البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تُعرَّضَ عليه وتقوم
قيمة عَدْلٍ.

- فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت في ديوان الخاصة، فإن كان صاحبها
من يرغب في الفضل ويذهب إلى الربح ثم نأبته نائبة من مُصِيبَةٍ يُعْصَابُ بها أو بناء
يَتَّخِذُهَا أو مَادَّةً يَأْدِيهَا أَوْ عَرَسَ يَكُونُ مِنْ تَزْوِيجِ ابْنٍ أَوْ إِهْدَاءِ ابْنَةٍ إِلَى بَعْلِهَا، نُظِرَ إِلَى
١٥ مَا لَهُ فِي الدِّيَوَانِ (وقد وُكِّلَ بِذَلِكَ رَجُلٌ يَرْعَى هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ وَيَتَعَهَّدُهُ)، فإذا
كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أُضِيعَتْ لَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى نَائِبَتِهِ.

(١) ص: يؤثر به وبفضيلته.

(٢) ص: يجتده.

(٣) في ص: يجتدها. وليست في ص.

وإن كان الرجل من أهدي نُسابة أو درهما أو تُفَاحَة أو أُتْرُجَة ، فإن تلك الهدية إنما قدمها لتُكَبَّرَ له في الديوان ، ويُخبر الملكُ إن نأبته نائبة . فعلى الملك إعائته عليها ، إذا كان من أساورته وِبَطَانَتِهِ أو مُحَدِّثِهِ . فإذا رُفِعَ للملك أن له في الديوان نُسابة أو درهماً أو أُتْرُجَة أو تُفَاحَة ، أمر الملك أن تؤخذ أُتْرُجَة فُتَمَلَأَ دنانير منظومة ويوجَّه بها إليه . وكان لا يُعطى صاحب التُّفَاحَة إلا كما يُعطى صاحب الأُتْرُجَة . وأما صاحب النُّسابة فكانت تخرج نُسَابَتُهُ من الخزانة وعليها اسمه ، فتُصَبُّ ويوضع بإزائها من كِسْوَةِ الملك ومن سائر الكساء . فإذا أرتفعت حتى تُوازى نُصَلَّ النُّسابة ، دُعِيَ صاحبها فدُفِعَتْ إليه تلك الكِسوة .

وكان من تقسَّمت له هدية في النيروز والمهرجان (صُفِّرَتْ أم كُبرَتْ ، كَثُرَتْ أم قَلَّتْ) ، ثم لم يُخْرَجْ له من الملك صلة عند نائبة تتوبه أو حق يلزمه ، فعليه أن يأتى ديوان الملك ويُذَكِّرَ بنفسه ، وأن لا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة . وإن غفل عن أمره بعارض يحدث ، فإن ترك ذلك على عمد ، فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لسنة أشهر ، وأن يدفعها إلى عدو ، إن كان له . إذ أتى شيئاً فيه شين على الملك وضعة في المملكة .

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرون بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنيروز من الكسبي فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس ، على مراتبهم .

وكانوا يقولون : إن الملك يستغنى عن كِسْوَةِ الصيف في الشتاء ، وعن كِسْوَةِ الشتاء في الصيف ؛ وليس من أخلاق الملوك أن يُنَجَّبَ كسوتها في خزائنها ، فتساوى العامة في فعلها .

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والملحم . ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا .

فإذا كان يوم النيروز ، لبس خفيف الثياب ورقيقها ، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففُرقَتْ .^(١)

ولا نعلم أن أحدا بعدهم آتفى آثارهم ، إلا عبد الله بن طاهر ، فإنه سمعت من محمد بن الحسن بن مضعب يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان ، حتى لا يترك في خزانته ثوبا واحدا إلا كساه . وهذا من أحسن ما حكى لنا من فضائله .

مير مسلم اقتدى
الفرس في تفريق
كسوته



ومن أخلاق الملوك اللّهُو .

غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتا واحدا ، وأخذ نفسه بذلك . فإنه إذا فعل ذلك ، استطاب اللهو والهزل والمفاكهة . وإذا أدمن ذلك ، خرج به اللهو من إبه حتى يجعله جدا لا هزل فيه ، وحقا لا باطل معه ، وخلقا لا يمكنه الانصراف عنه .

لهو الملوك



وليس هذا صفة الملك السعيد .

ومن أدمن شيئا من ملاذ الدنيا ، لم يجد له من اللذة وجود القريم النهم المشتاق .^(٣) وهذا قد نراه عيانا . وذلك أن ألد الطعام وأطيه ما كان على جوع شديد ، وألد الجماع وأطيه ، إذا اشتد الشبق وطالت العزبة^(٤) ، وألد النوم وأهنأه ما كان يعقب التعب والسهر .

ترك الإدمان
في الملاذ

(١) ص ٥ : ثياب ساور .

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد اسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته .

(٣) ص ٥ : اللذة وجودة الطعم وجودة النوم .

(٤) ص ٥ : العزبة .

وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا.

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاذ وقتاً واحداً من اليوم واللييلة، لهذه الفضيلة التي فيها.

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساماً. فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله، وصدره لرعاياه وإصلاح أمرها، ووسطه لأكله ونامه، وطرّفه للهوى وشغله. وأن لا يثابر على إدمان الشغل في كلّ يوم. وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها، فلا يجد للهول لذهته، ولا للنعيم موضعه الذي هو به.

++

١٢٧
سيرة الملوك
والخلفاء في الشرب

وكانت الملوك الماضية من الأكاسرة تشرب في كلّ ثلاثة أيام يوماً، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور. فانهم كانوا يذمنون الشرب في كلّ يوم.

وكان ملوك العرب (كالثعمان) وملوك الخيرة وملوك الطوائف، أكثرها يشرب في كلّ يوم وليلة مرة.

وكان من ملوك الإسلام، من يذمن على شربه، يزيد بن معاوية. وكان لا يمتسى إلا سكران، ولا يصبح إلا مخموراً.

وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كلّ شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو

(١) لعل الصواب: الأصغر. (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩، و صفحة ١١٨ من هذا الكتاب).

(٢) صه: في كل جمعة يوماً وليلة.

(٣) صه: عبد الله.

(١) أو في الماء، ويقول: "لنما أقصد في هذا إلى إشراق العقل، وتقوية مُنَّة الحفظ،
(٢) وتصفية موضع الفكر." غير أنه كان إذا بلغ آخر هذا السكر، أفرغ ما كان في بدنه حتى
لا يبقى في أعضائه منه شيء. فيُصبح خفيف البدن، ذكي العقل والذهن، نشيط
النفس، قوي المُنَّة.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا
سميع غناء.

(٤) وكان هشام يسكر في كل جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمنان اللهو والشرب. (٤) فاما يزيد بن الوليد،
فكان دهره بين حالين، بين سُكرٍ وُجْارٍ، ولا يوجد أبداً إلا و معه إحدى هاتين.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

(٥) وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عَشِيَّة الثلاثاء وحدها، دون السبت.

(١) ص: الأرض.

(٢) ص: وتقوية وتصفية.

(٣) ص: آخر حة السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * * منقولتان عن ص.

(٥) ص: وحدها في كل جمعة.

^(١) * وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدعان يوماً.

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين، وربما قدم أيامه وأجرها، على أنه لم يره
أحد قط يشرب ظاهراً، إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه.^(٢)

وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة، ثم أدمن الشرب عند خروجه
إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفى.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه، غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة
ولا يومها.*



لبس الملوك

وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب.

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة، فإذا نزع
لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم
يلبسه بعد.

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن ص ٥.

(٢) وأظر حاشية ٥ ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) ص ٥ : روثقه. وبعض مائه رمى. [ولعله : وبعض يهائه رمى]

وَقَبَازٌ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُغْسَلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُغْسَلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ ^(١) لَمْ يُغْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُعِلَ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ خَاصَّةً، لَا يُحَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُتَّخَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتَبْنِيكَ صِنْفٌ آخَرٌ .

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ حَرَارًا وَيُغْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسَلْيَانُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ .

فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ . وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِيُّ وَالْهَادِي
وَالرَّشِيدُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَاتِقُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا لَبْسَةً وَاحِدَةً،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيْبًا .

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمِطْرَفَ السَّنَتَيْنِ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَبِأَثَرِ الثِّيَابِ الدَّنَائِرُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا ^(٢)

(١) أَي مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي ص: مَرَاتٍ .

(٢) هُوَ دَاءٌ مِنْ خِزْمَرٍ لِهَ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكُرْهُ دُوزِي Dozy فِي "مَعْجَمِ أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) س: إِعَادَةٌ .



تعطيب الملوكة

وأخلاق الملوكة في العطر ومس الطيب وتغلل الغالية^(١) تختلف.

فمن الملوكة من إذا مس الطيب وتغلل^(٢) بالغالية لم يعد إلى مس طيب ما دام عبقها في ثوبه.

ومن الملوكة من كان إذا مس الطيب وتغلل^(٢) بالغالية فتضوعت منه وعلقت بثيابه، أمر بصب ماء الورد^(٣) على رأسه حتى يسيل، فإذا كان من غد، فعل مثل ذلك.

❦

فأما من كان لا يمس طيبا مادام يحسد عبق الطيب في ثيابه: فاردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن يزدجرد وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان؛ ومن ملوك العرب: معاوية وعبدك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد]؛ ومن خلفاء العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون.

وكان المعتصم قلما يمس الطيب. وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتته على شدة البطش والأيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صدا السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغللت من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، بخار. وكذلك غللت بها لحيتي؛ شدد للكثرة. صحيح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الدهن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه". [وأنظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها].

(٣) ص: المارود. [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب إلى حدٍّ ونسبوا إليه فقالوا: المارودي].



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن تُخصّ بالتكرمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .

زيارة الملوك
تكرّما لرحالهم ،
وأنواعها

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ماتقع وتتفق بسؤال المزور الملك وتلطّفه في ذلك . ^(٢)

❦

(١) من هذا القليل ما تفضل به مولانا الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على المأسوف عليه
بطرس غال باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقا ، بعد أن أغتاله يد أجنبية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) . فقد يّمّ المستشفئ (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته ، ثم تنازل بالتوجه إلى
دار الفقيده بالقجالة في القاهرة ، عقب مماته في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وداسى بنفسه أولاد القتل وقرابته .
نخفف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب عن جميل عنايته بجميع صنوف رعيته .

ولقد آتفق مثل هذا الصنيع الجليل ، في حادث من هذا القليل ، لأحد السابقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اغتيال رئيس الحكومة وصاحب الحل والعقد في ديار مصر ، وأعنى به الأتابكي سيف الدين
شيخو العمرى (وهو أول من تلقب باسم أمير كبير ، وكانت وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
هذه) ، فضربه وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
منشياً عليه . فحملوه إلى بيته وبه بعض رمق . وهناك ضمّدا جراحاته . فنزل السلطان من القلعة في اليوم التالي
وذهب بموكبه إلى داره وترجّل عن فرسه وداسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذي القعدة من السنة المذكورة . فأحتفل السلطان بجزائزه وحضرها بعسه وصلى عليه قبل دونه . (راجع ابن

إياس ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في سـ ، صـ : تلفظه .

وربما رفع الملكُ مرتبةَ الوزير وخصَّه وقَدَّمه على سائرِ بطانته، فيكون من حِيلِ الوزير أن يتعالل فيعوده الملكُ، فيُظهِر للعامة منزله عنده وتكرمه إياه وإيثاره له .
وأيضاً، قَلَّ مَلِكُ سألَه وزيرُه أو صاحبُ جيشه أو أحدُ عظمائه زيارته إلا أجابه إلى ذلك، و[لا] سِيَّما إذا علم أنَّ غرضَه في ذلك الزيادةُ في المرتبة والتنويهُ بالذِّكر .
فإذا كانت الزيارةُ من الملكِ على أحد هذه الأقسام الثلاثة، فهي منزلةٌ كان صاحبُها يحاولها قبلها، وأُمْنِيَّةٌ طلبها فأدركها .

فأما الزيارةُ للتعظيم، فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المزور . إذ كان ليس من أخلاق وزير ولا شريف أن يقولَ للملك : زُرْنِي لتعظِّمَنِي، ولترفعَ في الناس من ذِكرِي وقُدْرِي .

فإذا كان ذلك من الملكِ ابتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفعُ مراتبِ الوزراء، وأفضلُ درجاتِ الأشرافِ .

(١) سه : وقربه .

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٤٥ من هذا الكتاب] .

(٣) سه : بأملها .

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضا الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعته ، وغرس نعمته ، وخادم دولته ، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي . فقد زاره بمنزله في رمل الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١) . وقد جمعت هذه الزيارة مزيَّتين في آين واحد : مزية التكرم ومزية العيادة اللتين أشار إليهما الجاحظ . ولقد كانت هذه الزيارة على غير انتظار البتة .

وكنْتُ حاضراً ليلتها في دار الوزير ، وهو لا يعلم بذلك . لأنه قبل تشريف المليك بهنية ، كان بملابس نومه . فإِذَا أَن فاجأنا الخبر بال تلفون ، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة . وقد كانت بعد ذلك بدقائق .

وذلك لعمرى يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلقاء والسلطين في مصر إلى رجال دولتهم . أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرامة . وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بمآثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة نزل من قصره بالقلعة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير بشبك الدوادار الكبير ، بمناسبة التوكل الذي حصل في جسده . وكان هذا الأمير قد جمع في يده أكبر وظائف الدولة على ذلك العهد ، وهي :

الاستادارية ، والدوادارية ، والوزارة ، وكشوفية الكشف . وقد عظم أمره جداً حتى قال فيه ابن إياس : "ما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله . " (أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨)

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظمياً من عظمائهما
للتعظيم لالفسيره، أترخت الفرس تلك الزيارة، ونعرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه^(١) وتوسم خيله ودوابه لثلاث
تسغراً، ولا تمتهن^(٢). ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون يسابه إلى غروب الشمس. فإن ركب كانت الرجال مشاة أمامه^(٣)،
والركبان من خلفه، ولا يجلس أحد من حامته وخاصته بلناية جناها، ولا يحكم على أحد
من عبيده بحكم، وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجه به إليه ليرى فيه رأيه،
ويؤثر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه
في النيروز والمهرجانات على كل هدية وتعرض على الملك، ويكون أول من يأذن له
الحاجب، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه متزويماً، وتكون مرتبته إذا قعد
عن يمينه، وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد.

(١) في سه : "توغر" وفي صه : "يوغر". يقال أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير
نراج، أو هو أن يؤدي الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من المال (قاموس). وهذا المعنى الثاني هو الذي أراده
الملاحظ، لقوله بعد ذلك بحسنه أسطر : "ويؤثر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له".

(٢) صه : ولا تمهن .

(٣) صه : الرجال .

(٤) سه : وماتته .

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحدا لعله من هذه العلل التي قدمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله قرسا رائعا بسرج مذهب وأداة تامة، فقدم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن يزيد جرد. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كل ساعة خلع مجدة، ويشتهي الزامرة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لغلبة اللهو عليه وإيثاره هواه.
 فأما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدينا ^(٤) *.



استقبال الناس
 في الأعياد

ومن أخلاق الملك القعود للعامة يوما في المهرجان، ويوما في النيروز. ولا يحب
 عنه أحد في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف. ^(٥)



وكان الملك يأمر بالنساء قبل قعوده بأيام، ليتأهب الناس لذلك. فيهيئ الرجل
 القصة، ويهيئ ^(٢) الأثر المجدة في مظلمته، ويصالح الأثر صاحبه إذا علم أن خصمه

(١) لعله: فتصرف. وبقية الكلام يدل على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدر ويكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر. ١٥

(٣) أى الأسوار المزور.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نحتين * * متولة عن ص.

(٥) وهذا أيضا من متولات الجاحظ عن آيين القرس.

يتظلم منه إلى الملك. فيأمر الموبد أن يوكل رجلاً من ثقات أصحابه فيقفون بباب العامة، فلا يُمنع أحدٌ من الدخول على الملك. وينادي مُناديه: "مَنْ حَبَسَ رَجُلًا عَنْ رَفْعِ مَظَالِمَتِهِ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ سُنَّةَ الْمَلِكِ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ، فَقَدْ أَذِنَ بِحَرْبٍ مِنْهُ وَمِنْ الْمَلِكِ."

- ثم يُؤذَنُ للناس وتُؤخَذُ رِقَاعُهُمْ، فينظرُ فيها. فإن كان فيها شيءٌ يُتَظَلَّمُ فيه من الملك،^٥ بُدِيَ بِهِ أَوَّلًا، وقُدِّمَ عَلَى كُلِّ مَظَالِمَةٍ. وَيُحْضِرُ الْمَلِكُ الْمُوْبِدَ الْكَبِيرَ وَالْدَّيْرِبِذَ^(١) وَرَأْسَ سَدَنَةِ بِيوتِ النَّارِ، ثم يقومُ المُنَادِي فينادي: "ليعتزل كلُّ مَنْ تَظَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ!" فيمتازون. ويقومُ الْمَلِكُ مع خصومه حتى يَجْتَوِيَنَّ يَدَيِ الْمُوْبِدِ فيقول له: "أيها الموبد، إنه ما من ذَنْبٍ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِ الْمُلُوكِ! وَإِنَّمَا خَوَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى رِعَايَاها لِتُدْفَعَ عَنْهَا الظُّلْمُ وَتُدْبَّبَ عَنِ بِيضَةِ الْمَلِكِ جَوْرَ الْجَائِرِينَ وَظُلْمَ الظَّالِمِينَ. فَإِذَا كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةُ الْجَائِرَةُ، فَخُفِّ لِمَنْ دُونَهَا هَدْمُ بِيوتِ النيران، وسلبُ ما في النواويس من الأكفان. ومجلسي هذا منك - وأنا عبدٌ ذليلٌ - يشبه مجلسك من الله غداً. فإن آثرتَ الله آثرك،^(٢) وإن آثرتَ الملكَ عَذْبَكَ." فيقول له الموبد: "إن الله إذا أراد سعادة عباده، آخترَ لهم خير أهل أرضه. فإذا أراد أن يعترفهم قدره عنده، أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك." ثم ينظر في أمره وأمر خصمه بالحق والعدل. فإن صحَّ على الملك،^{١٥}

التظلم من الملك
إلى القاضي

﴿١٣٤﴾

(١) سه، ص ٧٧: الدرر - [أنظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها، و صفحة ١٧٣

منه أيضاً].

(٢) في "محاسن الملوك" أن الخصم هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي، لا الملك. (ص ٣٩)

شئ أخذ به؛ وإلا حبس من أدعى عليه باطلاً، ونكّل به. ونُودي عليه: "هذا جزء

- (١) في تواريخ الإسلام غرر كثيرة من هذا القبيل. فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزرائهم كانوا يساون أقلّ الخصوم في مجلس القاضى ويجرى عليهم الحكم الشرعى كما يجرى على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبى طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذىّ أمام القاضى شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموى مع صاحب حرسه أمام القاضى في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاسم رجل من حلوان مصر الخليفة عمر بن عبد العزيز وتوجهها معها الى مجلس القاضى فساوى بينهما في كل شئ. وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوى ص ٥٢٥، وفيها وفيها يليها وقائع أخرى من هذا القبيل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدى القاضى يحيى بن أكرم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوى" ص ٥٣٢ و"المستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع بنخيشوع الطيب عند القاضى أحمد بن أبى دؤاد "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضى "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبدع من ذلك كله ما جرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطى أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بهز الدين بن عبد السلام المشهور بسلطان العلماء قضاء مصر والوجه القليل. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل أستعان بالقرينج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف، فانكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمر بن الحاجب المالكي. فنضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) قاصداً يتلف به في العود إلى دمشق. فأجتمع به ولأينه، وقال له: ما تريد منك شيئاً إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين! "ما أرضاه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذى طاقنا ما آبتلاك به!" فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه قضاء مصر. فاتفق أن أستاذ داره نجر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ (وهو الذى كان إليه أمر المملكة) عمداً إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

(١)
مَنْ أَرَادَ شَيْنَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَمْلَكَةِ^(١)

- ٥ بناءً طلباً، وبقيت تضرب هنالك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم بهدم ذلك البناء، وأسقط
نظر الدين، وعزل نفسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وظن نظر الدين وغيره أن هذا
الحكم لا يثأر به في الخارج. فاتفق أن يجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد. فلما وصل
الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، خرج إليه وسأله: هل سمعت هذه الرسالة
من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملتها عن السلطان نظر الدين ابن شيخ الشيوخ، أستاذ داره. فقال الخليفة:
إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته. فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة،
ثم عاد إلى بغداد وأداها. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء، تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر
أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستحب عليهم ليت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فعظم الخطب
عندهم، وأختتم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً. وتعللت مصالحهم لذلك
١٠ وكان من جعلهم نائب السطة، فاستشاط غضباً. فاجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نقصد لكم مجلساً، وننادي
عليكم ليت مال المسلمين! فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب السطة
بالملاطفة، فلم يقد فيه. فأتى نائب، وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض!
والله لأضربنه بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده. فطرق
الباب. فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السطة ما رأى، وشرح له الحال. فآكثرت لذلك. وقال: يا ولدي
١٥ أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، يست يد النائب وسقط السيف
منها، وأرعدت مفاصله. فبكى رسال الشيخ أن يدموله، وقال: يا سيدي، إيش تعمل! قال: أنا أنادي عليكم
وأيحكم! قال: فقيم تصرف ثمتنا؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! فقم
ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغال في ثمنهم ولم يعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه
الخير. (”حسن المحاضرة“ ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة) . وقد روى
٢٠ السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في ”طبقات الشافعية“ (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧)
(١) ص: أراد شر المملكة والقذح فيها بالباطل. [انتطع صاحب ”محاسن الملوك“ هنا سياق الكلام،
وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر، وهذا نصاً: ”وذكر أن أحد خلفاء العلويين الفاطميين فعل
مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاء محامياً لحصم ولم يحرك له القاضي عند حركته للعود بين يديه
وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم وقضى به، وثب مقبلاً للأرض، جالسا دون مجلس
٢٥ الخليفة. فقال: والله! لو تحرك لي أولاً وخرج عن حكم الحق، لضربت عنقه“]

فإذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام فحمد الله وبجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وألقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُصِفُ منها إلا لئلا يطمع طامع في حيفي. فمن كان قبسه حق فليخرج إلى خصمه منه، إما بصلح وإما بغيره."

(١) فكان أقرب الناس إلى الملك [في الحق] كأعلمهم، وأقواهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرَّاً حتى ملكهم يزدجرد الأثيم، ودبوا الحس الباركر^(٢) فغير سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبرية والفساد، وقال: "ليس للرعية أن تنتصف من الراعي، ولا للسوقة أن تتظلم من الملوك، ولا للوضع أن يساوى الرفيع في حق ولا باطل."^(٣)

فذكرت الأتاجم في كتبها وسيروا ملوكها أنه بيتا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فرس مسرج ملجم^(٤)، لم يرقط شيء أحسن منه منظراً، ولا أكل أداة. فاهوى نحو يزدجرد الباركر. فقامت إليه الأساورة

العقوبة الرياض
للك الأتاجم

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظم الناس من الملك إلى القاضي

وبالحرف الواحد تقريباً عن المحافظ. (ص ٣٩ - ٤١)

(٢) هكذا في نسخة. والمشهور أنه يسي يزدجرد المليم الأثيم، ويزدجرد الأثيم كما هو في صفحة ١١٨ من

هذا الكتاب. (أنظر غرر أخبار الفرس وسيهم للثعالبي صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات

الثلاث في نسخة.

(٣) نسخة: يستأدى.

(٤) نسخة: يزدجرد الأثيم

(١) (٢)
لتدفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَمَحَهُ فَأَرْدَاهُ . وهو في خلال ذلك يقصد إلى
الملك . فقام إليه يَزْدَجِرْدُ وقال للأساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

(٣)
فلذنا منه حتى أخذ بِمَعْرِفَتِهِ ، فَنَزَلَ له الفرسُ وتطامنَ حتى ركبهُ . فلما جال في متنه ،
خَطَا به خُطَاً ، ثم رَدَّه إلى قرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحه بيده ، مُقْبِلًا وَمُدِيرًا .
حتى إذا وجد الفرسُ منه مَمَكًا وَغَفْلَةً ، رَمَحَهُ فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهِ ، فقتله . فقالت
الفرسُ : هذا مَلَكٌ من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد ،
لما ظلم الرعية وعاث في الأرض . (٦)



وكان بهرام جُور بن يزدجرد في حجر النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . وضعه أبوه عنده
ليتأدب بآداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفرسَ
مَلِكٌ عليها رُجُلًا ليس من أبناء ملوكها . فاستنهض النعمان بن المنذر واستنجد به .
وقال : "إِنَّ لِي عَلَيْكَ حَقًّا ، إِذْ كُنْتُ أَحَدَ أَوْلَادِكَ . وَإِنَّ أَبِي قَدْ مَاتَ وَمَلِكٌ

ما صنعه بهرام جُور
لأخذ ملك أبيه

(١) أي رفسه برجله أو برجله . يقال ذلك للفرس والبغل والحمار وكل ذي حافر ، وربما استعير لذي

الخلف . (تاج العروس)

(٢) أي فأهلكه . وفي صـ : فأداره .

(٣) صـ : بعرفه .

(٤) صـ : حال .

(٥) صـ : بثوبه .

(٦) قارن ذلك بما أورده الثعالبي (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية وتفصيلها مع اختلاف .

الْفُرسُ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ . فَإِنْ أَنْتَ خَذَلْتَنِي ، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ . ”
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : ” مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ ؟ وَلَكِنِّي أَخْرُجُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لِتَقْوَى نِيَّتِكَ ^(١) وَتَصِحَّ عَزَمَتُكَ . ثُمَّ أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ . ” قَالَ :
فَهَذَا أُرِيدُ .

٥. نَفَرَ جِ النُّعْمَانُ مَعَ بَهْرَامٍ حَتَّى صَارَ بِالْمَسْدَانِ ، وَبَلَغَ الْفُرسَ قَدُومَهُمَا ^(٢) . فَخَرَجُوا إِلَى
بَهْرَامٍ ، فَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مُلْكُ أَبِي وَإِرْثُ آلِ سَاسَانَ . قَالُوا : إِنْ أَبَاكَ سَامَنَا
الْعَذَابَ أَيَّامَ مَدَّتِهِ ، فَأَتَرَدُ اللَّهُ بِقَتْلِهِ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيْبِهِ . فَقَالَ بَهْرَامُ :
إِنْ جَوَرَ أَبِي وَظَلَمَهُ لَا يُلْزِمُنِي لَائِمَةٌ ^(٣) ، وَلَا يَكْسِبُنِي ذِمَّةٌ ^(٤) . وَأَنْتُمْ لَمْ تَتَّخِذُوا مِنِّي ، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْذَمٍ . قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ أَقْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ . فَقَالَ : إِنْ هَذَا فَسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ
يَمْلِكُوا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا فَعَلْتُمْ ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلَ مِخْنَةً تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ .
١٠. قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْمِدُونَ إِلَى أَسَدَيْنِ ضَارِيَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرُكُمْ يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِهِمَا .
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ وَأَوْلَى . وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمَلِكِ مِنْهُ . قَالُوا : نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا .

(١) صه : مُتَّكَ .

(٢) روى الثعالبي هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من الجاحظ . (غرر أخبار الفرس ص ٥٤٨) .

(٣) صه : لَا يُلْزِمُنِي لَائِمَتُهُ .

(٤) صه : ذِمَّتُهُ .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فليفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدَيْن فهو أحقُّ بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا^(١) إلى أسدين فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأنك ! فترك بهرام عن فرسه وأخذ الطبرزين^(٢) ومضى نحوهما . ثم بدا له بفعل الطبرزين في منطقتيه . ودنا من الأسدَيْن فأهويا نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطعه به حتى قتلهما جميعا . وشد على التاج فأخذه من موضعه بفعله على رأسه .

❦

فلكنه الفرس أمرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرة حسنة

(١) صم : وفدوا .

- (٢) جمه طبرزيات [أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦] . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبر ، تبر) ومعناها الفأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يعلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت النزال والبراز . وقد عرّب المشارقة وأهل الأندلس هذا اللفظ الفارسي فيما بعد بفعلوه " طبرزين " . قال في " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لرا كشي (ص ٩٠) مانعه " نخرج المعتمد ويسده الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برد " . وقال في " المحاسن والمساوي " (ص ٥٩٣) . " وكان معه طبرزين فضرب به كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات " .
- (وأظن أيضا تاج العروس ، وبرهان قاطع ، وشفاء الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي .)

- كذلك كان الشأن عند تاج المشارقة . ولكنهم طادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانعه : " الطبر . وهو باللغة الفارسية الفأس . ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرزد " يعني الذي يكسر بالفأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أُنعدمت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيت منها روايت كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها ابن أبياس في " بدائع الزهور في وقائع الدهور " مرات عديدة منها قوله : " وضربه بطبر كان معه على وجهه فسقط إلى الأرض مغشياً عليه " (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : " نرج عليهم التركان بالقسي والنشاب والسيوف والاطبار " (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : " فلما خرجوا بهم قطعهم بالاطبار قطعاً قطعاً " (ج ٣ ص ٢٦٩)

وَعَدَلْ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ مَسَاسَانَ^(١).
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سِرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَاقَّتِهِ، وَإِذْكَاءُ الْعِيُونِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعِيَةِ عَامَّةً.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِتَفْحَصَ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعِيَةِ وَخَفِيَ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فَحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ وَابْتَحِثَ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي إِلَّا رَشْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً^(٢) نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمُّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنْ الْفَحْصِ غَمًّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ.

الملوك والخلفاء
الذين اشتهروا
بذلك

وَلَمْ يَرَمَلِكْ قَطُّ كَانَ أَعْجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لَأَرْفِعِيَهُمْ وَأَوْضِعِيَهُمْ: كَانَ

١٢٩

(١) روى ابن خَلْفَرُوهَ هذه الحكاية والتي قبلها بطول كبير وتفصيل كثير. (أنظر "سلوان المطاع في عدوان الأتباع" المطبوع على الحجر بالقاهرة سنة ١٢٠٨ هـ من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٠٤؛ وأنظر ترجمته إلى الإنكليزية للعلامة ميشال أماري الطلياني Michel Amari، طبع لوندرو سنة ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) صه: ودقيق.

(٣) صه: معرفة نفيه.

عندك في هذه الليلة كَيْتَ وَكَيْتَ^(١)، ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه مَلَكٌ من السماء فيُخبره^(٢)، وما كان ذلك
 إلا لتيقظه وكثرة تعهده لأُمور رعيته^(٣).

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .
 فيقال إن الأُمم كلها، أولها وآخرها، وقديمها وحديثها، لم تخف أحدا من ملوكها
 خوفا أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعم بن الخطّاب، من
 خلفاء الإسلام^(٤).

فإن عُمر كان عليه يَمَن نأى عنه من عُمّاله ورعيته كالأمة يَمَن باتت^(٥) في مهاد
 واحد، وعلى وِسادٍ واحد . فلم يكن له في قُطرٍ من الأقطار^(٦) النواحي
 عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عَيْنٌ لا يفارقه ما وجدته . فكانت ألقاظ من المشرق
 والمغرب عنده في كل مُسَيٍّ ومُصْبِح . وأنت ترى ذلك في كُتبه إلى عُمّاله وعُمّالهم

(١) بهنج التاء، وبكسرهما أى كذا وكذا.

(٢) أنظر التمهيد الذي أورده الأبشيهي في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨).

(٣) ورد هذا الخبر في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلعا
 في خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تمحضا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثبت العيون على
 الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . ويعلم المفسد فيقابله
 بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعرف ذلك، فليس له من الملك إلا
 اسمه وسقطت من القلوب هيئته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٣

حتى كان العامل منهم ليتيم أقرب الخلق إليه وأخصهم به . فساس الرعية سياسة
أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة .^{(١) (٢)}

ثم آتفتى معاوية فعلة وطلب أثره ، فانتظم له أمره وطالت له مدته .^{(٣) (٢)}

وكذا كان زياد ابن أبيه يمتدني فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر . وفيما يمتدني
عنه أن رجلا كلمه في حاجة له ، فتعرف إليه - وهو يظن أنه لا يعرفه - فقال : أصلاح
الله الأمير ! أنا فلان بن فلان . فتبسم زياد وقال : تتعرف إلى ، وأنا أعرف بك منك
بأبيك ؟ والله إني لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك ، وأعرف هذا البرد
الذي عليك ، وهو لفلان بن فلان . فبهت الرجل وأرعب حتى أُرعد^(٤) [وكاد يغشي عليه]^(٢) .
وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان ، والمججاج بن يوسف .^{(٥) (٢)}

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحد في مثل هذه السياسة حتى ملك المنصور . فكان أكثر
الأمور عنده معرفة أحوال الناس ، حتى عرف الولي من العدو والمداجي من المسالم .^(٦)
فساس الرعية وليسها ، وهو من معرقها على مثل وضح النهار .^{(٧) (٨)}

(١) وأنظر ما وقع له مع نفر الذين كانوا يشربون المزرخية ومع المرأة التي جاءها المخاض ،
في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ١١٤ و ١١٥

(٢) روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٣) أنظر ما جاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ وج ١ ص ١٠٨)

(٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٧) لبسها أي تملأ بها دهرًا طويلا .

(٨) أنظر التفصيل الذي أورده في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)

(١٤١)

ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حتى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أشدَّ الملوك بحثًا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عنايةً وأحزمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمون أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام^(١). خبر فيها عن عيب واحد^(٢) واحد، وعن حالته وأموره التي خَفِيَتْ - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَلِمْتُ أَنَّ أحدًا ممن كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أشدَّ على الأسرار بحثًا وأكثر لها لخصًا حتى بلغ من هذا المجلس أقصى حدّه وآخِرَ نهايته وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أكثر سُغْلِهِ في ليله ونهاره، إلا إسحاق بن إبراهيم. فحدثني موسى بن صالح بن شيخ، قال: كُتِبَتْ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

- (١) ص ٥٥ : حصر.
- (٢) كان للأموال ألف مجوز وسبعمائة. يتفق بين أحوال الناس من الأشقياء ومن يُحِبُّه ويُغضه ومن يُفسد حرم المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها. وكان يدور ليلا ونهارا مستترا. (محاضرات الأرائل)
- (٣) ص ٥٥ : عليها. [وأهمل هذه الكلمة في "المحاسن والمساوي" وأستعمل صيغة مطلقة فقال: ولم يكن أحد من كان آنح. ولكنه نسي ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهي من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات.]
- (٤) هو المصعب أمير بغداد.
- (٥) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.
- (٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالشين المعجمة والياء المثناة التحتية وألحاء المعجمة) ابن عُثميرة الأسدي. كان من نداء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعب أمير بغداد.
- ٢٠ وأنظر أيضا القصة التي رواها صاحب "الأنعاني" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا التديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتد على الله، وقد نيف على التسعين. وقُبِضَ أبوه بعد أن عمر ٩٩ سنة. ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

فقال: يا أبا محمد! من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن فعلها. قال: فوالله! لم يزل يصفها ويصف أحوالها حتى بهت^(٢).

[وحدث أبو البرق الشاعر قال: كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه، فقال بعد أن أنشدته: "كم عيالك؟" تحتاج في كل شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا. "فاخبرني بشيء من أمر منزلي مما جهلت بعضه وعلمه كله".^(٣)]

وحدثني بعض من كان في ناحيته، قال: رفعت إليه رقعة أسأله فيها إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فزدت في العدد. فقال: كذبت! فبهت وقلت في نفسي: يانفس من أين علم أني كذبت! فاقمت سنة لا أجترئ على كلامه. ثم رفعت إليه رقعة أخرى في إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فقلت: أربعة. فقال: صدقت. فوقع في حاشية رقتي: يُجْرى على عياله كذا وكذا.

ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره، لحكينا عنه أخباراً كثيرة. وهي من هذا الجنس، وفيما ذكرناه كفاية.

التمييز بين
الأولياء والأعا

فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم، حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقيله وما أحدث فيهما، فعَلَّ.

(١) يعني: من فصها كيت وكيت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب. ١٥

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سيبويه: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الأبشهي هذه القصة ونسبها للأمون. (المستطرف ج ١ ص ١٠٨)] روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٤) رجع صاحب "المحاسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان الخ. وذكر القصة بتمامها وبحروفها. (ص ١٥٥) ٢٠

فإن الرعية لا تسكن قلوبها جلاله ملكها - ولو عبدته الجن والإنس ودانت له
ملوك الأم كلها - حتى يكون أشد إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرائرها، من أم الفريد^(٢)
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يقال في بعض كتب الأوائل في مواظب الملوك وآدابها:

بماذا تطول مدة
الملك

”إن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال:

أحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يجعل ولي عهده من ترضاه وتختاره رعاياه لا من تهواه نفسه؛



والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فخص المرضع عن منام رضيعها.“

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك أنا لم نر مدة طالَّت لملكٍ عربيٍّ
ولا عجميٍّ قط إلا لمن فحص عن الأسرار، وبحث عن خفي الأخبار، حتى يكون
في أمر رعيته على مثل وضح النهار.

(١) في سه: إشراف.

(٢) في سه: ”سرائرها في الفريد“. [ولم يكن للجملة معنى أرتضيه فقد صححتها على ما هو في المتن ليكون
المعنى ”أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بحركة ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه.“ وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. [ويؤيد هذا التخريج قول الجاحظ بعد ذلك بسنة سطور:
”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المرضع عن منام رضيعها.“]

(٣) في سه: الكتب.



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمته أمرٌ جليلٌ من فتىٍ أو قتلٍ صاحب جيشٍ أو ظهورِ عدوٍّ يدعو إلى خلافِ الملة أو قوةٍ مناوئٍ، أن يترك الساعات التي فيها لهوهُ ويجعلها وسائر الساعات في تدبير مكيدة عدوه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شغلَه وفكرَه وفراغه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتمنى وحسن الظنِّ بالأيام نصيباً.

فإن هذا تعجز من الملك ووهنٌ يدخل على الملك.

سنة الأماجم
إذا دهمتهم
الكوارث والمطامير

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حز بها مثلٌ هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرفع وظائفها، وأقتصرَتْ على مائدةٍ لطيفةٍ تقربُ من الملك ويحضرها ثلاثة: أحدهم موبدان موبد^(١) والديربذ ورأس الأساورة. فلا يُوضع عليها إلا الخبز والملح والخل والبقل، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه، ثم يأتيه الخباز بالزماورد في طبق. فيأكلُ

(١) في سه: والد موبذ. وفي صه: الربر. | وأظن الحاشية ٢ صفحة ٧٧ وصفحة ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) الخباز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسهرجي.

(٣) قال عاصم أفندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية ما معناه "بزماورد هو طعام يسمى لقمة القاضى، ونظائلسه، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقلّى بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً بزماورد بالراء المهملة". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" مانعه: "بزماورد، والعامة تقول بزماورد. كلمة فارسية استعملها العرب للرقاق الملقوف باللحم. كذا في حواشي الكشف. وفي القاموس: الزماورد بالضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضى ولقمة الخليفة. ويسمى =

منه لُقمة^(١) . ثم يرفع المائدة ويتشغل بتدبير حربه وتجهيز عساكره^(٢) . ولا تزال هذه حاله حتى يأتيه عن ذلك الفتى ما يرتقه ، وعن ذلك العدو ما يحب . فإذا أتاه ، أمر أن يُتخذ له طعام مثل طعامه الأول ، وأمر الخاصة والعامة بالحضور . وقامت الخطباء أولا بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له . ثم قام المؤبد فتكلم ، ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء . ثم مدّ الناس أيديهم إلى الأطنمة على مراتبهم . فإذا فرغوا ، بسط للعامة في ظهر الإيوان ، وللخاصة في صحنه بحضرة الملك . وقعد صاحب الشرطة للعامة ، كقعود الملك للخاصة . ثم دعا بالمغنين وأصحاب الملاحى .

وكانوا يقولون : إن حق شكر النعمة أن يرى أثرها .

- بحرسان نواله ؛ ويسمى نرجس المائدة ويسمى ومهيا . “ والذي في شرح القاموس في مادة (ورد) يماثل هذا الكلام ، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزمورد دواء معروف ، ووعد بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل .
- ١٠ . ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كما يشهد به صاحب “برهان قاطع” وكما يدل عليه استعمال الجاحظ . وربما رأى العرب التخفيف فحذفوا الباء من أول الكلمة . ولكن ذلك لا يجوز معه القول بأن برماورد من كلام العامة . ويكون هذا الطعام عبارة عما نسيه الآن (الكفتة) . وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتخذ من الدقيق معجوناً بالسمن والسكر ثم يُقل ذلك المخلوط على أفراس مستديرة لها صومعة رُجماً تكون فوقها قطعة من القشدة . ورأيت في “كتاب مبادئ اللغة” لابن الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، أنه : “الزماورد هو المهنت والميسر . وقال بعض المتأخرين :
- ١٥ . أكل الميسر من رأسين ، يأسكني ، لا يستطاع ولا سيفان في غمد . “

وقد ذكر صاحب “الأعاني” هذا الطعام . (ج ٤ ص ١٥٤)

(١) في سببه : لقماً .

- ٢٠ . (٢) روى ذلك صاحب “محاسن الملوك” باختصار ووقف عند هذا المكان ، ثم زاد أن ملوك الفرس كانوا يقولون : “أسمعك الملوك من قلب عدوه بالحيلة . “ (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمراء إذا دهمهم أمرٌ - فزعوا إلى المنابر وحرّضوا الناس على الطاعة ولزوم الجماعة.]^(١)

ما فعله معاوية
أيام صفين

وفيما يذكر عن معاوية أنه قال: ما ذقت أيام صفين حمًا ولا شحمًا ولا حلوا ولا حامضا، ما كان إلا الخبز والجبن وخشن الملح [إلى أن تم لي ما أردته].^(٢)

ما فعله عبد الملك
عند خروج ابن
الأشعث عليه

ويحكى عن عبد الملك بن مروان أن صاحب إفريقية أهدى إليه جارية تامة المحاسن، شبيهة المتأمل. قال: فلما أن دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها وفي يده قضيب خيزران. فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رُدِّيه عليّ. فَوَلَّتْ. فنظر إليها مقبلة ومُدْبِرَةٌ. فقال: أنت والله أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى. قالت: فما يَمْنَعُكَ يا أمير المؤمنين، إذ كانت هذه صفتي عندك؟ قال: بيتُ قاله الأَخْطَلُ:

قومٌ إذا حاربوا، شَدُّوا ما زَرَهُمْ * دون النساء، ولو باتت بأطهار.^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصان وتُخدم. فلما فُتِحَ عليه، كانت أول جارية دعا بها.

ما فعله مروان
أين محمد عند ظه
العباسيين

ويحكى عن مروان بن محمد الجعدي أنه أقام ثلاثين شهرا لم يظأ جارية إلى أن قُتِلَ. وكان إذا استهدف إلى الجارية قال: إِلَيْكَ عَنِّي! فوالله لا دنوت من أُنْثَى^(٤)

(١) هذه الزيادة عن "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زدناها في المتن.

(ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦.

(٤) آخر خلفاء بني أمية [أنظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب].

وَلَا حَالَتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوْتِي، وَخُرَاسَانُ تَرْجُفُ بِنَصِيرٍ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ^(٤)!

(١) ترجف بنصر أي تضطرب به . وهو نصر بن سيار القدي ولأه هشام بن عبد الملك إقليم خراسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلبهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبي مسلم الخراساني . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستنجد به بالأبيات المشهورة ، وهي :

أَرَى خَلْسَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ .
قَاتِ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَزَلَا الْكَلَامُ .
فَإِنْ لَمْ تَهْلُفْهُمَا ، تَجِبُ حَرْبًا * مُشْرَّةً يَشِيبُ لَهَا السَّلَامُ .
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي ! * أَلْأَقَاظُ أَمِينَةٌ أَمْ نِيَامُ ؟
فَإِنْ يَكُ قَوْمًا أَخْجَوْا نِيَامًا ، * قُلْ : قَوْمُوا ، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ !
فَقَرِّ عَنِ رِجَالِكَ ثُمَّ قُولِ : * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ !

وأشعاره معروفة ، تراها في "مروج الذهب" و"معارف" ابن قتيبة و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبي الفداء و"الأغانى" وأبن خلدون و"معجم البلدان" .

(٣) في رسمه : "أبو مخزوم" . وهو تحريف من التامخ . والإشارة هنا إلى أبي مسلم الخراساني الذي كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور في الحاشية السابقة . وقد لقبه مروان بأبي مجرم بدلا من أبي مسلم بمعنى أبي الذئب والإجرام . وقد بقي له هذا التبر في الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله بقوله :

زَعِمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى ؟ * فَاسْتَوَيْتَ بِالْكَيْلِ ، أَبَا مُجْرِمٍ !
إِشْرَيْتَ بِكَاسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا ، * أَمْرًا فِي الْخَلْقِ مِنَ الْعَلَقَمِ !
وَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :
أَبَا مُجْرِمٍ ، مَا غَيْرَ لَكَ نِعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغَيِّرَهَا الْعَدُو !
أَفِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ حَاطَتْ غَدَرَةٌ ؟ * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدَرِ آبَاؤُكَ الْكُودُ !
أَبَا مُسْلِمٍ خَوْفَنِي الْقَتْلَ فَأَنْتَ لِي * عَلَيْكَ بِمَا خَوَّفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ !

وأنظر ابن خلكان في ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) [وأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب] . وأنظر "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٥٥ .

(٤) تلخص ذلك صاحب "معجم الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسعودي هذه الحكاية ، فقال :
" وَأَلَامَ مَرْوَانَ أَكْثَرَ أَيَّامِهِ لَا يَدْنُو مِنَ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ قُتِلَ . وَتَرَأَتْ لَهُ جَارِيَةٌ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَا دَنَوْتُ مِنْكَ ، وَلَا حَالَتْ لَكَ عُقْدَةٌ ، وَخُرَاسَانُ تَرْجُفُ وَنَصْرُ بْنُ سِيَّارٍ ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ " .

("مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا ؛ ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



مكايده الملوك
في الحروب

ومن أخلاق الملوك المكايده في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخر حيله . فإن النفقة في كل شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمود طاقية ، فذلك بسعادة الملك ، إذ ربح ماله وحقن دماء جيوشه . وإن أعيت الحيل والمكايده ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعد الملوك من غلب عدوه بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يحقق هذا ويؤكد به قوله : "الغرب خدعة" .

وليس لأحد من الخدع ما للملوك الأعاجم . والأخبار في ذلك عنهم كثيرة . ولكننا تقتصر من ذلك على حديث أو حديثين .

فمن ذلك ما يذكر عن بهرام جور أنه لما ملك بعد أبيه يزيدجرد ، بلغه أن ناحية من نواحي أطرافه قد أخذت ، وغلب عليها العدو . فاستخف بها وأظهر الاستهانة به حتى قوى أمر ذلك العدو واشتدت شوكته . فكان إذا أخبر بحاله ، استخف بأمره وصغر من شأنه . حتى قيل إنه قد زحف إليك ووجه جيوشه إلى قرار دارك . فقال : دعوه فليس أمره بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاونه وتراخيه عن أمر عدوه واستهانت به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تراخى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملكة ، وقد قرب هذا العدو من قرار دار الملك ، وأمره كل يوم في علو . فقال بهرام : دعوه ، فإنا أعلم بضعفه وصغر شأنه منكم . وأقبل على اللهو واللعب ، وترك

(٢١)
ما يجب عليه من الصمد لعدوه والقصد له . فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف
الوزراء ورؤساء أهل المملكة اجتباها ، اجتمعوا فتأمروا بئتهم على توبيخ الملك وتعنيفه
وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والمهلكة . وبلغه الخبر ، فأمر مائتي جارية من
جواريه ، فلبسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل
الريحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فلبسن من ثيابهن المصبوغة ، وركبن
قصبته . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رأهم ، صاح بالجواري : فرون يخطرن ،
وبهرام خلفهن يغني ، وهن يغني معه ، ويصحن ويلعبن . فلما رأى ذلك وزراؤه
يئسوا منه واجتمعوا على خلعه . وبلغه الخبر ، فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال :
لك الويل إن علم أحد من أهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تحلق رأسه ،
تخلقه . ودعا بمدرعة صوف فتدرعها ، ونزع في جوف الليل ومعه قوسه ونشاب .
وتقدم إلى الجارية أن تخفي أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده
حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكن في منار على ظهر الطريق . بفعل لا يمر به طائر
في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل
ما صاد من ذلك ، بجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : فتربه صاحب
طلعة العدو ، فنظر إلى أمر بهت له . فاخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
أنت ؟ قال : إن أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ،
وإن مولاي غضب علي - وكان لي تحسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وحلق رأسي
وألبسني هذه المدرعة وأجاعني . وإني طلبت عقلة ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما فسره المؤلف بعده بوار والطف .

(٢) في نسخة "وحاق" وقد اعتدلت رواية صمد .

فَأَكَلَهُ . فَلَمَّا أُعْجِبْنِي كَثْرَةَ مَا صِدْتُ ، أَرَدْتُ أَنْ أَرَى بِكُلِّ مَا مَعِيَ مِنْ هَذِهِ السِّبَاهِمِ ،
ثُمَّ أَنْصَرِفَ .

فَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِرْمِ بَيْنَ يَدَيَّ ! فَرَمَى بَيْنَ
يَدَيْهِ . فَكَانَ لَا يَضَعُ سَهْمَهُ فِي طَائِرٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا أَصَابَهُ حَيْثُ أَرَادَ . فَبُهِتَ الْمَلِكُ ، وَطَالَ
تَعَجُّبُهُ . فَقَالَ : وَبِكَ ! فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ مَنْ يَرَى رِمَايَتَكَ ؟ فَضَحِكَ بَهْرَامُ ، وَقَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَنَا أَخْسُهُمْ رِمَايَةً وَأَحْقَرُهُمْ قَدْرًا . وَعِنْدِي جَنْسٌ آخَرٌ مِنَ الثَّقَافَةِ ^(١) . قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَذْغُ لِي بِإِبْرَةٍ ، فَنُدْأِلُهُ بِهَا . فَأَخَذَ إِبْرَةً فَرَمَى بِهَا عَلَى عَشْرَةِ أَذْرِجٍ ،
ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَشَكَّهَا ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَشَكَّهَا كَذَلِكَ ، حَتَّى جَعَلَهَا سِلْسَلَةً قَدْ تَعَلَّقَ
بِمَعْضَاهَا بَعْضُ .

فَبُهِتَ الْمَلِكُ وَمُلِيَ قَلْبُهُ رُجْبًا . فَقَالَ لَهُ : وَبِكَ ! مَلِكُكُمْ هَذَا جَاهِلٌ ! أَمَا يَعْلَمُ أَنِّي
قَدْ قَرُبْتُ مِنْ قَرَارِ دَارِهِ ؟ فَضَحِكَ بَهْرَامُ ، وَقَالَ : إِنْ أَعْطَانِي الْمَلِكُ الْأَمَانَ ، نَصَحْتُهُ .
قَالَ : قَدْ أَعْطَيْتُكَ الْأَمَانَ ، قَالَ : إِنْ مَلِكًا إِنَّمَا تَرَكْتُ أَسْتَهَانَةً بِأَمْرِكَ ، وَتَصْغِيرًا لَشَأْنِكَ ،
وَعِلْمًا بِأَنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ قَبْضَتِهِ . وَذَلِكَ أَنِّي أَخْسُ مَنْ فِي دَارِ مَمْلَكَتِهِ وَأَحْلَاهُمْ ذِكْرًا .
فَإِذَا كُنْتُ - وَأَنَا بِهَذِهِ الْحَالِ - أَقْتُلُ بِأَلْفِ سَهْمٍ أَلْفَ رَجُلٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَلِكِ ، وَلَهُ
مِائَةُ أَلْفِ عَبْدٍ فِي قَرَارِ دَارِهِ ، أَصْغَرُهُمْ شَأْنًا أَكْبَرُ مِنِّي ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : صَدَقْتَنِي فِيمَا
قُلْتَ ! وَلَقَدْ خُبِّرْتُ عَنْ بَهْرَامِ مِنْ تَصْغِيرِهِ لَشَأْنِي وَاسْتِخْفَافِهِ بِأَمْرِي مَا طَابَقَ خَبْرَكَ .
وَمَا تَرَكْنِي أُلْبَغُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ مُلْكِهِ إِلَّا لِيَا ذَكَرْتُ .

فَأَمَرَ عَظِيمَ جَيْشِهِ أَنْ يَرْتَحِلَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . ثُمَّ خَرَجَ لَا يَلُوى
عَلَى شَيْءٍ ، وَأَطْلَقَ بَهْرَامُ . فَانْصَرَفَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ لَيْلاً . فَلَمَّا أَصْبَحَ ،

قَعَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ وَالْعِظَاءُ . فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرٍ عَدَوْنَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرُوهُ
بِانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّانِ ، ضَعِيفُ الْمُنَّةِ ^(١) .
وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتْ الْعِلَّةُ فِي انْصِرَافِهِ ^(٢) .

وَكَانَ كَسْرَى أَبْرِيَزَ ، بَعْدَ بَهْرَامِ جُورَ ، صَاحِبَ مَكَايِدَ وَخِدَعٍ فِي الْحُرُوبِ وَنِكَايَةٍ
فِي الْعَدُوِّ ^(٣) .

مكاييد أبروير

وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرَ بَرَّازَ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عَنْدهُ فِي الرَّأْيِ وَالنُّجْدَةِ ^(٤) .

(١٥)

(١) أَى الْقُوَّة .

(٢) نَقَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِالْحَرْفِ صَاحِبُ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ" (ص ٣٤ - ٣٨) ، وَلِخَصِّهَا صَاحِبُ "مُحَاسِنِ
الْمُلُوكِ" (ص ١٠٧) .

(٣) الْحِكَايَةُ الْآتِيَةُ نَقَلَهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدَ" الْمُنْسُوبِ لِلْجَاحِظِ ، وَفِيهَا تَحْرِيفٌ
كَثِيرٌ وَسَقَطٌ مُتَوَاتِرٌ وَأَضْطِرَابٌ فِي التَّعْبِيرِ (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فِي سَمِّهِ : شَهْرُ يَزَادَ . وَهُوَ تَصْغِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ، وَفِي صَمِّهِ : شَهْرُ يَارُوقَ . وَهَذَا تَحْزِينُ الْإَثِيرِ
هَذَا الْأَسْمِ بِفَعْلُوهِ شَهْرُ يَزَادَ وَشَهْرُ يَزَارَ ، كَمَا يَحْفُوهُ فِي نَسْخِ "مَرْوِجِ الذَّهَبِ" بِفَعْلُوهِ مِثْلُ صَمِّهِ شَهْرُ يَزَارَ
(وَقَدْ صَحِّحَهُ الْعَلَامَةُ بَارِيْبِيهِ دَوْمِينَارُ فِي تَرْجُمَتِهِ بِفَعْلِهِ شَهْرُ بَارَ لِيَكُونَ مُطَابِقًا لِلْأَسْمِ الْوَارِدِ فِي تَوَارِيخِ الرُّومِ) .
وَأَمَّا الصَّحِيحُ فَهُوَ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ . (أَنْظُرْ جَمِيعَ الْمَوْضُوعِينَ وَخُصُوصًا التَّعَالِيَّ فِي "غُرَرِ أَنْبَاءِ مُلُوكِ الْفَرَسِ" ^(١)
(ص ٧٠١) حَيْثُ أُوْرِدَ هَذِهِ الْقِصَّةُ) . وَأَنْظُرْ أَيْضًا الْإَثِيرَ . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وَقَدْ أُوْرِدَ قِصَّةُ
أُخْرَى فِي سَبَبِ انْتِقَاصِ شَهْرِ بَرَّازَ فِي الْخُدَيْعَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا أَرُوِيْزُ لِهَيْبَةِ مَلِكِ الرُّومِ عَنْهُ . (وَأَنْظُرْ "التَّنبِيْهَ
وَالْإِشْرَافَ" ص ١٥٦ و ١٥٧) .

وَقَدْ أُوْرِدَ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِرَوَايَةٍ أُخْرَى فِي "مُحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وَسَمَّى الْقَائِدَ "شَهْرَ بَرَّازَ"
عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ فِي الْمَتْنِ .

٢٠

(٥) فِي سَمِّهِ : نَكَاتٌ .

وَالْبَسَالَةُ وَيَمِينُ النَّقِيبَةِ. فَكَانَ شَهْرُ بَرَّازٍ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى مَلِكِ [الرُّومِ] قَرَارَ دَارِهِ وَأَخَذَ بِمُخَنَّفِهِ
 حَتَّى هَمَّ بِمُهَاذَنَدِنِهِ وَمَلَّ مَحَارِبَتَهُ وَطَلَّبَ الْكَفَّ عَنْهُ. فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ شَهْرُ بَرَّازٍ.
 وَأَسْتَعَدَّ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ بِأَفْضَلِ عُدَّةٍ وَأَتَمِّ آلَةٍ وَأَحَدَ شَوْكَةٍ. وَتَأَهَّبَ لِلْقَائِهِ فِي الْبَحْرِ
 بِجَافِهِ فِي جَمْعٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. قَدْ أَعَدَّ فِي الْبَحْرِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ
 وَكُرَاجٍ وَآلَةٍ وَطَعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالسُّفُنُ مَشْحُونَةٌ مُوقَرَّةٌ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ عَصَفَتْ
 رِيحٌ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي فَقَلَعَتْ أَوْتَادَ تِلْكَ السُّفُنِ كُلَّهَا وَحَمَلَتْهَا إِلَى جَانِبِ شَهْرِ بَرَّازٍ،
 فَصَارَتْ فِي مِلْكِهِ. وَأَصْبَحَ مَلِكُ الرُّومِ، قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْخَزَائِنِ وَالْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ. فَوَجَّهَ شَهْرُ بَرَّازٍ بِتِلْكَ الْخَزَائِنِ وَالْأَمْوَالِ إِلَى أَبْرُويزَ. فَلَمَّا
 رَأَى أَبْرُويزُ مَا وَجَّهَ بِهِ شَهْرُ بَرَّازٍ، كَبَّرَ فِي عَيْنِهِ وَعَظَّمَ فِي قَلْبِهِ. وَقَالَ: مَا نَفْسُ أَحَدٍ يُطِيبُ
 الشَّنَاءَ وَرَفِيعَ الدُّعَاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى الْفِعْلِ الظَّاهِرِ مِنْ شَهْرِ بَرَّازٍ! جَادَ لَنَا بِمَا لَا تَسْعُو بِهِ
 النُّفُوسُ وَلَا تَطِيبُ بِهِ الْقُلُوبُ! فَجَمَعَ وَزَرَءَهُ وَأَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ فَوُضِعَتْ
 نُصَبَ عَيْنِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَوْزَرَاتِهِ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْظَمَ خَطَرًا وَأَمَانَةً، وَأَحْرَى بِالشُّكْرِ
 مِنْ شَهْرِ بَرَّازٍ؟ فَقَامَتِ الْوُزَرَاءُ فَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا اللَّهَ وَشَكَرَهُ وَجَدَّهَ،
 وَأَثْنَى عَلَى الْمَلِكِ وَهَنَاءً، ثُمَّ ذَكَرَ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْمَلِكُ مِنْ يَمِينِ نَقِيبَةِ شَهْرِ بَرَّازٍ وَعَفَافِهِ
 وَطَهَارَتِهِ وَتُبْلِهِ وَعَظِيمِ عَنَايَتِهِ. حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا، أَمَرَ بِإِحْصَاءِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ.
 ثُمَّ قَامَ أَبْرُويزُ فَدَخَلَ إِلَى نِسَائِهِ. وَكَانَ لِلْمَلِكِ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ رُسْتَهَ، وَكَانَ سَيِّئِ الرَّأْيِ
 فِي شَهْرِ بَرَّازٍ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! قَدْ مَلَأْتُ قَلْبَكَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَصَغِيرٌ مِنْ كَبِيرٍ، وَتَافَهُ
 مِنْ عَظِيمٍ، خَانَكَ فِيهِ شَهْرُ بَرَّازٍ وَآثَرَهُ بِنَفْسِهِ. وَلَنْ كَانَ الْمَلِكُ، مَعَ رَأْيِهِ الثَّاقِبِ
 وَحَزْمِهِ الْكَامِلِ، يَظُنُّ أَنَّ شَهْرَ بَرَّازٍ أَدَّى الْأَمَانَةَ، لَقَدْ بَعُدَ ظَنُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَخَسَّ

(١) نصيبه . فوق [في] نفس أبرويز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أظنك إلا صادقاً . وما الرأي عندك ؟ قال : تكتب إليه بالقدوم وتوهمه أن بك حاجة إلى مناظرته ومشاورته في أمر لم تجز الكتابة به ، فإنه إذا قدم ، لم يخلف ما يملك وراءه ، إذ كان لا يدرى أيرجع إلى ما هناك أم لا . فيكون كل ما يقام به نصب عينيك .

فكتب أبرويز إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه لمناظرته ومشاورته في أمر يدق عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أرففه برسول آخر . وكتب إليه : "إني قد كنت كتبت إليك أمرك بالقدوم لأنظرك في مهم من أمري . ثم علمت أن مقامك هناك أقدر في عدوك وأنتى له وأصلح للكل وأوفر على المملكة . فأقيم وكن من عدوك على حذر ، ومن غزته على تيقظ . فإنه من ذهب ماله ، حمل نفسه على التلف أو القلج (٢) والسلام !"

وقال للرسول الثاني : إن قدمت فرأيت أنه قد تاهب للخروج إلى وظهر ذلك في عسكره ، فادفع إليه هذا الكتاب . وكتب : "أما بعد ، فإني كتبت إليك وقد استبطلت جواب قدومك وحركتك . وعلمت أن ذلك لأمر تصليحه من أمر نفسك أو مكيدة عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا خلّف أخاك على عمالك وأغذ السير ولا تعرج على مهم ولا غيره . إن شاء الله !" . وإن لم تره استعد للخروج ولا تاهب له ، فادفع إليه الكتاب الأول .

(١) في ص : "نفسه" . ولعل الصواب : "نصيبه" . قال في القاموس : "نحس نصيبه جعله خسياساً

دينياً حقيراً" . ولم ترد هذه الكلمة ولا التي قبلها في ص .

(٢) في ص : الفتح ، وفي ص : الحنف . وقد صححت بما في المتن ليكون المعنى أن الذي يذهب ماله يركب أحسن المراتب فيما أن يتلف وإما أن يظفر وينجح . لأنه يكون في حالة يأمر بحمله على المارة

فقدّم الرسول الثاني، وليس لشهر براز في الخروج عزم ولا خاطر، ولا همّ به. فدفع إليه الكتاب الأول. فقال شهر براز: أول كل قتل حيلة. وكان خليفة شهر براز بيباب الملك قد كتب إليه ما كان من قول رُسْتَه للملك وما كان من جواب الملك له. ثم نازعت أبرويز نفسه ودعاه شَرُهْبَه إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالقدوم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليوم باطنا، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أن نية شهر براز قد فسدت وأنه لا يقدم عليه، كتب إلى أخى شهر براز: "إني قد وليتُك أمر ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم. فإن سَلِمَ لك شهر براز ما وليتُك، وإلا فخاربه!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بحاربه إن أبى أن يُسَلَّمَ إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حيل ومكايد، وقد فسدت نيته لي ولك. فإن قتلتني اليوم، قتلك غدا، وإن قتلك اليوم، كان علي قتلي غدا أقوى.

ثم إن شهر براز صالح ملك الروم، لما خاف أبرويز، وتوثق كل واحد منهما من صاحبه، واجتمعا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتولى محاربه، فإنني

(١) هذه رواية ص. وأما سه فروايتها: بقدر

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأتمن. ومحصلها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرات، أمر الملك بعزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيتي. ثم أحضر درجا وأخرج ثلاثة كتب من كسرى بأمره فيها بقتله، وأطلعها عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فأعذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتفقا على مواقعة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أَبْصُرْ بِمَكَائِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : بَلْ أَقِمْ فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا مُحَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَّازُ : أَمَّا إِذَا أُيِّتَ عَلَيَّ فَأَنِّي مَصُورٌ لَكَ صُورَةً ، فَأَعْمَلُ بِمَا فِيهَا وَأَمْتِلُهَا .

ثُمَّ صَوَّرَ لَهُ كُلَّ مَنْزِلٍ يَتَرَلُّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُبْرُوزِ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، وَأَيَّ الْمَنَازِلِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِيمَ فِيهِ ، وَأَيُّهَا يَجْعَلُهَا طَرِيقًا وَسِيرًا مَاضِيًا حَتَّى إِذَا أَقَامَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كُلِّهِ عَلَى مِثْلِ وَصَحَّ النَّهَارُ ، قَالَ لَهُ : فَإِذَا صَرْتَ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَأَقِمْ ذُوْتَهُ وَلَا تَقْطَعْهُ إِلَيْهِ ، وَأَجْعَلْهُ مَنَزْلَكَ وَجَهْزُ جِيُوشِكَ وَعَسَاكَرِكَ إِلَيْهِ .

فَمَضَى مَلِكُ الرُّومِ نَحْوَهُ . وَبَلَغَ أُبْرُوزُ الْخَبْرُ فَضَاقَ بِهِ ذَرْعَهُ ، وَارْتَجَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَكَانَ أَكْثَرُ جُنُودِهِ قَدْ تَفَرَّقُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ ، لِقَطْعِهِ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَجِبُ لَهُمْ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ . فَبَقِيَ فِي جُنْدٍ كَالْيَتَامَى أَكْثَرُهُمْ هَزَلًا^(٢) أَضْرَاءً .

وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ يَعْمَلُ عَلَى مَا صَوَّرَهُ لَهُ شَهْرَبَرَّازُ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى النَّهْرَوَانِ ، عَسَكَرَ هُنَاكَ وَأَسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ أُبْرُوزَ . وَقَدْ بَلَغَهُ قَلَّةُ جُمُوعِهِ وَتَفَرُّقُ جُنُودِهِ وَسُوءُ حَالِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ . وَكَانَ فِي أَرْبَعَائَةِ أَلْفٍ ، قَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْفِجَاجُ وَالْمَسَالِكُ ، فَطَمِعَ فِي قَتْلِ أُبْرُوزَ وَلَمْ يَسْكُ فِي الظُّفْرِ بِهِ .

فَدَعَا أُبْرُوزُ رُجُلًا مِنَ النَّصَارَى ، كَانَ جَدُّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى جَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَنْقَذَهُ مِنْ الْقَتْلِ أَيَّامَ قَتْلِ مَانِي ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ . فَقَالَ لَهُ أُبْرُوزُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا تَقْدُمُ مِنْ أَيَادِينَا عِنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . قَالَ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَإِنِّي لَشَاكِرٌ ذَلِكَ لَكَ وَلَا بَأْسَ . قَالَ : نَخَذُ هَذِهِ الْعَصَاوَامِضَ بِهَا إِلَى شَهْرَبَرَّازَ ، فَأَتِيهِ فِي قَرَارِ

(١) ضمه : ومدراته .

(٢) أى اضطرب .

(٣) أى مهزلون مَرَضَى . [والذى فى سمة : هزلا وضرا] .

مَلِكُ الرُّومِ، فَأَدْفَعَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ . وَعَمِدَ إِلَى عَصَا مَثْقُوبَةٍ، فَأَدْخَلَ فِيهَا كِتَابًا صَغِيرًا مِنْهُ إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا وَأَسْتَوْدَعُكَ الْعَصَا . فَإِذَا جَاءَكَ، فَخَرِّقْ دَارَ مَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَأَقْتُلِ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَسْبِ الذَّرِّيَّةَ، وَأَنْهَبِ الْأَمْوَالَ، وَلَا تَرُكَنَّ عَيْنًا تَطْرِفُ وَلَا أُذُنًا تَسْمَعُ وَلَا قَلْبًا يَعِي، إِلَّا كَانَ لَكَ فِيهِ حُكْمٌ . وَأَعْلَمُ أَنِّي وَاشْتُ بِمَلِكِ الرُّومِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فليكن هذا وَقْتُكَ الَّذِي تَعْمَلُ فِيهِ مَا أَمَرْتُكَ ."

قَالَ: وَأَمَرَ لِلنَّصْرَانِيِّ بِمَالٍ وَجَهَّزَهُ، وَقَالَ: لَا تُعَرِّجَنَّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تُقِيمَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا . وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَدْفَعَ الْعَصَا إِلَّا إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ، مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ!

ثُمَّ وَدَّعَهُ وَمَضَى النَّصْرَانِيُّ . فَلَمَّا عَبَرَ النُّهْرَ وَأَنَّ، أَتَفَقَّ أَنْ كَانَ عُبُورُهُ مَعَ وَقْتِ ضَرْبِ النَّوَاقِيسِ . فَسَمِعَ قَرَعَ عَشْرَةِ آلَافِ نَاقُوسٍ أَوْ أَكْثَرَ، فَأَنهَلَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: يَأْسُ الرَّجُلُ أَنَا، إِنَّ أَعْنَتُ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَأَطَعْتُ أَمْرَ هَذَا الْجَبَّارِ الظَّالِمِ!

فَاتَى بَابَ مَلِكِ الرُّومِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ . فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ أُبْرُوزَ حَرْقًا . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْعَصَا، فَأَخَذَهَا وَنَظَرَ فِيهَا . ثُمَّ أَسْتَخْرَجَ الْكِتَابَ مِنْهَا فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَخَرَّ، وَقَالَ: خَدَعَنِي شَهْرُ بَرَّازٍ! وَلَئِنْ وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَيْهِ، لَا أَقْتُلَنَّهُ!

وَأَمَرَ فَقَوَّضَتْ أُنْبِيَّتُهُ مِنْ مَسَاعِدِهِ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . وَخَرَجَ مَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ.

وَوَجَّهَ أُبْرُوزُ عَيْنًا لَهُ يَحِيطُ بِهِ بِخَبْرِهِ . فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ مَضَى مَا يَلْتَفِتُ لَفَتَةً . فَضَحِكَ أُبْرُوزُ، وَقَالَ: إِنَّ كَلِمَةَ وَاحِدَةٍ هَزَمَتْ أَرْبَعًا أَلْفَ جَلِيلٍ قَدَرُهَا وَرَفِيعٌ ذِكْرُهَا!

(١) وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَتَفَقُّ مِنَ الرَّمْيَةِ، كَلِمَةُ خَفِيَّةٌ. ("المقدّم" ج ١ ص ١٦٥)

الكتاب

وإذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنختم كتابنا بهذا ذكر من بعثنا على نظمها، وكان مفتاحا لتأليفه وجمعه.

ولنقل أنا لم نر في صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية قتي اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، فحاز الولاء من هاشم والخليفة^(١) من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الأمير الفتح بن خاقان مولى أمير المؤمنين.

فلتهنئه هذه النعمة المهداة! وبارك له واهبها، وزاده إليها الدأب عليها حتى يبلغ به أرفع يقاعها وأسنى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره ونكباته وعثراته! فإنه رحيم كريم!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومبلم تسليما كثيرا!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

١٥

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

تكميل

لبعض الروايات والملحوظات الانتقادية التي وضعتها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم المحافظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن المحافظ نعت فيه بلقب
"الباس" ووصف مقداراً كله ، وما ذا كان يصنع إذا أجهده الكفلة . كذلك أين أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأثول وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلاً من
"التراس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محترمة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابتها نجد أنها كلها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التعريفات مصدرها إهمال النساخين المأخزين .

٢ - أورد المحافظ ذكر "قامم الثمار" وبعدها وبالعيب به في كنيه . وقد وصفه بطول البقي ،
وأشار إلى بعض نوادره وأحواله ، هو وأبنة ، التي كان شرشيه بأبيه .

ويستفاد من كلام المحافظ أنه كان معاصراً له .

أنظر كتاب "التربيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصاً ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البغلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦
بأكلمهما) ؛ و"المحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم التمار) .

٣ - ذكر المحافظ "أبا همام السنوط" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السنوط ،
ورصفه بالأكال . وقد ذكره أيضاً في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٥٥) .

٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف" أي ابن الشاعر الشهير بابن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عرضا في "وفيات الأعيان" لابن خلكان فقال عنه : "وهو الأكل المقدم في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٥٣١ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن المرات) .

٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضا "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميناه "هلال بن الأسعر" . لأن صحة اسمه بالسین المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - ر زم - وأنظر ترجمته في "الوفيات") . وهو هو الذي سميناه في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسعر" والغلط من الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .

٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسما جديدا يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلا واحدا . فإن تحريف "عبيد" إلى "عنبسة" ليس ببعيد .

٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسما جديدا آخر ، وهو "أبرخارجه" الذي روى لنا الجاحظ أخباره وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .

٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزودا" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مُزَرَّد" وهو لقب ضراد بن الشماخ . والتحريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم ينجرينا بأنه من الأكلة .

٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأكلة" للدايني - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالا وأخبارا تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرفنا الملاحظ إبراهيم بن السدي بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وعامة جُند الخلافة" إنه "كان عالما بالدولة شديداً لحبّ لأبناء الدعوة وكان نظم المعاني ، نظم الألقاظ . لو قلت : لسانه كان أردّ على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شبر وثمان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .
وعرف به الملاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لا نظير له ، وكان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان قنياً ، وكان عروضياً وحافظاً للحديث ، راوية للشعر ، شاعراً . وكان نظم الألقاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل في الخراج يعمل زاذان فروخ الأعور . وكان منجاً ، طيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وطالما بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيما عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول الملاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاء على خراسان : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً . فلا تُكَلِّفْ على مذر مني لك ، فقد أتكلت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك . فإن الفلن إذا أخلف منك ، أخلف مني فوك . وأنت في أدنى حظك ، فأطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك ، فلا تريحن نفسك . وكن لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غذك ، تسعد . إن شاء الله !
(البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد روى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) قصة الرجل الذي أراد ما يورث أن يتمتع قبل أن يوليَّ قضاء القضاة .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أورده من البيانات بخصوص الآين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات في كتاب "البغلاء" طبع ليدن فقال :

١ - الآين فيأمنن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المأران تبدأ أنت تسلم فأقول أنا حينئذ مجيأ لك : وعليكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت آكل ، فهما آين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فتقول : ههنا ! فيكون كلام بكلام . فاما كلام بفعل ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحضار الجندى إنما هو شئ . من آين الموائد الرفيعة . وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة اليسر والفراخ ، وإنه لم يحضر للتزويق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) قلا عن الفهرست أن أحمد بن محمد ابن نصر الجيهاني ألف "كتاب آين" و"كتاب الزيادات في كتاب آين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردها الجاحظ بنصها ونصها مع زيادة كلمتين فقط (في "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٣٢) . ثم أوردها أيضا في كتاب "البغلاء" (ص ١٩٣) :

وعنه نقلها ابن عبد ربه في "المقد الفريد" بدليل نقله أيضا للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع آخر من باب الاستطراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضيق إلى ما كتبته عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الجاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً ، فرأى الناس
قد استحسنوا كلامه ، فقال لهم : " لا يفتكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا " .

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب " البخل " (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩)
حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم ، وتفضيل الكرم .

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أئمة الناس وأحسنهم حديثاً . وكان راية علامة ،
شاعراً مفلحاً . وكان من رجال الشيعة . لما استنطقه الججاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا .
وكان يقول : ما أمكنني وإل من أذنه إلا غلبت عليه ، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة) .
وكان عليه متحابلاً . فلما بلغه أنه (أي الججاج) وهقه (أي بلالا) حتى رقت ساقه وجعل الوتر في خصيه
أنشأ يقول :

لقد قرعني أن ساقيه رقت * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى

بجئت وراجعت الخيانة والنخا * فيسرك الله المقدس للمسرى

فاجذع سوء نرب الدوس جوفه * يعالجسه التجار يبرى كاسبرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى ، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون .

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (شافية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال "بصرت بفهد على قاذب غلوة ، فسعيتُ إليه ، وأنا أسواركا تعلمون . فوالله ! ما أخطأتُ حاققَ لهزيمة حتى رزق الله عليه الظفر" .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

نما يجب تعليقه على ما رواه الجاحظ بخصوص تهاون الأمين إبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البدائنه" روى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كثر ، خادم الأمين ، لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم غرب ، فخرجه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يتالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجلى ضربوه !
أخذ الله قلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجيزُ البيتَين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال :

ما لئن أهوى شيه ، * فبه الدنيا تنه !
وصله حلّو ، ولكن * هجره مرّ كريد !
من رأى الناس له الفضل عليهم ، حسدوه !
مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أخوه .

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظـة "بأر" ما أورده الجاحظ في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٣٧) وهو :

قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أمي، تلـسـير قـبـيل !
فن ذا الذي "يئأى" على بخاله، * وخالي على ذوالندى، وعقبـل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب بأسم "السرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فوسكال"
قديمًا، والأستاذ "شويتفرت" الموجود الآن .

قال الأول : CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, farinosi.
Descr. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra,
obtus, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes
tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore
revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fra-
medium.

Arab. Asal. aliis Korrah vel Saerah سرح Usus antitoxicus : dum rami
recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, *Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabica* : pp. 68)

وقال الثاني مانعه : Sserahh. Saerah سرح 140 Cadaba c) farinosa Forsk.
(Schweinfürth G., *Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien
und Jemen* : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نجم أى شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الملاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعمامته (في "البيان والتبيين" ج ٢ ، ص ٧٧٠) فقال مانصه : " وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص^(*) إذا أعم بمكة لم يعم معه أحد . هكذا في الشعر . ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمتم ، * بمكة غير مهتم ذميم .
إذا شدد العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والخصوم ،
فقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم .
وكان البندري غداة جمع * يدافعهم بلقمان الحكيم .
هو البيت الذي بُنيت عليه * قریش السرى في الرمن القديم .
وسطت ذوائب الفرعين منهم ، * فانت لباب سرهم الصميم !^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان الزياتي أنه . كان "فاضيا فاضلا ، أدبيا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب ويؤمل له ، وكانت له خزانة حسنة كثيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع وثمانون سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازي عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأمهات . (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠) .

(*) يدل ذلك من ناسخ الكتب وطابعها فيقولون " العاصي " في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من "العوص" لا من "العصيان" . ولذلك يقال لهم "الأعياص" (راجع "الأشتقاق" لأبن دربد و"لسان العرب" وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب) .

(١) البندري ، الحسن المثنى والحشم . (أنظر لسان ج ٥ مادة - ب ح ت ر -) .

(٢) أي توسطت فكنته ، أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أومنتى عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثانية من ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر
أن المتوكل قتل أبا حسان الزياتي هذا قضاء الشرقة ، أن المقصود هو إقليم الشرقة بدار مصر . ذلك خاطر
سبق إلى رمي ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقة التي تولى قضاءها أبو حسان الزياتي هي أحد شق
بغداد . وقد وصفها يعقوب (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : " وأما سميت الشرقة
لأنها قُدرت مدينة للهدى قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول الهدى في الجانب الشرق
من دجلة . فسُميت الشرقة ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يُجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد
الذي يجلس فيه قاضي الشرقة " . (أنظر كتاب البلدان لليعقوب طبع لندن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا " التايغ " بقوله : فالتايغ ، لا يثنيه زجر وليست له غاية
دون التاف . (كتاب " البغلاء " ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الجاحظ " في البيان والتبيين " أيضا (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبي في " البيان والتبيين " (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد " تناهدا " بدلا من " تناقدا " التي في طبعتنا قلاعن ص . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتر)

روى الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المؤمن وبين سعيده بن سلم بشأن استحسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦ ، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا عبرة به) .

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى ، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية . (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المختص" لابن سيده شرح "السهم العائر، والسهم القرب" (ج ٦ ص ٧٦) . [وأنظر عن "السهم القرب" ما أورده في صفحة ١٩٤ عن تكميل صبعة ٤٣ ص ١٠] .

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر المجلد ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصا وعالما بينا وعالما بالأخبار والآثار . وقد سباه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلي" ونقل عنه هذه الكلمة : "إذا جمع الطعام أربعة ، فقد كل ؛ إذا كان حلالا ، وكثرت عليه الأيدي ، وسمى الله على أوله ، حُمد على آخره . . . ف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيبا قاصا وعالما بالأخبار والآثار ؛ وأنه لما نظر أهمل الكوفة قال : "لنا الساج والساح

والدياج والخراج والنهر العجاج". وقد روى الجاحظ هذه الكلمة في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : "نحن أكثر منكم عاجا وساجا ودياجا وخراجا" ، ونسبها للأحنف بن قيس فيما تحربه على أهل الكوفة ، ثم قال الجاحظ : ويقال إنها من كلام مالك بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الجاحظ هذه الكلمة في كتاب "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه اقتصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على التلخيص التي كتبها عن روح بن زنباع ما رواه الجاحظ من أن معاوية هم به فقال له روح : "لأنسيتن بي عدوا أنت وقتي^(*) ، ولا تسوان بي صديقا أنت سرته ، ولا تهديمن مني رثا أنت بئته ! هلا أتى حليك على جهل وإساءة ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧ : ١٤٠) التي أستمع بها الناس لمباينة مروان بن الحكم بالتخلية (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) . [البيان ج ١ ص ١٨٠] كلمة عبد الملك بن مروان التي نقلناها عن "العقد الفريد" في تلك الحاشية . فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد أخذها عن الجاحظ .

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته عن أسماء بن خزيمة الفزاري أن الجاحظ بن يوسف الثقفي لما بلغه موته ، قال : "هل سمعتم بالذي طاش ما شاء ثم مات حين شاء ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ ، ١٧٧) .

(*) وقتي أي قهرته وأذلت . [حاشية عن طابع "البيان والتبيين"] .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

- ١ - المقرب تقع في يد السور، فيلب بها ساعة من الليل، وهي في ذلك مسترخية "مستخذية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .
- ٢ - ولولا أن الأبت [هو البعث] على حال يعلم أن الصقر... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة، لما "استخذى" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .
- ٣ - ولولا أن الحرثين في الحرب خاية الإيمان ثم لحقت [الحرث]، لعلمت وهو "مستخذ" (ج ٧ ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أنوشروان لمن خانه في حريمه . والمبارتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النص الوارد في روايتنا قد استوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة نان فلويز من ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٣)

أولا - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء ووصفه بأنه "حكيم بن أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدل على أنه كان منقطعا إلى الكيمياء . أما الجاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، ونصيبا جامعا ، جيد الرأي كثير الأدب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . " (البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزيد على ذلك أن هذا الأمير كان مرشحاً للخلافة ، فلما حوِّرها أقطع لخدمة العلم والأدب ، فأبقى لنفسه
نحراً باقياً على مدى الأبد .

وليت امرء الشرق في هذا العصر يقتدون به ، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم !!!

ثانياً - أنظر أيضاً مكاتبات عبد الملك بن مروان ومروان بن - يد الأشدق (في "البيان والتبيين"
ج ٢ ص ١٨٥) ، وتلقيب سيد بلطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤) ، وأسباباً لطيفة في تسميته
بالأشدق (ج ١ ص ١٩١) .

ثالثاً - ذكرت في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذئبان قتل لعلم الشيطان" . وأعلم أن
"أبا ذئبان" هو كما في "لسان العرب" (لقب غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، لفساد
كان في فقه . والعرب تكنى الأبحر "أبا ذئباب" وبعضهم يكتبه "أما ذئبان" . قال الشاعر مشيراً إلى هشام
ابن عبد الملك بن مروان :

لَعَلَّ إِنْسٍ مَالَتْ بِهَا الرِّيحُ مِيلَةً * عَلَى ابْنِ أَبِي الدُّبَّانِ ، أَنْ يَتَدَمَّأَ .

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبحر : أبو ذئبان . وكانت -
فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنه قول ابن خرابة :

أَمْسَى أَبُو ذَيْبَانَ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَارِحٍ مِنَ الرَّسَنِ .

وقد صفت يعبتنا لأبن الحسن" .

هذا ، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "لعلم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥) ، كما أن بافوت
ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن شعف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق
وبلطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتعريف فيها كثير . وصحة اسم هذا الشاعر هو "أبو خرابة"
بالحاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين نرجحوا مع أن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان
(أنظر "الأغانى" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المشتبه" للذهبي ، طبع ليدن ، ص ١٦٠) .

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك بن عمرو بن سعيد :

كَانَتْ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ يَقْتُلُونَهُ * بَنَاتٌ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى سَقَرِ
[أى إن هذا من العجيب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته وشكله ، فقال :

لله بستانٌ حَلَّيْنَا دَوَّحَهُ * فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا !
والبانُ تحسبه بستانياً رَأَتْ * قاضى القضاة ، فَنَفَّسَتْ أَذْنَائَهَا !
(بدائع الزهور لابن عباس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :

الرَّهْيَةُ الرَّهْنُ ، وَالْمَسَاءُ لِلْبَالِغَةِ ، كَالثَّيْمَةِ وَالشَّمِّ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَا بِمَعْنَى الْمَرْهُونِ .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تَحْمَسُ الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠) مانعه : "فإن قول في فرس تَحْمَسُ تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبار الموكب قد حال بين أسنانه بعضهم لبعض ، وليس في الموكب يجزوا رَمَكَةً ، فيلتمت صاحب الحصان فيرى يجزوا أَوْ رَمَكَةً عَلَى قَابِ عِرْضٍ أَوْ عِرْضَيْنِ أَوْ غُلُوَّةٍ أَوْ غُلُوتَيْنِ ؟ حَدَّثَنِي : كَيْفَ شَمَّ هَذَا الْفَرَسُ تِلْكَ الْفَرَسَ الْأُنْثَى ؟" .

ففي ذلك تأييد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحى كلمته هناك . وكأننى كنت أنظر بنور الله إلى هذا الشرح حينما أوردتُ حكاية قايىباى ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسaire سعيد بن سلم للخليفة الهادي بنفس الفاظها التي أوردها في "التاج" وقال : إن الخليفة نعتته بـ "الخان" (البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا النعت ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طويس المنفي لبعض ولد عثمان بن عفان (أعني هو سعيد ابن عثمان بن عفان) ثم صق عليه بقوله : ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسن ذلك . [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن امتحان أرويز لرجاله في حفظ الحُرَم . والبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عندنا قد أخذت حطها من العناية في التصحيح .

(أنظر "المحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلوتر بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القارئ على بعض المرامن التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف باسم "النو بهار" .
وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله العمري تكلم عنه في " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " (ح ١ ص ١٦٦ ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلتها بالفتورغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيخ ، الموجودة الآن بخرانة طوب قبر بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) و صفحة ١٠٣ (سطر ٦)

للمساحط شرح لطيف على قولهم : " المغبون لا محمود ولا مأجور " . (أنظره في تخاب " البخلاء " ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجعد بن درهم بحسب ما وصل إليّ أجهادى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرتُ فيها على شيء من هذا القيل . ثم رأيتُ ترجمته في " شرح العيون " لابن نباتة (ص ١٥٩) فأحييتُ للنظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة لا يحتوي على شيء يذكر أكثر مما أتيتُ عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن اسم " سليم بن مجالد " اعتماداً على رواية حمزة ، وأشارت في الحاشية إلى أن صاحب " المحاسن والمساوى " قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجالد " . وأنا أضيف الآن أن ابن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن والمساوى " أى " سليمان " وقال إنه " مولى بنى زهرة وكانت له من السفاح منزلة عظيمة " (وأورد تفصيلات أوفى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجالد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الملاحظ نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معاوية وبين قيس ابن سعد بن عباد أمير مصر من قبل علي بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ون خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، قفرة ضلالة، وبطشهم بطش جهرية. يأخذون بالغلّة، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، يأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها." (عن "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥) :
وقال أيضا: أثر الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع تناء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصدق وقيام بحق الجار". ("اليان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "أبن دأب" ما رواه الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبتها عن علامات الانصراف ما أورده الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أضف إلى شرحي لكلمة "محصرة" قول ابن سيده: "المحصرة ما يُشِيرُ به الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد وثق هذا الموضوع حقه في "كتاب العسا" الذي أدمجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانعه: "كانت المحاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر:

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحِهَا عَبَقٌ * يَكْفُفُ أَرْوَاحَ فِي مِرْنِيَّتِهِ شَتَمٌ^(١).

وأظرفية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله: لأن الملك لا يختصر إلا بعود لذن ناعم.

وأنظر أيضا كتاب "العسا" لأسامة بن منقذ، وقد طبعه العلامة هرتوفغ درنبرغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mounkidh, *un émir syrien aux premiers siècles des croisades*.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قريش "عروة بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عروة بن أذينة" . وقد علط صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في التخلیط مع أن شبحه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقيق أن "عروة بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعة ليبسك ص ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٩٢، ٥٩٣) .

أما "عروة بن أذينة الشاعر" ، شاعر قريش ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغاني" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأرواح: الذي يروعك ويعجبك لحسه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السكبة" أن صاحب بدائع البدائ (ص ٢٢٧) قد أنشد لابن قلاؤس الإسكندري مرتجلاً :

أنا الفقيه يطبخية * وسكبة قد أجيدت صفالاً،
فقطع بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالاً .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن، ثم ح ١)

اتفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد ينام فيه الملك . وكنت أثرت استعمال "الحاوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأول أفضل . لأنه وارد في جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللفظ لا تمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملال وشهوة الاستبدال في كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفا لطيفا عن ابن أبي عتيق في الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قارن ما كتبه الجاحظ في "التاج" عن رأى الناس في المشهور المتداول بما أورد في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابة ويندج في ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ١ و ٢)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس فلفام بن الحارث "كان يتغلف" ويتغلف أصحابه بالغالية، فُسِّمَ "تغلفاء" بذلك "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ١٦١).
قال في الصمّاح "وتغلف الرجل بالغالية وتغلف بها لحية تغلفاً، ومعد يكرب بن الحارث بن عمرو أخو شريحيل بن الحارث يُلقَّبُ بالتغلفاء لأنه أول من تغلف بالمسك، زعموا". ونحوه في "اللسان" (ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١).

يضاف على السطر الثالث منها أن ابن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).
هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة". [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من "معجم الأدباء".]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القيل بالأندلس، مع علم الخاص والعام بغرامى بهذا القطر ومن كانوا فيه. فرأيت أن أتلافى الآن ذلك الإهمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير (المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفصيل الوافي في فتح الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة ليدن؛ وفي كتاب بنية الملتبس للضبي طبع مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب النكلة لكتاب العسلة لأبن الأبار، طبع مدريد، ص ٩٠؛ وفي كتاب المدارك للقاضي عياض، الذي أشار إليه صاحب فتح الطيب). ومثل ذلك ما وقع أيضاً لمندرين سعيد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبار هذا القاضي مشهورة بتجده المعجب والمطرب منها في الكتب المذكورة... بمراجعة فهارسها) وأنظر على الخصوص فتح الطيب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠) وما يليها.

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أُتقِر ما رواه المُلاحِظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة يهرام وفروسيته في صيد الخمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "الطير" و"الطيرزين" :

١ - أن ابن جرير الطبري الشير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني لياخذ عنه حديثاً في القياس . فأفاده أبو حاتم ، ثم سأله عن بلده ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة . "وكانت أرضاً ذات شجر ، فاتمسوا ما يقطعون به الشجر . فجاءوهم بهذا الطير الذي يقطع به الشجر ، فسوّى الموضع به" . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٢٨٤) . وقد ذكر المُلاحِظ "الطيرزين" و"الطيرينات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرن الخامس للهجرة فأطلقوا لفظة "طير" على السلاح جملة . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد العم ومبيد النعم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطيردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السطان لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام المُلاحِظ نفسه أن التباين عندهم كان هو الطاهي والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام لمخدوميه .

قارن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . واعتبر كلامه في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب تقول للرجل الصانع ... حَبَّاراً ، إذا كان يطبخ ويعجن" . وقد قال في الجزء الخامس منه (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الحَبَّارون المذاق قد تركوا

الضأن ، لأن المعزيتي شحمه ولحمه فيصلح أن يسمَّ مرَّاتٍ ، ويكون أرْبَجَ لأصحاب العُرس “ . وأنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السندي الذي اشتراه ثَمَامَة [بر أشرس] ثم قال عنه للمُلاحظ :

”إنه أحسن الناس خبزا وأطبِخهم قَدْرًا “ .

وررد في كتاب ”البَلاء“ للمُلاحظ :

١ — إنك لتغالي بالخباز والطباخ والشوّاء والخبّاص [أى الذى يصنع الحبيصة] (ص ٧٠) .

٢ — قَرَبَ خبازُ أسد بن عبد الله — وهو على خراسان — شواء قد نضجه نضجا ، وكان يعجبه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أتظن أن صنيعك يخفى على ؟ (ص ١٦٠) .

٣ — جاء الخبازون فرفعوا الطعام (ص ١٦٤) .

فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين ، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر المُلاحظ البرماورد في كتاب ”الحيوان“ فقال : والدجاج أكثر اللحوم تصرفا ، لأنها تطيب شواءً ، ثم حارًا وباردًا ، ثم تطيب في البرماورد (ج ١ ص ٩١) . ثم قال في موضع آخر : إن ”أهل خراسان يُعجبون بأُتْحَاذ البرماورد من فراح الزناير ، ويمافون أَدْنَاب الجرّاد الأعرابي السمين “ . (ج ٤ ص ١٥) . ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف برماورد الزناير حينما كان واليا على خراسان . فلما عاد إلى بغداد كان يشتهيها ، فطلب له من كل مكان . وحكى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير ، وقد عيره الدماء بأكل الجرّاد الأعرابي . ثم مالبث الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحفة ملاءة من فراخ الزناير ليتخذوا منها برماوردا للأُمير . فخرج البدوى وهماهم بأبيات ، تراها هناك .

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضا التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

ماني الثنوي هو القائل بالنور والظلام . والطالب يرى ترجمته في "سرح العيون" (ص ١٥٥) .
والقائلون بمذهبه يسمون "مانينة" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Manichée, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطبعة طفيعة وردت في المتن وبعض الحواشي ، رأيت وجوب استدراكها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	ويتسع ، ويقصر ويجتهد	ويتسع ، ويقصر ويجتهد
٢٤	١٠	بخطبة ...	على مخاطبة
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا ...	وجاؤوا
٤٧	٨	حق ...	حين
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعتنا	ص ٢٥ من طبعتنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات ...	حالات
٧٨	١٤	تلب ... تكون	تلب ... يكون
٧٨	١٥	قدأما ...	قدأما
٩٨	١١	خلوا ، تذاكروا	خلوا ، تذاكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	السفلة ...	السفلة
١١١	١	الرويدة	الزريدة (١)
١١٦	١٢	يقرون ...	يقرون
١٢١	٩	بجارج ...	بجارج
١٢٥	١٢	أراد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	٣٤١	عزل ...	عزل (٣)

(١) هذا التصحيح عن النسخة الحلبية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية
سـ ، صـ بمقتضاء ، أى نحمل بدل " الرويدة " لفظة " الزريدة " بطريق التصغير والتحقيق لكلمة
" الزيدة " (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .

(٢) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . والعُرس يسمون بهذا الاسم ، ومعناه " الرجل الحر " .

(٣) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . وهو وجيه جدًا ومنحتم يقضى به السياق .

استدراك^(١)

لليهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات

التي انفردت بها دون نسختي سـ ، صـ .

(الكلمات الزائدة في الحلية أدجنها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبيها على موقعها)

- ص ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية التي في آخر سورة "الأنعام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف المافظ عثمان) ليس فيها لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلية قوله تعالى في سورة "فاطر" : "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٣٥) وهي غير الآية التي يريدنا بالمحافظ ، وليس فيها عمل الشاهد الذي نوهنا .
- ص ٤ س ٤ "أى لئاه" بدلا من "قال كنياء" . [وما أعتمدناه هو الصواب كما تراء في تفسير الرازي وغيره] .
- ص ٥ جميع الوارد في هذه الصفحة ناقص في سـ وهو موجود في الحلية مثل ما هو في صـ ، مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلي .
- ص ٧ س ١ إقتصار صاحب الحلية على ترجمة الباب بقوله "في الدخول على الملوك" ثم ابتداء الكلام بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب للكل إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن يقف" . [وعندي أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا ولذلك أعتمدته في فذلكة المضامين] .
- ص ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل سـ] بدلا من "عبد الرحمن" [الذي أعتمدناه عن صـ] .
- ص ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسماعق" . [فكان ناسخ الحلية آتفق مع ناسخ سـ إلا في وضعه لفظة "الملك" في موضع البياض الذي تركه صاحب سـ ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

(١) أنظر صفحة ٦٢ من التصدير .

- ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سيما" فقد توافقتا مع الحلية في إضافة أداة النفي. ولكن الحلية عادت فأهملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيما" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آتفت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية ٤ ثم ص ٤ ص ١٥٧] .
- ص ٤٦ س ٨ لا يمسوا طيبا يتطيب به الملك دونهم ... [وهذه الزيادة في الحلية جميلة لتخصيصها نوع الطيب الذي يستعمله الملك] .
- ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين المملوك والسوقة فرق" .
- ص ٤٨ س ٢٩١ "وإبراهيم بن المهدي" وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد "بدلا من" وهذا إبراهيم بن المهدي بالأسس دخل على ابن أبي دؤاد. [فاتفق سه و صه على أن الداخل هو إبراهيم ابن المهدي بخلاف ما جاء في الحلية . وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة ، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها . ولا شك أنه تخوف دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما انتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة] .
- ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وأن" ...
- ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حد العدل على الخاصة" بدلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة" ... [ورواية الحلية أحسن وأمتن] .
- ص ٥٠ س ١٠ "هذه النصال منه" بدلا من "هاتان منه" ... [وعندى أن رواية الحلية أكثر حسنا وأتم بيانا] .
- ص ٥٠ س ١٣ "ولا يته اللهم إلا أن" ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلية في غاية الجمال] .
- ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب" ...
- ص ٥١ س ١١ "الأمة" بدلا من "الملة" . [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأئمة" الواردة في سه . وقد استحسننت "الملة" الواردة في صه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ] .

- ص ٥٢ س ١ "غيره" بدلا من "السوقة" "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهاتان الروايتان أحسن مما اعتماداه من سـ و صـ].
- ص ٥٣ س ١٣ و ١٤ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقرم وأشهى منها إلى فوائد". [ولا شك أن رواية الحلية محترمة ومرواياها "أقرم وأنهم إلى فوائد". وأنظر الحاشية رقم ٢].
- ص ٥٨ س ٣ "فارتاع من حضر" بدلا من "فارتاع ومن حضره".
- ص ٦١ س ٩ "يق" بدلا من "يتق".
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السخافات كثيرة في الحلية].
- ص ٧٢ س ١٠ "(باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك ربطاته". [وهو تقسيم وجيه لطيف ، ويجب اعتمادها في طبعتنا].
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".
- ص ٨٧ س ٢ "باسم غير اسمه أو أسم أبيه" بدلا من "باسم أبيه". [ورواية الحلية أكمل].
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن [لا]". [فكانت زيادتنا لحرف النون موافقة لما في الحلية].
- ص ٩٥ س ١٥ "النبالة" بدلا من "النالة". [وهذا التصحيح فيه تباله من الناصح].
- ص ٩٦ س ٣ "فأنتن بعض الملوك" .. [وهذه الزيادة سخيفة ، وهي توجد في سـ أيضا . والرواية المتبعة هي الواردة في صـ ، وهي التي اعتمادناها في الطبع].
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نساء اللواتي" بدلا من "إلى بستانه الذي".
- ص ٩٨ س ٢ "النبالة" بدلا من "النالة" [وهو تباله فان من ناصح الحلية].
- ص ٩٩ س ٩ "نبتة لعلة صلح بخلافها ومن فسدت نبتة لغير لعة" [ورواية الحلية رجيحة هذا رواجية . فينبى اعتمادها في طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا التغافل" بدلا من "السرو التغافل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا
- ص ١٠٦ س ٥ "وجاوزوا بالراس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ ققام" [وهذه الزيادة يقتضيها السياق . فلتعتمد في طبعنا].
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقمعد فوب [> > >] .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله"
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخفاوة والسلطان" بدلا من "والخفاوة عند السلطان". [ولعل رواية الحلبة أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سره ، صرعه فعناء الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فيتواطآن على كذب" بدلا من "فيتواطآن".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن ورائه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه"
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى". [ورواية الحلبة حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "هلال الممذاني" بدلا من "مهامل الممذاني". [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "وقد". [فتصحيحنا جاء موافقا لما في الحلبة].
- ص ١٣٥ س ٣ "كردى" بدلا من "كربى". [ورواية الحلبة أقرب للصواب وإنما ينقصها التصغير للتحقير].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولله لا يجد" [وزيادة أداة النفي هنا وجبة ومتحسنة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أغس الملك". [ورواية الحلبة جيدة والاصح اعتمادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك قريبا عنده ^٢

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نهبك" . [ورواية الحلبي مغلطة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها وادت فسمته عيسى بن نهبك] .
- ص ١٤٣ س ٩ "لشيء هو فيه لم ندر" بدلا من "لشيء آخر لا ندرى" ...
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "مشاهدة أو مسافة" . [وسخاطة الحلبي ظاهرة] .
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المون" .
- ص ١٤٧ س ٤ "موانيد" بدلا من "موايد" .
- ص ١٤٨ س ١٥ "يُجَدِّدُه ... يجَدِّدُها" بدلا من "يُخْلَعُه ... يَأْدِيها" .
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجود أنهم المشاق" بدلا من "وجود القرم النهم المشتاق" .
- ص ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيبته" بدلا من "لذة الطعام وأطيبه" . [ورواية الحلبي أطيب] .
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة" . [ورواية الحلبي أحسن] .
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة" فأما هذان اليومان فلم يكن يشرب فيهما برة" ... [ورواية الحلبي أجود وأكثر] .
- ص ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب رونقه وبعض ما به روى" ... [ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص . والماء هنا بمعنى الرنق والبهاء كما يقال في الجواهر الكريمة والأحجار النعيسة . وحينئذ فلا يكون هناك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من القول باحتمال أن "مائه" محرفة عن "بهائه"] .
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا ... [ولا معنى لوضع "معجرا" في هذا المقام بل هي زيادة من النسخ تدل على مجزه] .
- ص ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك" .
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... [وزيادة "كان" واجبة] .
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف" ...

- س ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده"
- س ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل
- س ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس البارئ". [ورواية الخلية ربما لا تزال الإيهام].
- س ١٦٥ س ٣ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيتك".
- س ١٦٦ س ٣ "فاخذ التاج" بدلا من "فاخذوا التاج".
- س ١٧١ س ٢ "وحدثني أبو الترب الشاعر : كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه"
- "يوما، فقال، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي : تحتاج عيالك في كل"
- "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
- "فاخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبعتي قنلا عن "المحاسن والمساوي" لليق . وليس
بين رواية الخلية وبين رواية الليق خلاف كبير إلا في أسم الشاعر ولست أدري صحته
أهو أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعتي فهي أصح وأوجه].
- س ١٧١ س ١٢ "وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب". [وهنا وقفت الخلية مبنودة].

التعريف بكتاب

”تنبيه الملوك والمكاييد“

المنسوب للمحافظ

~~~~~

ذكرتُ هذا الكتاب في ”التصدير“ وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي  
حليت بها ”التاج“ .

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوف إلى الإلمام بشيء عنه . فلذلك رأيت  
أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيما أعلم - بخزانة الكوبريلي  
بالقسطنطينية تحت رقم <sup>(١)</sup> ١٠١٥ .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة ”كتاب“ عبارة بخط حادث هذا  
نصها، ”تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ“، ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية  
إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغير خط النسخة من أولها إلى  
آخرها، وهي ”للمحافظ رحمة الله عليه“ .

ظننتُ أنني ظفرتُ بدرة يتيمة من تلك الدرر التي تفرد بها الجاحظ . فأنشأتُ  
أتصفح الكتاب ، ولكنني ماقرأتُ منه سطرين حتى تقضتُ الحكم ورجعتُ عن  
الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

---

(١) نقلت بالتصوير الشقي نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .



بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وفصها :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أمتح ما لحمد كتابا ، وفتح للعد إذا رافى إليه باما ، قسم بين خلقه فطُوروا أطوارا وتحربوا أحزابا . ألقاهم فيهم سببه ، وأمضى فيهم حكمه ، وجعل لكل شئ أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيته وإرادته ، يُعزَمَنُ يشاء ، ويُبدَلُ من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما رهابا . نحمده على ما أوتى وأنعم ، ونصلي على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم ! ( أما بعد ) فهذا كتاب يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الاحتراز من كل صديق ورفيق وما تحت ثيابه من البغض والنحاسد . فنعوذ بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شئ قدرا “ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلبه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو أعلى كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لافتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويا بُعد ما بين ابن طواون وكافور الأخشيدي والمتنبى وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب لمعا من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حيث لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .  
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،  
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على ما جرى دهره ؟  
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"  
فأوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسرقات<sup>(١)</sup> تراه في غير هذا  
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين  
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمته إلى الجاحظ ؟ كلا لعمرى !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي باب مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،  
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية ، وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة  
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج اعناية في التصحيح والتهذيب .

أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

(١) مكاييد الفرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .

(٢) » الهند ( » ٤٩ - ٥٤ ) .

(٣) » الروم ( » ٥٥ - ٦٣ ) .

وما بقي من الكتاب ، قصّره على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية  
أم في صدر الإسلام أم بعده . واسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدي . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

” فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! ولعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لمعود الملك فهو حسن عقلاً وشرعاً : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهيج ، ولهذا صار أهني الفتوح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما ظلت على أهل مكة حيث أتزعتها بالمكيدة التي استعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك ابن ساسان المرتجع له من أيدي الذين أقتسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله أجمعين ” الحربُ خدعة “ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند سيره في غزواته ، وخصوصاً ما استعمله في فتح مكة “ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يمدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يمز به الدين وينفع به المسلمون . وأرتفع بهذا ربه الأوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .

نحو الكتاب ” تنبيه الملوك “ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ” سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وستائة “ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إناعام النظر في كتابه . وغاية ما توفقنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ” جامع الأخبار “ .

روى ” جامع الأخبار “<sup>(١)</sup> أنه سيرة ليلة عاشوراء بخندق الموالى القصرية وأطال التفكير فيما عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من استيلاء أعدائهم عليهم



حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام عليا في صفة الساخط عليه لاعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حطى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضي "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب انزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضي يده ، لأنها لمست يد الإمام "علي" . ففي ذلك دليل على أن المؤلف كان موجودا بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف ( في صفحة ٣٥١ ) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الكتاب يبين فضل المجلس العالي السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى يتره بأن يخدع بمثل هذه المحاولات ولهذا يقول في بعض تصانده .

ولا خد عتينا منه قط ملاسم \* تسدى بأصناف المحال وتلعم .  
فأضعفها ما كانت فيه رواية \* وأسقمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى "المجلس العالى السيدى" لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقرّر فى ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى فى أيام المماليك أو الأيوبيين أو الفواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله فى "التعريف بالمصطلح الشريف" والقلقشنديّ فى "صبح الأعشى" .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها فى سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط فى سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاء مبرما على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين فى أيامهم شيئا مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،  
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها  
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد  
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من  
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالحي" وأنشد له شعرا . فهذا النعت  
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزّيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه  
ممن كانوا ينظمون الشعر الجليذ ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى  
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفاطمى ، وأستقل بالأمور وتدير  
أحوال الدولة ، وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفائز ،  
استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد الفاطمى<sup>(١)</sup> ابنته . ثم دس  
العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" قد أخرج  
كتابه للناس في أنحرىات الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف  
الثاني من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان ، في حرف الطاء .

التعريف بكتاب  
 "محاسن الملوك"  
 لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في "التصدير"  
 وفي الحواشي . كتبته ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة  
 بكتاب "التاج" .

صرتُ على النسخة الأصلية لكتاب "محاسن الملوك" في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ،  
 تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر  
 يتعلق برسل الملوك وسفرائهم<sup>(١)</sup> .

فأما "محاسن الملوك" فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً .  
 وعلى طرته أنه "جمعه بعض الفضلاء" . وقد ابتدأ مؤلفه بعد البسملة بقوله :

"الحمد لله المتعول بالموارف ، المميز بالمعارف ، وجاعل الملوك قائمين في الأرض بالوظائف التي على الخلائف ؛  
 الأمر بإعظام السلطان لقيامه بأعباء الإيالة ، وانتضائه للخلق بالكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم  
 في العاش الذي هو رسالة مادم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وازدياده . أحمد على نعمه . . . . "

ثم نوه بالملك الذي ألف له هذا الكتاب وسماه "مولانا السلطان الملك العزيز" .  
 وقد نعت المؤلف نفسه "بالمملوك" . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ،  
 وكرر في غضوناتها التنويه به إذ قال : "ولا زال مولانا العزيز" .

(١) وقد نقلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسي وأحصرتهما إلى دار الكتب  
 الخديوية بالقاهرة .



وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آخر يدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا فمن هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فرأينا أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بني أيوب ، والثالث من سلاطين المماليك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية ، ولكنه لم يجلس على سريرها سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المسمى بالتعظيم والتعظيم الذي أورده المؤلف ، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية ، أى قبل أن يأتى هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثانى المسمى "بالمملك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين غازى الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صبغيا فانتزع عمه الأفضل المملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت حلب لعمه العادل . وتوفى الملك العزيز هذا في سنة خلعه ، أى ٦٣٤ . فتكون مدة حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجبها وصحيحا ، لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطولة مما جعل عمه ينتزع العرش منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف المملوكانية والنعوت السلطانية الواردة في أول الكتاب وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب ، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر ، فإنه هو الذى كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وديرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "الملك فلان" أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير ، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التى تستفاد بالصراحة وبالبداهة من اصطلاح القوم فى تلك الأيام ، على ما تراه فى ” التعريف بالمصطلح الشريف ” لأبن فضل الله العمرى ، وفى ” صبح الأعشى ” للقلقشندى .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف بأسم ثالث الملوك المعروفين ” بالملك العزيز ” وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبى . ذلك الذى جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه فى حياته ، ثم استقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهى سنة ٥٩٥ ، أى إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين فى الأيام المتقدمة أن يُسمى الواحد منهم نفسه ” المملوك ” إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا فى عصر المماليك ، وعلى الأخص فى أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مصوغ على الطريقة المألوفة فى أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول — كما قد يستفاد من عبارة الختام — بأن تأليف هذا الكتاب كان فى ” شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ ” . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك فى العالم الإسلامى يسمى ” بالملك العزيز ” . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هى سنة انتساخ الكتاب ، لا سنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت انتساخه .





وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات تقريباً<sup>(١)</sup> وأختصر بعض فصوله اختصاراً كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة سلطان العصريه .

---

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

---

## الفهرس الأبجدى الأول<sup>(١)</sup>

بأسماء الكتب التى استخدمتها للمراجعة وتحرير الحواشى

الأصنام لأبن الكلى ( نسخة مخطوطة  
مخزاة كتي وجار طبعها بتحقيق فى مطبعة  
بولاق فى هذا العام )  
إنجاز القرآن للقاضى أبى بكر السافلى ،  
طبع القاهرة سنة ١٣١٥  
الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته ،  
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن  
سنة ١٨٩١ [ وهو السابع من المكتبة  
الجغرافية العربية ]  
الحاسن والأضداد للمحافظ طبع العلامة  
فان ملوتى بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨  
الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني ، فى ٢٠  
جزء طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، والجزء  
الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ  
رودلف برونو بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ  
فهارس الأغانى للعلامة جويدي وزملانه ، طبع  
ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠  
الأمالى ( وذيله ) لأبى على القالى ، طبع  
بولاق سنة ١٣٢٤ هـ  
الأنساب للسماعى ، طبع العلامة  
مربوليوت بمدينة لوندون سنة ١٩١٣



آثار الباقية عن القرون الخالية لأبى  
الريحان البيرونى ، طبع العلامة سبخار  
المستشرق الألمانى بمدينة ليبسبك  
سنة ١٨٧٨  
آثار البلاد وأخبار العباد للزوينى ، طبع  
العلامة وستفله بمدينة جوتنجن سنة ١٨٤٨  
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى  
المعروف بالبشارى ، طبع العلامة  
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧  
[ وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية ]  
إرشاد الألباء إلى طلقات الأدباء =  
معجم الأدباء  
أساس البلاغة للرخشى ، طبع القاهرة  
سنة ١٢٩٩  
أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبن الأثير  
طبع القاهرة سنة ١٢٨٠  
الاشتقاق لأبن دريد ، طبع العلامة وستفله  
بمدينة جوتنجن سنة ١٨٥٤

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شئ من المسجمات الواردة فى التصدير . فتنبه لذلك .



## ب

كتاب البخلاء لمحاظ طبع العلامة فان قوتن  
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠

بدائع الزهور في وقائع الزهور لأبن  
لمياس، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ

برهان قاطع (معجم فارسي) قله طاصم  
افندى إلى اللغة التركية، وأسمه  
تيان فافع في ترجمة برهان قاطع،  
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ

مختصر كتاب البلدان للهمداني المعروف بأبن الفقيه،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن  
سنة ١٣٠٢ هـ وستة ١٨٨٥ م  
[ وهو الجزء الخامس من المكتبة  
الجغرافية العربية ]

كتاب البلدان لليقوتى، طبع العلامة جوينول  
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠

البيان والتبيين لمحاظ، طبع القاهرة  
سنة ١٣١٣ هـ

## ت

تاج العروس في شرح القاموس، طبع  
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

تاريخ ابن خلدون = كتاب  
العبر اتخ

تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر  
محمد بن جرير الطبرى، طبع العلامة  
ده جويه وزملائه بمدينة ليدن  
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك  
تاريخ أبى الفداء = المختصر في أخبار  
البشر

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،  
مراراً

شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،  
مراراً

تقريب التهذيب لمحاظ المسقلاني طبع  
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزى، طبع  
ليدن سنة ١٨٨١

التنبية والإشراف للسعودى، طبع العلامة  
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٩٣ [ وهو  
الثامن من المكتبة العربية الجغرافية ]

تنبيه الملوك والمكايد، منسوب لمحاظ.  
[ ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية،  
منقولة بالفتوغرافيا عن مكتبة الكوبرلى  
بالقسطنطينية ]

## ح

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة  
للسيوطى، طبع حجر بالقاهرة بدون تاريخ  
سنة الطبع

الحجاسة (شرحها التبريزى)، طبع العلامة فريتاغ  
بمدينة بون سنة ١٨٢٨

الحيو ان لمحاظ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

سيرة ابن هشام ، طبع المرحوم الزبير  
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع  
الملازمة وستنفلد بمدينة جوتنجن سنة  
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

### ﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي  
الفلاح عبد الحمى بن أحمد بن محمد العسكري  
المعروف بابن الهادي الحنبلي [ مخطوط  
بدار الكتب الخديوية نمرة ١١١٢ تاريخ ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للنفاجي ، طبع القاهرة  
سنة ١٢٨٢ هـ

### ﴿ ص ﴾

صبيح الأعشى للناقشي (الجزء الأول ، طبع  
بولاق سنة ١٩٠٥)

الصباح للجمهوري ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢  
صحیح البخاری ، طبع السلطان عبد الحميد الثاني  
بولاق سنة ١٢١١ - ١٣ في تسعة أجزاء

### ﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية للسبكي ، طبع القاهرة  
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبي سعد ، طبع العلامة  
تنهار وزملائه بمدينة لندن من سنة ١٣٢١ هـ  
[ ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن ]

### ﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموتى (كتاب في النحو) طبع  
القاهرة ، مرارا

خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطوط للقرنيزى ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ  
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

### ﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس

سنة ١٢٨١ هـ ، طبع القاهرة سنة ١٣٢١

ديوان الفرزدق ، طبع العلامة يوشير ومعه

ترجمته له إلى اللغة الفرنسية في باريس

سنة ١٨٧٢ - ٧٥

### ﴿ ذ ﴾

ذيل الأمل إلى القام = الأمل

### ﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

تخليل بن شاهين الظاهري ، طبع بولس

راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

### ﴿ س ﴾

سلوان المطاع في عدوان الأتباع

لأبي ظفر الصقل طبع الجبر في القاهرة

سنة ١٢٠٨ هـ [ وترجمته الإنكليزية

بمعرفة العلامة ميشل أماري الطلياني ، طبع

لوندرة سنة ١٨٥٢ ]

طراز المجالس للمذبح، طبع القاهرة  
سنة ١٢٨٤ هـ

(ع)

كتاب العبروديان المبتدا والخبر في أيام العرب  
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى  
السلطان الأكبر لأبن حلدون، طبع بولاق  
سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات  
للقرئى، طبع العلامة وستفيلد بمدينة  
جوتنجن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن منقذ، طبع باريس  
كتاب العصا للملاحظ (في ضمن كتاب البيان والتبيين)  
العقد الفريد لأبن عبد ربه، طبع بولاق  
سنة ١٢٩٣

عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لأبن  
أبى أصيبعة، طبع العلامة أغسطس ملر  
في القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

(غ)

غرر أخبار الفرس وسيرهم للنعماني، طبع  
العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية،  
بيارس سنة ١٩٠٠

(ف)

فتوح البلدان للبلاذرى، طبع العلامة ده جويه  
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي، طبع  
القاهرة سنة ١٩١٠

الفصل في الممل والنحل لأبن حزم الأندلسي  
طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١  
كتاب الفهرست لأبن النديم، طبع العلامة قلوجل  
بمدينة ليسبك سنة ١٨٧٠  
فوات الوفيات لأبن شاكرا الكتي، طبع بولاق  
سنة ١٢٨٣ هـ

(ق)

القاموس للفيروز آبادي، طبع القاهرة  
سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند  
العرب

(ك)

الكامل في الأدب للبرد، طبع العلامة ريت  
المشرق الإنكليزي بمدينة ليسبك من  
سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل في التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة  
فورنبرج بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١  
الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة  
العربية للدكتور ديا لى طبع مدينة  
ناپول سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة، طبع العلامة ده ساسى بمدينة  
باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة، طبع العلامة الأب لويى  
شيخو بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥



﴿ ل ﴾

لسان العرب لأبن المُكَّرم المعروف أيضا

بأبن منظور، طبع بولاق سنة ١٢٠٠ -

١٣٠٨ هـ

لقب القباط في تصحيح ما استعمله العامة من

العرب والدخيل والمولّد والأفلاط، للسيد

حسن متّيق خان صاحب مملكة يهويا

بالهند (وطيه هوامش للسيد نور الحسن)

طبع، حجر بالهند سنة ١٢٩٦

﴿ م ﴾

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع

القاهرة حديثا سنة ١٢٢٥ هـ

المحاسن والأضداد، المنسوب للمحافظ،

طبع العلامة قات قلات بمدينة ليدن

سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك ليه من الفضلاء [نسخة محفوظة

بدار الكتب الخديوية تقلا بالفتوغرافية

عن الاصل المحفوظ بمخزاة طوبجو

بالقسطنطينية]

المحاسن والمساوى لإبراهيم بن محمد البيق،

طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن

سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني، طبع

محمد عارف باشا رئيس جمعية المعارف

بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

محاضرة الأوائل وسامرة الأراخزل

دده، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠

المخصص لأبن سيده، طبع بولاق سنة ١٣١٦

- ١٣٢١

مسالك الممالك لإبراهيم الإسطنخري المعروف

بالقارسي، طبع العلامة ده جويه بمدينة

ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة

الجغرافية العربية]

كتاب المسالك والممالك لأبن حوقل، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٣ [وهو

الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن ابن خرداد به،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو

السادس من المكتبة الجغرافية العربية]

المشتبه في الأسماء للدهي، طبع العلامة

ده يونج بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين

على الهائي النزولي، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قتيبة، طبع العلامة وستفله بمدينة

جوتجين سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لبيد

الواحد المراكشي طبع العلامة درزي

بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

معجم الأدباء لباقوت الحموي طبع العلامة

مرجوليوت بالقاهرة، من سنة ١٩٠٧

[ولا يزال العمل جاريا الآن]

﴿ ن ﴾

نقائض جريروالفرزدق طبع العلامة بيغن  
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،  
لأبى المحاسن قنرى بردى ، طبع العلامة  
جُونُولَ بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ —  
١٨٦١

النهاية في غريب الحديث لأبن الأثير ، طبع  
القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى ،  
[ عن النسخ المتقولة بالفتوغرافيا المحفوظة  
بدارالكتب الخديوية ]

نهج البلاغة (شرح لأبن أبى الحديد ، طبع  
القاهرة سنة ١٣٢٩)

﴿ و ﴾

الوسيط في تراجم أدباء شتقيط للرحوم الشيخ  
أحمد الأمين الشنقيطى ، طبع القاهرة  
سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق  
سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة دوزى  
طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى  
لرشاردصن ، طبع لوندرو سنة ١٨٢٩

المعزوب من الكلام الأجمى للجوالقى طبع  
العلامة سخاو بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

مُعِيدُ النِّعَمِ وَمُبِيدُ النِّقَمِ للسبكي ، طبع لوندرو

مفاتيح العلوم للفوارزى ، طبع العلامة فان  
مولتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار [ الترجمة الفرنسية  
للعلامة لوسيان لوكير ] طبع باريس  
سنة ١٨٧٧ — ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة أبى خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للضبي [ نسخة مخطوطة بدارالكتب  
الخديوية نقلا بالفتوغرافيا عن الأصل  
المحفوظ بجزاة طوب قيو بالقسطنطينية ]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر  
الرازى ، طبع حجر بالقاهرة في ١٧ شوال  
سنة ١٢٧٩



الفهرس الأبيجدي الثاني

بأسماء المصنفات المذكورة في متن الكتاب أو في حواشيه وتكميله

|                                                                           |                                                                                                                                                                                          |
|---------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| كتاب الآباء والأمهات لأبي حسان الزياتي                                    | الأغاني (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي . وأصله بما يقال لأبيه وأبن جامع وأبن العوراء ، هذه إسحاق بأمر الخليفة الواثق . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطح عليه . ونسبه المسعودي له) |
| كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجبلي (وأنظر كتاب الزيادات في هذا الفهرس) | كتاب آيين الشعر لأبي حسان الزياتي                                                                                                                                                        |
| آيين الأكاسرة                                                             | كتاب البخلاء [ يشير إليه الجاحظ في صفحة ١٤٠ وهو غير الذي ألفه هو ]                                                                                                                       |
| آيين الفرس                                                                | كتاب بدائع البدائنه لأبن ظافر                                                                                                                                                            |
| آيين ابن المقفع                                                           | الجمهرة لأبن دريد                                                                                                                                                                        |
| كتاب أخبار الأئمة للداي                                                   | درة الغواص للحريري ، طبع الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع لبيسك سنة ١٨٧١ م                                                                                                        |
| كتاب أخبار زياد بن أبيه للهم بن مدي                                       | كتاب الزيادات في كتاب آيين في المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجبلي (وأنظر كتاب آيين له)                                                                                                  |
| أخبار زياد بن أبيه للداي                                                  | شرح العيون لأبن نباته طبع بولاق                                                                                                                                                          |
| أخبار ولد زياد بن أبيه ودعوته للداي                                       | كتاب طبقات الشعراء لأبي حسان الزياتي                                                                                                                                                     |
| أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [ من كتب الجاحظ ]                        | الكشاف [ وحواشيه ] تفسير القرآن للرمحري ، طبع مرارا بالقاهرة                                                                                                                             |
| الأدب الكبير ( لأبن المقفع ، طبع )                                        | مسالك الأبصار لأبن فضل الله العمري                                                                                                                                                       |
| الأدب الصغير ( أحمد زكي باشا )                                            | معجم الشعراء للزباني [ توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية ]                                                                                                                       |
| الأغاني ( كتاب يشير إليه الجاحظ ، هو غير الذي لأبي الفرج الإصبهاني )      | كتاب مغازي عروة بن الزبير لأبي حسان الزياتي                                                                                                                                              |
| الأغاني ( كتاب ذكره المسعودي ، وهو خلاف الذي لأبي الفرج )                 | كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص                                                                                                                                                          |
| الأغاني ( كتاب لإبراهيم الموصلي وإسماعيل أن جامع وطلح بن العوراء )        | كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة للسري                                                                                                                                                 |



## الفهرس الأيجدى الثالث

### بأسماء الرجال المذكورين فى "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن فى الفهارس التالية)



|                                        |                                          |
|----------------------------------------|------------------------------------------|
| كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٠٨٢٤٩٠٩      | آدم (أبو البشر) ٣٨                       |
| ١٠٩٠٩٩ ٠٩٨ ٠٩٧ ٠٩٤ ٠٩٤ ٠               | آزاد مرد (حاجب يزجرد) ١٢٦٠١٢٥            |
| ٠ ١٢٤ ٠ ١١٩ ٠ ١١٥ ٠ ١١٠                | إبراهيم (الى) ١٠٧٤٩٠٣                    |
| ٠ ١٨١ ٠ ١٨٠ ٠ ١٥٥ ٠ ١٥٣                | إبراهيم الحزانى ٣٦٠٣٦                    |
| ٢٠٣ ٠ ١٨٥                              | إبراهيم بن السندى بن شاهك ١٢٠١٢          |
| أحمد بن أبى خالد الأحول   من مشاهير    | ١٩١٤                                     |
| الأئكة [ ١١ ]                          | إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن |
| أحمد بن أبى دؤاد [من مشاهير الأئكة ١١] | على بن أبى طالب ٨١ ١١١٤ ١١١٤             |
| = ابن أبى دؤاد                         | إبراهيم بن عثمان بن نبيك ١٤١             |
| أحمد بن الأمين الشنقيطى ٤٤             | إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بأبن شكة) |
| أحمد بن سهل = أبو زيد البلخى           | ١٦١ ٠ ٨٥ ٠ ٤٨ ٠ ٤٣ ٠ ٤٢ ٠ ٣١ ٠ ٢٣        |
| الأمير أحمد بن سهل ٨٩                  | إبراهيم الموصلى (المنفى) ٣٦ ٠ ٣١ ٠ ٢٣    |
| أحمد بن عبد الرحمن الحزانى ١٣          | ٠ ٤١ ٠ ٤٠ ٠ ٣٩ ٠ ٣٨ ٠ ٣٨                 |
| أحمد بن محمد بن نصر الجيهانى ١٩٢       | ٤٢                                       |

إسحاق بن إبراهيم الموصلى ٣١٠٣١  
٤٣٣ ٤٤٢ ٤٤٣ ٣٩ ٣٧ ٣٢  
١١٠٤٥٤٣

إسحاق برصوما = برصوما

إسحاق الجمالى [من مشاهير الأكلة] ١١

أسد بن عبدالله (والى خراسان) ٢١٠

الإسكندر (ذوالقرنين) ١٩ ٢٩ ١٠٩

١٢٣

أسماء بن خاتجة الفزارى ٦٠ ٦٠ ١٩٩

إسماعيل أبو القاسم بن جامع = ابن جامع

أسيد بن عبدالله الحزاعى ٣٣ ٣٣

الأشدق ٦٦ ١٩٨ ١٩٩ = عمرو

ابن سعيد بن العاص

الأشعث ١٦١

الأصمعى ٤٤ ١٥٥

الأعشى (أعشى قيس) ٢٦

الأعشى (شاعر تمندان) ٨٤

إمرؤ القيس ٣٨ ٤٥

الأمين (الخليفة العباسى) ٣١ ٤٢ ٤٤ ٧٤

١٩٤ ١١١

ابن أنس = السيد بن أنس الحميرى

الأب أنطون صالحانى اليسوعى ١٣٢

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) ٢٨ ٣٨ ٤٦

٥٤ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٩٠

١٠١ ١١٩ ١٢٤ ١٣٨

١٤٩ ١٥٣ ١٥٥ ١٥٨ ٢٠٠

إيتاخ ١٢٧ ١٢٧

الأحنف (وأسمه أبو بجر الضحاك بن قيس)

وهو المشهور بالحلم ٣٩ ٣٩ ١٩٩

الأخوص الشاعر ١٤١

أبو أحجة ٤٧ ٤٧ ١٩٦ = سعيد بن

العاص

الاخطل الشاعر ١١٠ ١٣٢ ١٣٢

١٧٥ ١٣٣

اراد مرد (حاجب يزدجرد) [صوابه آزاد مرد]

أردشير بن بابك (ملك الفرس وأتلى بنى ساسان)

٢٥ ٢٥ ٢٤ ١٥ ١٣ ٢٩

٥٤ ٤٧ ٣٨ ٢٩ ٢٨ ٢٧

١٢٤ ١٢٢ ١١٨ ٨٩ ٥٥

١٥٨ ١٥٥ ١٥٣ ١٤٩

١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٣

الأردوان ٢٩

الأردوان الأحمر (ملك الفرس) ولعله

الأردوان الأصغر ٢٩ ٢٩ ١١٨ ١٥١

الأردوان الأصغر (من ملوك فارس وهو ابن

بهرام بن بلاش - آخر ملوك الأشكانية

الذى تله أردشير) ٢٩

الأردوان الأكبر (من ملوك فارس) ٢٩

أزبك (الأتاىكى) وهو منشى الأزيكية

بالقاهرة) ٧٨

أسامة بن منقذ ٢٠٦

إسحاق ١٧١ = إسحاق بن إبراهيم المصعبى

إسحاق بن إبراهيم المصعبى (حاكم بغداد فى

أيام المأمون) ١٣ ١٣ ٣١ ٣١

١٧٠

﴿ ب ﴾

|                                                        |                                        |
|--------------------------------------------------------|----------------------------------------|
| بَابُكَ الْخُرَيْمِيُّ ١٢٧                             | بُقَيْلَة = ثعلبة بن سنين              |
| بَابِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ ٦٠                   | أبو بكر الصَّدِّيق (الخليفة الراشد) ٨٦ |
| أبو بحر الضحاك = الأحنف                                | أبو بكر الهنلي ١٩٩٦ ١٩٨٦ ١١٤٥ ٥٨       |
| ابن بَحْتِيشُوع (هو جبريل الطبيب) ١٦١٥ ٣٧              | بلال بن أبي بردة [من مشاهير الأئمة ١١] |
| برصوما الزامر (واسمه إسماعيل) ٣٩٦ ٣٨                   | ثم ١٩٣٤ ٢٠٦ ٢٠                         |
| ٤١٦ ٣٩                                                 | بندار بن خورشيد ٥٥                     |
| أبو البرق الشاعر ١٧١                                   | بهرام جور بن يزيد جرد (ملك القرس) ٢٨   |
| بسرة الأحول [من مشاهير الأئمة] ١١                      | ٦١١٩ ٦ ١١٨ ٦ ١٠٠ ٦ ٣٣ ٦ ٣٠             |
| بشار بن برد الأعمى (الشاعر) ٨٦                         | ٦ ١٤٩ ٦ ١٢٥ ٦ ١٢٤ ٦ ١٢٠                |
| بشر بن عبد الملك بن مروان ٦٠                           | ٦ ١٦٤ ٦ ١٥٩ ٦ ١٥٣ ٦ ١٥١                |
| بطرس خالي باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية كان ١٥٦ | ٦ ١٧٨ ٦ ١٧٧ ٦ ١٦٦ ٦ ١٦٥                |
|                                                        | ٢٠٩ ٦ ١٨٠ ٦ ١٧٩                        |

﴿ ث ﴾

|                                                          |                            |
|----------------------------------------------------------|----------------------------|
| ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨                                 | ثُمَامَة بن أشرس ٢١٠ ٦ ١٩٠ |
| ثعلبة بن سنين المشهور ببقيلة (ويُسَمَّى أيضا الحارث) ٨٢. |                            |

﴿ ج ﴾

|                                                           |                                    |
|-----------------------------------------------------------|------------------------------------|
| الجاحظ (في مواضيع متفرقة من حواشي الكتاب وتكميل الروايات) | جبريل (الملك) ٢٤                   |
| الجارود بن أبي سبرة (ويلقب بأبي مفضل)                     | جبريل بن بَحْتِيشُوع (الطبيب) ٣٧   |
| ١٩٣ ٢٠                                                    | جرير بن الخطمي (الشاعر) ١١٠ ٦ ٨٦   |
| ابن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٦٣٨ ٦ ٣٦ ٦ ٢٣               | ١٣٣ ٦ ١٣٢                          |
| ٤١٦ ٢٩ ٦ ٣٩ ٦ ٣٨                                          | ابن جرير الطبري ٢٠٩                |
|                                                           | جرير بن عبدالله البجلي الصحابي ١٣٤ |



|                                                                                                                                                                                               |                                           |                                                                                                                                                                                                                                                 |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>جَعْفَرُ = المنصور (الحايمة العباسي)</p> <p>جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب</p> <p>المالكي = ابن الحاجب</p> <p>جندب (اسم محبوبية) ٣٨</p> <p>الجهم = محمد بن الجهم</p> <p>الجهم العدوي ٨٩</p> | <p>أبو</p> <p>أ</p> <p>ابن</p> <p>أبو</p> | <p>الجعد بن درهم مؤلف سويد بن غفلة ١٠٧</p> <p>٢٠٤</p> <p>جعدة بن هبيرة ١٩٥</p> <p>ابن جعدة ١٠٦ ١٠٧ = سعيد بن عمرو</p> <p>ابن جعدة بن هبيرة المخزومي</p> <p>جعفر بن سليمان بن علي ١٠٤</p> <p>جعفر بن يحيى البرمكي ٤٨ ٦٦ ٦٦ ٦٦</p> <p>١٤٢ ١٤١</p> |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

(c)

|                                                                |                                                              |
|----------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------|
| أبو حاتم السجستاني ٢٠٩                                         | أبو حسان الزياتي ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ١٩٤٦ ١٩٦٦                       |
| حاتم الطائي ٤٣                                                 | ١٩٧٦                                                         |
| حاتم الكيال [لعله حفص الكيال - وهو من مشاهير الأئمة] ١١        | السلطان حسن صاحب الجامع الأشهر بالقرب من قلعة القاهرة ١٥٦    |
| ابن الحاجب المالكي ١٦١                                         | أبو الحسن بن أبي بكر العلاف [من مشاهير الأئمة] ١١ (أنظر ١٨٩) |
| الحارث = ثعلبة بن مسنين                                        | الحسن بن سهل ٥١                                              |
| الحجاج بن يوسف الثقفي [من مشاهير الأئمة ١١] ثم ٤٧ ٤٨٩ ٤٩٠ ١٣٢٦ | حسن صدّيق خان (ملك بهو بال بالهند) ١٩                        |
| ١٦٩ ١٣٣ ١٩٩٦ ١٩٣٦                                              | الحسن بن علي بن أبي طالب ١٤ ١٤٦ ١٠٣٦                         |
| أبو حذيفة بن اليمان الصعابي ١٠٨                                | الحسن بن قريش (من أصحاب المأمون) ٤٩ ٤٩٤                      |
| أبو حزابة (وهو الصواب بدلا من ابن خزيمة) ٢٠١                   | الحسين بن أبي سعيد (من حجاب المأمون) ٤٩                      |
| حزرة (بنت جرير الشاعر) ١٣٤                                     | الحصين الكلي (هو القطامي ، والد الشرق بن القطامي) ١١٥        |
| أم حزرة (زوجة جرير الشاعر) ١٣٤                                 |                                                              |
| حسان بن ثابت (الصعابي الشاعر) ٨٦                               |                                                              |



(i)

(C)

سابور ذوالأنخاف (ملك فارس) ١٥٤  
١٦٤٧٣٤١١٨١٥١٩٢٤  
سَطِيح (الكاهن) ٨٢  
سعيد بن سلم (بن قتيبة بن مسلم)  
الباهلي ٥٤٠٤٨٠٤٨١  
٢٠٣٤١٩٨



سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤

سليمان بن سلامة ٣٩

سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي

[من مشاهير الأئمة ١١] ثم ١٠٣٤٣٢

١٥٥٤١٥٤١٥٢٤١٠٤

سليمان بن مجالد ٢٠٤٤١٠٨

سليمي (اسم محبوبة) ٣٦

أبو السمح = شرحيل بن السمط

سفيد (ضارب بالعود، فارسي) ٤٠

السيد بن أنس الحميري ٨٨

سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان

البصري) ٤١٤٤١

السفاح (الخليفة العباسي) ٣٥٤٣٤٣٣٣

٤٨١٤٨١٤٥٩٤٥٨٤٥٨٤٣٧

٤١٠٨٤١٠٦٤١٠٣٤٩٢٤٨٢

٤١٥٤٤١٥٢٤١٢١٤١١٤

٢٠٤٤١٥٥

أبو سفيان ٥٦

سلم بن زياد ١٩١

سلمي ١٩٨ (هو اسم أبي بكر الخليل)

سلمي (اسم محبوبة) ٣٨

سليم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٣٩

سلم بن مجالد (مواهب سليمان)

### ش

شكلة (مرأمة إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣

شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام

كسرى أبرويز) ١٨٠٤١٨٠٤١٨١٤١٨٥٤

شهر يار = شهر براز

شهر يزاد (هو مخرب من الناصبيين لاسم شهر براز)

شوينفرت (علامة الماني) ١٩٥

شيخو (الأتاكي سيف الدين العمري، صاحب

المسجد المشهور باسمه الآن في القاهرة) ١٥٦

شيرويه بن أبرويز، (ملك الفرس ويسميه العرب

في كتبهم "شيري" أيضا) ٩٤٩٠

١١٠٤١٠٩٤٥٥٤٥٠

شيري = شيرويه

الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠

شاه پور = سابور

شبابه (من رواية الحديث) ٤

أبو شبرمة ٨٤

أبو شجرة = يزيد بن شجرة الرهاوي

شرحيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨

شرحيل بن السمط (وكنيته أبو السمح

وأبو يزيد) ٧٩

الشرقي بن القطامي أو شرقي بن

القطامي ١١٥٤١١٥

القاضي شريح ١٦١

الشعبي ١٩٧٤١١٤٠٥٤

﴿ ص ﴾

|                                      |                                              |
|--------------------------------------|----------------------------------------------|
| صباح بن خاقان المقرئ ١١٠٠، ١١٠٠، ٢٠٥ | الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين<br>الأيوبى |
|--------------------------------------|----------------------------------------------|

﴿ ض ﴾

|                                |                                                      |
|--------------------------------|------------------------------------------------------|
| ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١ | الضحاك = الأحنف<br>ضرار بن الشماخ (و يلقب بمزرد) ١٩٠ |
|--------------------------------|------------------------------------------------------|

﴿ ط ﴾

|                      |                                               |
|----------------------|-----------------------------------------------|
| طويس (الغنى) ٢٠٣، ٨٩ | طاهر بن الحسين ١٩٤، ٣١<br>طاهر ذو اليمينين ٧٤ |
|----------------------|-----------------------------------------------|

﴿ ع ﴾

|                                                                                                             |                                                                                |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------|
| عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كزير<br>القرشى ٢٠                                                         | عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠<br>العاذل الأيوبى [سلطان مصر، من مشاهير<br>الأئمة] ١١ |
| عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى نراسان)<br>٥٩                                                                | أبو العالية [من مشاهير الأئمة] ١١<br>عائشة أم المؤمنين ٦١                      |
| عبد الحميد الثانى (سلطان آل عثمان) ٤٢                                                                       | الحاج دباس سلمى الثانى خديو مصر ١٥٦،<br>١٥٧                                    |
| عبد الرحمن الخزانى ١٣                                                                                       | العباس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨                                         |
| عبد الرحمن بن على الهاشمى (عم الخليفة<br>المستور) ٥٩                                                        | أبو العباس = السفاح                                                            |
| عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩                                                                         | أبو العباس = عبد الله بن طاهر ٧٥، ٧٤                                           |
| عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس<br>٢٠٨                                                                | أبو العباس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعى                                       |
| أبو عبد الرحمن = عبد الله بن عمرو بن الخطاب<br>ابن عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطوط الذى يروى<br>عنه المقرئ) ٦٤ | أبو العباس (كنية فرعون موسى) ٤                                                 |

|                                           |                                        |
|-------------------------------------------|----------------------------------------|
| عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب       | عبد الملك بن مهمل الهمداني ١٣٤         |
| ٨١٦٨١                                     | عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي     |
| عبدالله بن الزبير ٢٠١                     | ٣٥٦٣٤                                  |
| عبدالله بن طاهر (وكنيته أبو العباس) ٧٤    | أبو عبد الملك = مروان بن محمد          |
| ١٥٠                                       | أبو الجعدى                             |
| عبدالله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن      | عبيد (اللقوى) ٢٤                       |
| أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق             | عبيد الله بن زياد بن أبيه [من مشاهير   |
| عبدالله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المصور | الأئمة] ١١ (وأنظر ١٩٠)                 |
| العباسي) ١٤٣٦٥٩                           | عُتبة بن غزوان ١٠٩                     |
| عبدالله بن عمر بن الخطاب ١٣٠٦٦٠           | عتيق ٢٠٧٦١٣١٦١٣٠٦١٣٠                   |
| ١٣١٦١٣٠                                   | عثمان بن شيخ الشيوخ (نحو الدين         |
| عبدالله بن مالك الخزازي ٨١٦٨٠             | وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين        |
| ٩٣٦٩٢                                     | الأيوبي وكان إليه أمر المملكة) ١٦١     |
| عبدالله بن محمد بن أيوب التيمي            | عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٥٩     |
| (شاعر الأمين) ١٩٤                         | ٢٠٣٦١١٩٦٨٦٦٧٩                          |
| عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقليلة      | عثمان بن نهيك ١٤٢٦١٤١                  |
| الغساني ٨٢                                | عدي بن زيد (الشاعر البادي من أهل       |
| أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعدى      | الحيرة) ٨٤                             |
| عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٥٦٤٨           | عروة بن أدية (وهو عروة بن حدير         |
| عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي)       | أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦            |
| ٦٠٦٥٩٦٥٠٦٤٧٦٣٦٦٣٢                         | عروة بن أدية (شاعر قريش) ١٢١           |
| ٦١١٧٦٩١٦٩١٦٥٦٦٥                           | عز الدين (وهو عبد العزيز بن عبد السلام |
| ٦١٣٠٦١٢٠٦١١٩٦١١٩                          | المشهور بـ لطان العلماء) ١٦٢٦١٦١       |
| ٦١٣٣٦١٣٣٦١٣٢٦١٣١                          | العزى (من آله العرب) ١                 |
| ٦١٦٩٦١٥٥٦١٥٤٦١٥١                          | عقيل ١٩٥                               |
| ٢٠٢٦٢٠١٦٢٠٠٦١٩٩                           | عقيل ١٣٢                               |



|                                                                |                                                                              |
|----------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------|
| عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق<br>٢٠٢٦٢٠١٦٦٥٦٥٦٥٩                | المكّي ١٤٣٦١٤٣                                                               |
| عمرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٤٥٣                                        | علويّه الأعسر (وهو أبو الحسن طي بن<br>عبد الله بن سيف) ٤٤٦٤٣                 |
| عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأتكة]<br>١١                      | علي بن الخليل (الشاعر الذي يقال له الزنديق)<br>٨٨                            |
| عنيسة بن إسحاق (وال مصر) ١٩٧                                   | علي بن أبي طالب ٦٧٩٤٥٩٤٥٥                                                    |
| عنيسة بن زياد (له مصحف من عبيد الله<br>أبن زياد) ١٩٠ (أنظر ١١) | ١٠٩ ٦٢٠٤ ١٦١٦ ١٢٤٦<br>٢٠٨                                                    |
| أبو عون = عبد الملك بن يزيد الخراساني<br>الأزدى                | ذو العمامة = أبو أحيحة سعيد بن العاص<br>عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٤٤٤ |
| أين عياش ١١٤٤٥٩٤٥٩٤٥٨                                          | ٨٨٦ ١١٩٦ ١٦١٦ ١٦٨٦<br>٢٠٨٦١٩٥٦١٦٩                                            |
| عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي<br>٨٣٤٨٢٤٨٢                | عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموي) ٣٣<br>١٦١٦١٥٥٦١٥٤٤١٥٢٤٩١٦                 |
| عيسى بن مهيك ١٤٢٤١٤١                                           | عمر بن هبيرة الفزاري ١٤٧                                                     |
| عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = أين<br>دأب                        | أين عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب<br>عمر بن الفزّال ٣٩                     |

## ﴿ غ ﴾

خلفاء بن الحارث = الموسوس معديكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرجيل بن الحارث.

## ﴿ ف ﴾

|                                                  |                                                                                |
|--------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------|
| الفراء ١٢٣                                       | أبو الفتح بن خاقان (الوزير العباسي، الذي ألف<br>المأخذ هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٤٤ |
| أبو الفرج الأصبهاني (صاحب كتاب الأعالي)<br>٢٣٤٢٢ | نفر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ                                                |
| فرخان (أخو شهر براز) ١٨٣                         |                                                                                |

|                                 |                                                       |
|---------------------------------|-------------------------------------------------------|
| الفضل بن يحيى (والى خراسان) ٢١٠ | الفرزدق (الشاعر) ١٤٧٤١٢٣٤١١٠                          |
| فليح بن العوراء (المتن) ٢٣      | فرعون (ملك مصر) ٣                                     |
| فورسكال (عالم نبات سويدي) ١٩٥   | الفضل بن الربيع (من رجالات الرشيد<br>والأمين) ١٩٤٤١٤٢ |
| فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠    | الفضل بن سهل (ذوالرياسين) ٤٩٤٨٤٨                      |

﴿ ق ﴾

|                                  |                                                                                                 |
|----------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------|
| القرنين = الإسكندر               | قاسم التمار [من مشاهير الأئمة] ١٨٩٤١١                                                           |
| القطامي = الحصين الكلبي          | القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩٤٩                                                                   |
| قف الملتئم [من مشاهير الأئمة] ١١ | القاسم الكلبي ٥٨                                                                                |
| قلافس الإسكندري ٢٠٧              | قاياباي (سلطان مصر الشهير بآثره الجليلة<br>في خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة) ٤٧٨<br>٢٠٢٤١٥٧ |
| قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦       | قباد (ملك الفرس) ٤١٠٥٤٧٨٤٧٨                                                                     |
| قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري     | ١١٨٤١٠٧٤١٠٦                                                                                     |
| ٢٠٤٤١٠٩                          | قباد بن فيروز بن يزيد جرد ١٥٥                                                                   |
|                                  | قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن<br>عبدالله بن عباس ٦٦٤٦٦                                        |

﴿ ك ﴾

|                                 |                                                         |
|---------------------------------|---------------------------------------------------------|
| كشاسف (له استاسف ملك الفرس) ١١٩ | كثير (الشاعر، صاحب عزة) ١٠٨                             |
| كيومرث ١٨                       | كسرى ١٦٦ = كسرى أبريز<br>كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤ |

﴿ ل ﴾

|                       |                                |
|-----------------------|--------------------------------|
| لقمان الحكيم ١٩٦      | اللات (من آلهة العرب) ١        |
| لوط بن مخنف ٢٠١       | لطيم الشيطان = عمرو بن سعيد بن |
| لويس شيخو اليسوعي ١٢٨ | العاص الأشدق                   |

ماز يار المضحك (عند أحد الأكاسرة) ١٣٠

المأمون ١٢١٤ ٣١٤ ٤١٤ ٤٣٤ ٤٥٤

CVI 604601 63962963A

6127612-611861116AA

617. 6100 6102 6103

19A61Y161Y.

مافی الشئوی (القائى بالنور والعلام) ۱۸۴۶ء

211

المتوكّل (الخليفة العباسي) ٦١٢٧٦٤٨٦٩

145

مُجَاهِد (من رواية الحديث) ٤

أبو مجرم = أبو مسلم الخراساني

محمد (رسول الله) ١٩٦٩ ٨٥٦٧

6121612561-AC1-PCAA

1VV61E-6130

محمد بن إبراهيم الهاشمي ٩٢، ٩٣، ٩٤

محمد بن إدريس = الشافعي

محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبی

[ من مشاهير الأكلة ] ١١

محمد بن بشير المصري قاضي القضاة

قرطبة ٢٠٨

محمد بن الجهم ۵۱

محمد بن الحارث بن بشير ٣١

محمد بن الجأج بن يوسف الثقفي ١٣٣

1326133



المعتصم بن الرشيد (الخليفة العباسي) ١٢٦  
١٢٧٦ ١٣٠٦ ١٣٦٤ ١٣٨٦ ١٤٣١  
١٤٧٦ ١٥٥٦ ١٥٤٦ ١٥٣٦ ١٢٧

المعتمد بن عباد (ماحب إشبيلية بالأندلس)  
١٦٦  
المعتمد على الله (الخليفة العباسي) ١٧٠

معد يكرب بن الحارث بن عمرو ٢٠٨  
المغيرة ٨٨

أبو مفضل ١٩٢ = الجارود بن أبي سبرة .  
مقاتل بن حكيم العنكي ١٤٣ = العنكي  
مقدم (من رواية الحديث) ٤

این المَقْفَع ۲۴۶۱۹  
مَنَاءَ (من آله العرب) ۱  
این مُنَاذِر (الشاعر) ۱۱۷

مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ قاضي قضاء  
قرطبة ٢٠٨  
المتنصر (الخليفة العباسي) ٩

المنصور (أبو جعفر الخليفة المباسي، وأسمه  
عبد الله بن محمد) ١٢ ٣٤ ٦٣٥  
٦١١٠٦٩٤٦٨٣٦٨١٦٥٩٦٣٧

$\begin{array}{ccccccc}
6 & 112 & 6 & 113 & 6 & 111 & 6 & \underline{111} \\
6 & \underline{117} & 6 & 110 & 6 & 118 & 6 & \underline{118} \\
6 & 181 & 6 & \underline{181} & 6 & \underline{180} & 6 & \underline{180}
\end{array}$

6 1006 1086 1226 124  
2116 1946 1976 179

منصور زلزل = زلزل  
منصور الضارب بالعود = زلزل

|                                          |                                             |
|------------------------------------------|---------------------------------------------|
| المهدى (الخليفة العباسى) ٢٢٣ ٤٢٣ ٣٤٦ ٣٥٦ | موسى بن صالح بن شيع بن عُمير                |
| ١١٥٦ ١١١٦ ٨١٤ ٣٨٤ ٣٧                     | الأسدى ١٧٠٤ ١٧٠                             |
| ١٥٣٦ ١٤٢٦ ١٢٦ ١١٦                        | أبو موسى الأشعرى ٧٩                         |
| ١٩٧ ١٩١                                  | ميسرة [البراش أو التراس أو الثمار أو التباس |
| المهلب ٨٩                                | أو الرأس من مشاهير الأتكة] ١١٦ ١١٦          |
| مهيار الديلمى (الشاعر) ١٩                | ١٨٩                                         |
| الموسوس غلقاء بن الحارث ٢٠٨              | ميمون بن مهران ١٠٧                          |
| موسى (النبي) ١٠٧ ٣                       |                                             |
| موسى ٨١ = إلهادى (الخليفة العباسى)       |                                             |

﴿ ن ﴾

|                                        |                                         |
|----------------------------------------|-----------------------------------------|
| الناقدى ١٣                             | نعم بن خازم ٥١                          |
| الناقص = يزيد بن الوليد الخليفة        | الغنم الزكية = محمد بن عبد الله         |
| الاموى                                 | ابن الحسن الخ                           |
| النبي، نبينا = محمد                    | نفظويه (النحو) ٣٨                       |
| نجم الدين الأيوبى (سلطان مصر) ١٦١      | ابن نبيك (من رجالات المهدي العباسى) ١٤١ |
| ابن أبى تيج (من رواة الحديث) ٤٤٤       | (واقظ عثمان وعيسى، وهما أشران)          |
| نصر بن سيار (صاحب خراسان) ١٧٦ ١٧٦      | نور الحسن ١٩                            |
| النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ١٦٤ ١٦٤ | أبو نوفل = الجارود                      |
| ١٦٦ ١٦٥                                |                                         |

﴿ ه ﴾

|                                          |                              |
|------------------------------------------|------------------------------|
| الهادى (الخليفة العباسى، وأسمه موسى) ٤١٧ | هارون = الرشيد               |
| ٤٨١ ٤٨٠ ٤٣٨ ٤٣٦ ٣٥٤ ٣١                   | هاشم (ابن أنى الأبرد) ١٣     |
| ٤١١٩ ٤١١٧ ٤١١٦ ٤١١٤ ٤٨١                  | أبو هاشم = مسرور خادم الرشيد |
| ٢٠٣٦ ١٥٤٤ ١٥٣٦ ١٣٤٤ ١٣٦                  | هروغ دزبرغ ٢٠٦               |

(5)

(iv)



|                                                                     |                                                                   |
|---------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------|
| أبر يزىء ١٤٢ = عيسى بن نهيك<br>يستاسف ١١٨                           | يزىء بن معاوية (الخليفة الأموى) ٩١ ،<br>١٩١٦١٥٤٤١٥١٦١٢٦١١٩        |
| الأمير يشبك الدواءار (الأسءاءار ، الوزير ،<br>كاشف الكشاف بمصر) ١٥٧ | يزىء بن الولىء بن عبد الملك (الخليفة<br>الأموى) ١٠٦٤٩١٥٢٤١٥٤٤١٩١٦ |
| ذو اليمىءىن = طاهر                                                  | أبر يزىء = شرحبىل بن السمط                                        |

## الفهرس الأبيجدى الرابع

بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها

|                     |                                                                                                                                                                                                                             |
|---------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| بكر = بنو بكر       | ﴿١﴾                                                                                                                                                                                                                         |
| بنو بكر ١١٤١١٥٤     | الأتراك = الترك                                                                                                                                                                                                             |
| ﴿ت﴾                 | الأحامرة ٢٤                                                                                                                                                                                                                 |
| الترك ٤٢٤١٩         | الأساورة ٢٤٤٢٤٢٥٢٨٠٢٥٥٤                                                                                                                                                                                                     |
| التركان ١٦٦         | ١٠٩٧٧ ١٥٩٤ ١٦٣٤ ١٦٤٤                                                                                                                                                                                                        |
| بنو تميم ٦٩         | ١٩٤٤١٧٣                                                                                                                                                                                                                     |
| ﴿ج﴾                 | الإسبانيون ٢٦                                                                                                                                                                                                               |
| جرم ٨٣              | الأشكانية ٢٩                                                                                                                                                                                                                |
| ﴿ح﴾                 | الأعاجم = المعجم                                                                                                                                                                                                            |
| بنو حزم ١٤١         | الأكاسرة ١٥١٤٧٧                                                                                                                                                                                                             |
| ﴿خ﴾                 | الأمويون والدولة الأموية = بنو أمية                                                                                                                                                                                         |
| الخراسانيون ١٠٧     | بنو أمية ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ |
| نخاعة ٥٦            | أهل الأندلس ١٦٦                                                                                                                                                                                                             |
| الخزرج ٨٠٤٥٤٤٥٤     | الأيوبيون ١٦١                                                                                                                                                                                                               |
| ﴿ر﴾                 | ﴿ب﴾                                                                                                                                                                                                                         |
| الراوندية ١٤١٤١١٤٣٥ | البرامكة ١٤٢                                                                                                                                                                                                                |
| بنو ربيعة ١٢٣       | بنو بقليلة (وظلط من كتب أرفال بقليلة) ٨٢٤٨٣                                                                                                                                                                                 |
| ربيعة بن حنظلة ٢٠٦  |                                                                                                                                                                                                                             |

|                                        |                                            |
|----------------------------------------|--------------------------------------------|
| بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية | الروم ٤٥٥، ٤٨٠، ٤١٨، ٤١٨، ٤١٨              |
| ٢٧، ٣٤، ٣٧، ٤٨، ١٠٦                    | ١٨٣، ١٨٥                                   |
| ١٥٥، ١٧٦، ١٨٦                          | الزويدية (لعل سوابه : الزويدية)            |
| بنو عبد شمس ١٩٦                        | ﴿ ز ﴾                                      |
| آل عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٥        | الزنج ١٨                                   |
| العجم ١٥، ١٥، ١٩، ٢٢، ٢٤               | بنو زهرة ٢٠٤                               |
| ٢٦، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٨                 | الزويدية ١١١، ١١١                          |
| ٦٩، ٧٢، ٧٨، ٨٠، ١٠٥                    | ﴿ س ﴾                                      |
| ١١٤، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٩                     | ساسان (آل ربنو) ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠             |
| ١٣٨، ١٣٩، ١٤٦، ١٦٣                     | ٨٣، ٩٩، ١٠٩، ١٢٤، ١٤٥                      |
| ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨                     | ١٥٩، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧                         |
| ١٧٣، ١٧٤، ٢١٠                          | بنو سنان ٨٢                                |
| العرب ١، ١٥، ١٩، ٢٦، ٣٠، ٥٥            | ﴿ ش ﴾                                      |
| ٦٧، ٧٥، ٨٥، ٩٢، ١٠٣                    | شيان ١١٢                                   |
| ١٠٨، ١١٤، ١١٥، ١١٦                     | ﴿ ض ﴾                                      |
| ١١٧، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٧                     | ضبة ١١١                                    |
| ١٥١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ٢٠٨                | ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١             |
| العلويون الفاطميون ١٦٢                 | ﴿ ط ﴾                                      |
| ﴿ ف ﴾                                  | الطبردارية (طائفة بن جيش الماليك بمصر) ١٦٦ |
| الفرس = العجم                          | الطوائف (ملوك) ٢٩، ١٣٩، ١٥١                |
| الفرنج ١٦١                             | ﴿ ع ﴾                                      |
| الفرنسيون ١٠١                          | عاد ٨٣                                     |
| بنو قزارة ٦٠                           |                                            |



|                         |                                               |
|-------------------------|-----------------------------------------------|
| بنو مروان ٢٠٢           | ﴿ق﴾                                           |
| المشاركة ١٦٦            | قريش ٦١٢٠٦١٢١٦٨٤٤٥٦٦٥٦                        |
| المضريّة ١٣٣            | ٢٠٦٦١٩٦                                       |
| بنو معاوية ٧٩           | أهل القصر (أى أهل بيت الملك فى أيام الفاطميين |
| المماليك (بمصر) ١٥٦٦١٤٢ | بالقاهرة) ٦٤                                  |
| المنانية = المناويّة    | قيس ١١٥                                       |
| المهاجرون ٥٧            | ﴿ك﴾                                           |
| ﴿ن﴾                     | كَلْب ١٣٤                                     |
| النَّبَط ٢٩             | الْكُرْد ١٧٦                                  |
| ﴿ه.﴾                    | بنو كليب ١٣٣                                  |
| بنو هاشم ١٩٥٦١١٧٦٤٨     | ﴿م﴾                                           |
| الهولنديون ١٠١          | المانويّة ٢١٠                                 |
|                         | المجوس ٧٧٦١٥                                  |
|                         | مخزوم ١٩٥٦٧٥٦٧٤٤٥٦٦٥٦                         |



|                                           |                                         |
|-------------------------------------------|-----------------------------------------|
| دائرة جُلْجُل ٤٥                          | الجبابات = ذوقار                        |
| دجلة ١٩٧                                  | الجزيرة (أى ما بين النهرين) ١٠٧٤١٠٦٤٨٠  |
| النَّحُول ٣٨                              | ﴿ح﴾                                     |
| دِمَشْق ١٦١٦٣٤                            | المجاز ١٢٧٤١١٦٦٠                        |
| الديار المصرية = مصر                      | حُلوان (مدينة بالعراق العجس) ٧٨         |
| ﴿و﴾                                       | حُلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨ |
| رمل الإسكندرية ١٥٧                        | يَخْص ٧٩                                |
| الرُّها (وهى الآن أدرقة) ٥٥               | الحنو = ذوقار                           |
| الرَّوْضَة الشَّرِيفَة (الحرم الملقى) ١٣١ | يَحْنُوذَى قار = ذوقار                  |
| الري ١١٦                                  | يَحْنُو القراقِر = ذوقار                |
| بلاد الروم ٦٢                             | يَحْوَمِل ٣٨                            |
| ﴿ز﴾                                       | الحيرة ٤١٦٤٤١٥١٤٨٤٤٨٣٤٨٤٨٢٤٨٢           |
| الزَّاب (بأرض الموصل) ١٠٦                 | ١٦٦                                     |
| ﴿س﴾                                       | ﴿خ﴾                                     |
| ذو السَّرح (موضع بشقبط) ٤٤                | نُرَّاسَان ٤٥٨٤٤٩٤٣٥٤٣٣٤٣١              |
| ذو السَّرح (موضع ببلاد العرب) ٤٤          | ٤١٧٤٤١١١٤٨٢٤٧٥٤٧٤٤٥٩                    |
| ذات السَّرح (موضع ببلاد العرب) ٤٤         | ٢١٠٤١٩١٤١٧٦٤١٧٦                         |
| السَّرْحَة (موضع ببلاد العرب) ٤٤          | ﴿د﴾                                     |
| سَرَّخَس ٤٩                               | دار السلام = بغداد                      |
| سَرَّمَن رَأَى (مدينة بالعراق) ٨٤٤٧٨      | دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦     |





مكة ١٢٧٦٥٥٥٤٧٦٤٧

١٩٦٤١٩٣

الموصل ٨٠

﴿ن﴾

نجد ٤٤

التجف (مدينة) ٨٢

النهران ١٨٥٠ ١٨٤

النوبهار (بت يبلغ كان مغلًا عند القوس قبل

الإسلام) ٢٠٣٤٩٩

هر النيل ١٥٦

﴿ه﴾

الهاشمية (مدينة بناما السقاج) ١٤١

﴿و﴾

واسط ٨٤

الوجه القبلى (أحد نفس مصر) ١٦١

﴿ي﴾

الين ٢١٠٤١٢٧

﴿م﴾

الماخورة ٩

محلة بركة زلزل (بيقداد) ٣٨

المدائن ١٦٥٤٩٧

المدينة المنورة ١١٦٦٦٦٣٦٤٣٣

١٢٧

مرعش ٨٠

مرو = مرو والشاهجان

مرو الروذ ١٤٧٤٤٩

مرو الشاهجان ٥١٤٤٩٤٣٣

مصر ٦٦٧ ٤٤٨ ٤٣٥ ٤٣٤ ٤٢٧

٦ ١٢٣ ٦ ١٢٧ ٦ ١١٧ ٦ ١٠٦

٦ ١٦٦ ٦ ١٥٧ ٦ ١٥٦ ٦ ١٤٢

٢٠٩٤٢٠٤٤٢٠٦١٩٧

مصر (بمعنى مصر القديمة وهى القسطنطينية) ١٦١

مصلّى الجماعة (بيقداد) ٥١

المغرب ٣٥ (وأقرب بلاد الغرب)

تم الكتاب

والحمد لله أولاً وآخراً

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

\* \* \*

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

*P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes prolegomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente édition.*

*On y trouvera des renseignements détaillés et des notes critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.*

*Je crois avoir réussi à prouver que Djâhiz est incontestablement l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient et de l'orientalisme.*

A. Z.



le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

\* \* \*

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آیین "Ayin" des Persans, au "Ayin" des Cosroés, à leur "Ayin" au "Ayin" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitâb el Tâdj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de Djâhiz se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de Djâhiz. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre intitulé : "*Mœurs des rois.*"

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de Djâhiz avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamid II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kitâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où



\*  
\* \*

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre *س*; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre *ص*. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originaire le titre de *كتاب أخلاق الملوك* *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre *ب* du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: وكان بالأصل سقامة "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné



les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mansour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabarî et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

---

(1) Cf. entre autres, BAYÂN, t. II, p. 154, et HARAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 61 et 65.



orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawsilî. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

\* \* \*

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains



plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabarî lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit....*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

\* \*

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude: *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts



ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (شيخنا أبو عثمان)".

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN. t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb الامتاع والمؤانسة de la Bibliothèque de Top-Kapou, et le Kitâb البصائر والنخار de la Bibliothèque de Fâtih.



ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues."<sup>(1)</sup>

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmoun, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance. Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fît un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmoun voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

---

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayarîn*.



convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chéïte qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbassides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolturè, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière et même son extravagance.

Sa plume se complaît à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, *Djâhiz* n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

\* \*

L'influence de *Djâhiz* s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet créé (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incrée* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour



## PRÉFACE

---

Djâhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djâhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ

---

# LE LIVRE DE LA COURONNE

(KITAB EL TADJ.)

---

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,  
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS  
ET ENRICHIE DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZEKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,  
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,  
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.





RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

---

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitāb el Tādj.)











